مختارات اسرائيلية



السنة الثالثة عشرة ـ العدد ١٥٦ ديسمبر ٢٠٠٧ Dec. 2007



ترجمات عبرية

- جدل حول لقاء "أنابوليس": بداية مفاوضات سلام أم حرب على قطاع غزة..؟
- نص البيان المشترك الصادر عن لقاء "أنابوليس"
- ٣٠ سنة على زيارة السادات للقدس
- ١٢ سنة على اغتيال رابين.. أصبح للقاتل آلاف الأتباع

رؤية عربية

- إسرائيل تستكمل استعداداتها لحرب الخريف



مجلة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
العدد ١٥٦ ـ ديسمبر ٢٠٠٧

مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٨٦٣٠٠/٢٥٧٨٦١٠٠/٢٥٧٨٦٢٠٠ فاكس: ـ ٥٧٨٦٠٢٣٢

المحتويات

مقدمة

ما بعد أنابوليس.. فرص ومخاطر

انتهى لقاء أنابوليس (٢٧-٢٨ نوفمبر) بإطلاق سلسلة جديدة من المفاوضات الثنائية المباشرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وأقر آلية للدعم الاقتصادي للسلطة الوطنية الفلسطينية.

وارتباطاً بما جرى في أنابوليس، أعلن أن الرئيس الأمريكي "جورج بوش" سوف يزور المنطقة في الأسبوع الثاني من يناير ٢٠٠٨ لإعطاء دفعة لعلمية المفاوضات المترتبة على لقاء أنابوليس. في المقابل، استأنفت الحكومة الإسرائيلية عمليات الاستيطان التي توقفت بضغط أمريكي قبيل أنابوليس، ووضعت خطط جديدة لتكثيفه في الفترة القادمة.

وفي الوقت الذي يعمل فيه الجانب الفلسطيني على دفع مسيرة التسوية السياسية، فإن الحكومة الإسرائيلية تعمل على محاصرة أية تداعيات يمكن أن تترتب على لقاء أنابوليس. فالملاحظ أن رئيس الوزراء الإسرائيلي "إيهود أولمرت" يركز بالأساس على زيادة شعبيته، فجاء قرار استئناف الاستيطان بعد إعادة إحياء اللاءات الإسرائيلية التقليدية الشهيرة، وهناك من يرى أن أولمرت في سعيه إلى زيادة شعبيته يمكن أن يندفع إلى القيام بعملية عسكرية واسعة النطاق ضد قطاع غزة، إذ تشير تقديرات إسرائيلية مختلفة إلى أن الخطوة الأولى للحكومة الإسرائيلية بعد العودة من أنابوليس هي القيام بعملية عسكرية واسعة النطاق ضد فصائل المقاومة في القطاع، وضد حركة حماس بصفة خاصة، من أجل تدمير قواعدها وضمان عدوة الهدوء إلى مدن الجنوب الإسرائيلي.

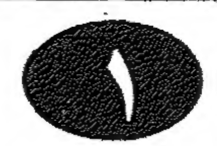
وتدرك الحكومة الإسرائيلية أنها في ظل أجواء التفاؤل التي تسود الضفة الغربية والعالم العربي، وفي ظل التفهم الأمريكي، يمكن القيام بعملية عسكرية واسعة النطاق ضد القطاع، تساهم في تدمير قدرات حركة حماس وتنظيم الجهاد، مع تشديد الحصار، الأمر الذي يمكن أن يزيد من حالة التذمر الشعبي من حركة حماس، في وقت تتحسن فيه الأوضاع الاقتصادية في الضفة الغربية، لاسيما وأن أنابوليس أوجد آلية اقتصادية لدعم حكومة السلطة في الضفة الغربية عبر عقد مؤتمر للمانحين الدوليين في باريس في شهر ديسمبر ٢٠٠٧ لجمع مئات الملايين من الدولارات تستخدم في دفع الرواتب، وعملية إعادة الإعمار والتطوير الاقتصادي للضفة الغربية، إلى أن تعود السيطرة على القطاع، سواء سريعاً أو عبر آلية ديموقراطية تتمثل في الانتخابات التشريعية القادمة في حال إجراءها.

في نفس الوقت تستعد القوى السياسية الإسرائيلية المختلفة لمرحلة ما بعد أنابوليس عبر إعادة التأكيد على خطاب التشدد المتضمن اللاءات الثلاث القديمة، فحزب كاديما يواصل خطابه "السلامي" مع عدم التنازل عن أي من مبادئ الليكود التي كان يحملها شاورن وأولمرت، وزعيم الليكود "بنيامين نتنياهو" الأكثر مصداقية لدى الرأي العام في خطاب التشدد، أما زعيم حزب العمل إيهود باراك فيعاني من خبرة كامب ديفيد الثانية التي خسر بسببها الانتخابات في فبراير ٢٠٠١ أمام زعيم الليكود السابق "آريئيل شارون".

وفي الإجمال، يمكن القول أن المفاوضات المباشرة ستبدأ وتتكرر جولات المفاوضات، وسيتم التوصل إلى تفاهمات، وربما اتفاقات، ولكن لن يتم تنفيذ أي منها، فالتنفيذ سيعني سقوط الحكومة، ومن ثم يصعب تصور تحقيق إنجاز ملموس في غضون عام ٢٠٠٨، وإن كان ذلك لا ينفي إمكانية تحقيق تفاهمات تساهم في استمرار التهدئة والتنسيق الأمني والتعاون، تؤدي إلى جلب المساعدات الاقتصادية للسلطة الوطنية، وتعمل في الوقت نفسه على الإضعاف التدريجي لنفوذ حماس، يترافق معها فك الارتباط بين سوريا والمنظمات الفلسطينية المعارضة لخط رئاسة السلطة الوطنية وحركة فتح، وسوف ينتظر الجميع جديداً بعد الانتخابات البرلمانية القادمة في إسرائيل، والمحدد لها عام ٢٠١٠، أو انفجار الأوضاع في الأراضي الفلسطينية أيهما أسبق.

د. عماد جاد

◆ دراسات ◆



عرب طيبون
الاستخبارات الإسرائيلية وعرب إسرائيل: عملاء ونشطاء، متعاونون ومتمردون، أهداف ووسائل
الفصل السادس (٢) الأخ الكبير.. مزيد من حميمية السيطرة

تأليف/ د. هليل كوهين - ترجمة وإعداد: محمد إسماعيل

كان تشكيل الزعامة المحلية هو حجر الزاوية في عملية سيطرة الدولة. لكن تأثير هذه الزعامة كان مُتدنياً وصلاحياتها مُقيدة، وبناءً على ذلك فرضت الدولة مزيداً من الإجراءات البيروقراطية. وكانت وثيقة غير موثقة تم توزيعها على أعضاء اللجنة الموسعة قد حددت ٢٦ مجالاً للعمل والتنظيم يحتاج عرب إسرائيل فيها إلى تصريح من الأجهزة الأمنية. ومع الوقت تبلورت إجراءات تُحدد الجهة الأمنية المختصة بكل مجال بينما تكون الجهات الأخرى ذات وضع استشاري، فهناك من يفتح ملف موضوع ما، وهناك من يكتب تقرير الرأي فيه، وهناك من يعطى الموافقة النهائية. تلك هي العملية البيروقراطية للسيطرة، التي اتسم بها وما يزال قدر كبير من عمل الشاباك (جهاز الأمن العام) والشرطة. وهناك جزء من هذه القضايا يتصل بالحياة العامة، على سبيل المثال: الموضوع الحساس الخاص بإنشاء منظمات أو نقابات وُضع تحت إشراف الحاكم العسكري (في النواحي الإدارية) أو المسئول عن المنطقة في وزارة الداخلية (في بقية مناطق البلاد) ومعهم ضابط شرطة. وقبل منح التصريح يتوجب على هذه الجهات أن تتلقى تقرير الرأي أو الفتوى من رئيس الدائرة في الشاباك. والبت في شئون الحياة الدينية مُقسم بين جهات معينة: فمسألة ترميم وتجديد المساجد وصيانتها توكل لمستشار شئون العرب من خلال التشاور مع الحاكم العسكري، والشعبة العربية بالشاباك والشرطة. وكان الشاباك مسئولاً عن تعيين العاملين في المكان - القضاة، والأئمة، والخُطباء، من خلال التشاور مع الشرطة والإدارة العسكرية. بهذه الطريقة كانت تُمارس السيطرة على حياة الطوائف وأنشطتها الدينية والسياسية.

حتى في الشئون الشخصية يتطلب الأمر تصريحاً من جهات أمنية. فإذا أراد شخص الانتقال من محل إقامته بأحد الأحياء السكنية إلى آخر كان بحاجة إلى تصريح من الحاكم العسكري. وكان من الممكن الموافقة على الطلب أو رفضه بناءً على تقرير الرأي من الشرطة (ضابط الأقليات فيَ المنطقة) ورئيس الدائرة في الشاباك. والشخص الذي يطلب قرضاً ليشترى شقة أو يبنى بيتاً لم يكن ليحصل عليه بدون تصريح الشاباك والشرطة. ولم يكن بإمكان الهستدروت أن يقبل عمالاً بدون تصريح من مستشار شئون العرب. وكان المستشار، من جانبه، يمنح هذا التصريح ولكن فقط بعد التشاور مع الإدارة العسكرية، والشرطة والشاباك. واختص الشاباك بمنح تراخيص الإرشاد السياحي، وهو يطلب تقرير الرأى من الشرطة. حتى الرغبة في اجتياز تأهيل مهني للحصول على عمل في المؤسسات العامة تتطلب تصريح الشاباك - الشعبة العربية. ومن يطلب العمل في أحد البنوك يحتاج إلى تصريح من مستشار شئون العرب، الذي يعتمد على تقرير رأى تقدمه الشرطة والشاباك. فالشخص الذي جُمعت تقارير عن أقواله السلبية ضد الدولة أو أدلة على نشاط وطني له لا يحصل، في الغالب على طلبه (١). وبالتالي، يمكن أن يتعلم الجمهور السلوك القويم.

انصبت مداولات اللجان الموسعة في الأغلب الأعم على حالات فردية، لكن أعضائها اهتموا أيضاً بقضايا أساسية. وتشير قراراتهم إلى الرغبة في إعطاء الأولوية المطلقة للمحافظة على سيطرتهم على حساب اعتبارات أخرى. وربما كان أبرز مثال على ذلك، هو قرار اللجنة الموسعة للتخطيط (بمنطقة المثلث) بمنع الطلاب العرب من الدراسة في الجامعات، الذي اتخذ في نوفمبر ١٩٥٤ . وجاء ذلك في إطار نقاش تحت عنوان "الطلاب العرب في الجامعات والمعاهد العليا"، الذي اختتم بالكلمات التالية: "إن اللجنة لا تستحسن أن يُسمح للطلاب العرب من سكان المنطقة باستكمال تعليمهم العالي. ولأنه ليس هناك ما يبرر منع دخولهم المؤسسات التعليمية المذكورة بعد قبولهم كطلاب، اقترحت اللجنة فتح قناة اتصال بإدارة هذه المؤسسات حتى ترفض قبولهم. وسيتم هذا الاتصال عن طريق مسئول عسكري للتخطيط يتبع وزارة الدفاع". واتضح من صياغة القرار أن اللجان تعلم ما يعوق بسط سيطرتها، وبالتالي أنشأت أجهزة أخرى تتفادى هذه المعوقات، مثل جهاز قبول الطلاب بالجامعات، التي تملك قرارها وليست خاضعة للأجهزة الأمنية. من ناحية أخرى أشاع القرار شعوراً بالقدرة على العمل والمناورة من وراء الستار باستخدام شبكات اجتماعية - سياسية. كان الافتراض المطروح أن التوجه بطلب إلى الجامعة أو المعهد العالي بإبعاد الطلاب العرب لدواعي أمنية، ستحظى بموافقة هذه المؤسسات. وبعد مضى ثلاث سنوات تقرر إلغاء هذا التوجه.

ولم تبرر اللجنة موقفها الأصلي بحرمان سكان المثلث من التعليم العالي. ولكن من شبه المؤكد أن هذا المنع قد جاء للحيلولة دون ظهور طبقة مثقفة منظمة يمكن أن ترفع صوتها بالمطالب أمام الدولة. ومن هذه الناحية يمكن أن ننظر إلى هذا الموقف كجزء من عملية أوسع لوقف ظهور مؤسسات عربية فلسطينية مستقلة، وهى عملية تمثل، كما كان واضحاً، الأساس لعمل هذه اللجان. نفس هذا المنطق جرى تطبيقه أيضاً عندما نشأت تنظيمات على أساس ديني، سواء على مستوى القرى والبلديات أو على المستوى القطري.

عندما قدم الطلب بنقل الإشراف على أراضى الوقف إلى جهة إسلامية دينية، عارض الشاباك ذلك بشدة. وأصر على أن تبقى صلاحية اتخاذ القرار بشأن أوجه إنفاق أموال الوقف في حوزة جهة حكومية (ديوان رئيس الوزراء). وحتى يتولد مشهد إشراك المسلمين في اتخاذ القرار بالنسبة لممتلكات طائفتهم، اقترح الشاباك تشغيل لجان وقف حسب المناطق، على ألا يتعدى وضعها أن تكون مجرد لجان استشارية فقط. وبرر الشاباك القرار بأن وضع أي موارد مالية كبيرة تحت تصرف شخصيات مسلمة أو جهة إسلامية سيسمح بتكتل كل الطائفة الإسلامية حولها. وكان تحليل الأجهزة الأمنية أن الانقسام داخل الطائفة المسلمة، يرجع إلى غياب زعماء لهم ثِقل شخصي وغياب شخصيات تتمتع بنفوذ يمثل القدرة على الفعل - وهو الوضع الذي يجب الحفاظ عليه (٢).

موقف مُشابه تم تبنيه سواء على المستوى المحلى أو بالنسبة للمسيحيين. فعندما أراد أبناء الطائفة الأرثوذكسية في أعبلين (٣) إنشاء لجنة تمثلهم، في صيف ١٩٦٤، خشيت اللجنة أن "قيام مثل هذا الكيان سيكون واقعاً تحت تأثير الحزب الشيوعي الإسرائيلي وسيُنفذ أهدافه". واقترحت العناصر الأمنية الميدانية استخدام نفوذها وتأثيرها على أعضاء بارزين في هذا الكيان بغرض إقناعهم بعدم الانضمام إلى اللجنة المقترحة. وعندما ظهرت مبادرات مماثلة في عكا بعد ذلك بعام خشيت الأجهزة الأمنية مرة أخرى من أن يسيطر الحزب الشيوعي على اللجنة، حيث إن غالبية المرشحين كانوا من مؤيدي الحزب وأعضائه، وبعضهم أدين في الماضي بسبب نشاط وطني. وجاء قرار اللجنة كالتالي:

ترى اللجنة أن مجرد تشكيل تنظيم أو كيان ما هو أمر سلبي.

سيلتقي القائد العسكري مع القائم بأعمال هذه المنطقة، حتى يوقف بموجب صلاحياته منح التصريح بتشكيل هذا المجلس أو اللجنة.

سيلتقي ممثل مستشار شئون العرب في حيفا مع أعيان وكبراء الطائفة الأرثوذكسية في عكا بهدف حثهم على نبذ العناصر غير المرغوب فيها بينهم، وفي مرحلة لاحقة وعلى ضوء نتائج هذه المعالجة، ستتم دراسة إمكانية تشكيل مجلس للطائفة.

يكشف هذا القرار النظرة الشاملة للجنة (في البند الأول)، وعن طريقتي العمل الرئيسيتين لأعضائها. الأولى: استغلال الصلاحيات في إطار قوانين الطوارئ أو تشريع آخر (البند الثاني)، والثانية: استغلال التأثير الذي تمتع به وكلاء مؤسسات السلطة على قطاعات مختلفة من السكان (البند الثالث). ومن واقع خبرتهم أدركوا أن محادثات شخصية يمكن أن تؤثر بقدر غير قليل على الشخصيات المشاركة في مختلف المبادرات. ويأتي التأثير نتيجة علاقات شخصية تكونت على مدى سنوات بين ممثلي السلطات والشخصيات الفاعلة. لكن الأهم من ذلك، التأثير الذي كان نابعاً من القوة التي تملكها الأجهزة الأمنية وقدرتها على رسم الحياة اليومية والحياة السياسية لعرب إسرائيل.

لقد أصبح استخدام قوانين الطوارئ بالتزامن مع توظيف العملاء هو الأسلوب الرائج لدى اللجان الموسعة، سواء

في المواجهة التي أدارتها ضد النوادي في منطقة المثلث بمساعدة عبد الحي، أو بالإجراءات التي تم اتخاذها عام ١٩٦٤ ضد نوادي الجليل. وكانت الأجهزة الأمنية على قناعة تامة بأن النادي الموجود في قرية المكر (٤) بالجليل الغربي كان خاضعاً لتأثير حركة 'الأرض'. صحيح، كان من أبرز أعضائها هو محمد ميعاري، من زعماء 'الأرض' (الذي ترأس بعد ذلك بعامين الحركة التقدمية للسلام، جنباً إلى جنب مع العميد احتياط متاي بليد، وشغل من قبل الحركة مقعد كعضو في الكنيست الحادية عشرة والثانية عشرة، وفي انتخابات عام ٢٠٠٦ جاء في الترتيب الـ١٢٠ على قائمة التحالف القومي الديموقراطي). وقد اعتمدت اللجنة الموسعة في عملها طريقة الكماشة بشكل نموذجي. أولاً – أصدرت أوامر تحُد حركة النشطاء، كما قدموا للمحاكمة محمد ميعارى الذي توجه إلى حيفا بالمخالفة للأمر. بالإضافة إلى أن جهات قريبة من السلطات مارست نشاطها: وحددت اللجنة شخصيات في القرية كانت مستعدة لإنشاء ناد فاعل، 'إيجابي'، وقدمت طلباً لمستشار شئون العرب لتخصيص ميزانية مناسبة لهم. كما عملت اللجنة أيضاً ضد النادي الثقافي والرياضي لسخنين. فقد حاول أعضائها منع أصحاب الأبنية في القرية من تأجيرها للنادي، كما عملوا على إقناع رئيس النادي "بتقديم وعد لضباط الشرطة بوقف أي نشاط وطني"، هذا الوعد الذي سمح باعتقال نشطاء حركة 'الأرض' مساء الثالث والعشرين من نوفمبر ١٩٦٤ . وفي قرية نحف (٥) بالجليل الغربي كان الخوف من أن النادي يمكن أن يقع تحت تأثير الحزب الشيوعي الإسرائيلي أو حركة 'الأرض'. وعثر الأعضاء على مبرر: "أن من بين مؤسسي النادي عدد من الشخصيات التي لديها استعداد لتحويل مسار نشاطاته".

كان التقارب الحميم مع السكان العرب، في ضوء ذلك، شرطاً ضرورياً لممارسة اللجان الموسعة لنشاطها ضد العناصر الوطنية، وهو ما مكنها من تلقى العون من 'عناصر إيجابية'. وتطلب الأمر أحياناً جهداً كبيراً لتحقيق الأهداف المطلوبة. وتجلى ذلك في الأحداث التي وقعت في مناسبة مرور عشر سنوات على قيام دولة إسرائيل. ونتذكر، في عيد الاستقلال في ذاك العام، وفي الأول من مايو، جرت مظاهرات عارمة في أنحاء الجليل والمثلث، واعتقل كثير من النشطاء. لكن الغليان بدأ مع مستهل هذا العام، مع إعلان الوحدة بين مصر وسوريا (تأسيس الجمهورية العربية المتحدة)، وكان هناك بين أعضاء اللجنة المركزية من يخشى من ثورة شاملة للمواطنين العرب بدعم من عبد الناصر. غير أن تقديرات وتحركات أجهزة الأمن كانت تتم بطرق أخرى، من بينها أنها استدعت بعض النشطاء إلى الإدارة العسكرية لتحذيرهم. واستناداً إلى تقرير قدمه ضابط في الإدارة العسكري، أنه استدعى إلى مكتبه شخصيات وردت في القائمة التي أعدتها اللجنة، كلٌ بمفرده، وأبلغ كل شخص منهم بالتالي: "لقد تلقيت تعليمات من السلطات العسكرية لتنبيهك وتحذيرك بشدة من الانجرار وراء مثل هذه المخططات والممارسات، حتى لا تتخذ ضدك إجراءات شديدة الصرامة". وأدرك الذين تم استدعائهم أن الإدارة العسكرية لديها صلاحيات واسعة للعقاب، ضمن تعديلات وقائية لحالة الطوارئ. وتعلم الإدارة أنهم يعلمون. كانت ردود أفعال النشطاء، تجاه ما أبلغهم به ضابط الإدارة، تعكس الخوف من الدخول في مواجهة مع السلطات: قال الأول إنه "رجل مُنهك، ومريض، وملّ كل شيء. إنه سيلزم منزله ولن يتدخل في أي شيء. وجميع الادعاءات التي تعتبره يعمل ضد الدولة هي محض افتراء". ولم يكن حق الرد مسموحاً به لناشط آخر، هو منصور كردوش، إذ أن ضابط الإدارة خشي أن يكون "مُضطرباً ومُندفع". وسارع ثالث من بين المعنيين بالتحذير ليؤكد على أنه من غير الوارد مُطلقاً أن يشارك في نشاط إلى جانب الشيوعيين "لأنه هو وعائلته معروفون بكراهيتهم للحزب الشيوعي الإسرائيلي"، أما الرابع فأعلن أنه "على أتم استعداد للتعاون مع السلطات".

في هذه الحالة لم تكن المعلومات دقيقة، على ما يبدو، ولم تكن جميع الشخصيات متورطة في أنشطة ما. غير أنه لم تمر أسابيع قليلة حتى سادت موجة من الشعور الوطني في الأحياء العربية بإسرائيل. وقد كان الاحتفال بالذكرى العاشرة للنكبة جلياً في الكثير من الأماكن، وتحولت مظاهرة الأول من مايو إلى مظاهرة احتجاج جماهيرية، وجرى خلالها اعتقال عشرات الأشخاص. وسارع الحزب الشيوعي الإسرائيلي بالرد. فقد أنشأ 'لجنة شعبية للدفاع عن المسجونين والمبعدين' وجمع الحزب توقيعات ٤٥ شخصية على نداء لإطلاق سراحهم. وما أثار الدهشة الشديدة لدى أجهزة الأمن، أن الكثير من الموقعين "هم من الذين كانت لهم علاقات وثيقة مع السلطات". واجتمعت اللجنة المركزية واللجنة الموسعة للمنطقة الشمالية في جلسة طارئة لاتخاذ قرار في كيفية التصرف إزاء 'الشخصيات المتجاوبة' التي غُرر بها ووقعت على بيان الحزب الشيوعي. ومرة أخرى تم استدعاء الشخصيات المدرجة في قائمة اللجنة لعقد مناقشة توضيحية وتهديدية، وفي هذه المرة اتخذ جهاز الأمن العام (الشاباك) خطوة أخرى للأمام. فمن فرط التلهف لجعل الموقعين على بيان الحزب الشيوعي يسحبون توقيعاتهم، أعد الشاباك مسودة بيان بديل، يحمل بشدة على "النوايا المتعمدة للحكومة"، وإن كانت بصياغة أقل حدة من البيان الأصلي. والواقع أن كتابة منشورات وبيانات مناهضة للحكومة باسم مجموعات معارضة حقيقية أو مُفبركة هي واحدة من الوسائل المعروفة لدى وكالات

الاستخبارات في أنحاء العالم المختلفة، وكان الهدف من وراء ذلك في هذه الحالة هو إقصاء تلك الشخصيات عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي، غير أن الأمر لم يكن كافياً عند هذا الحد. لقد قررت اللجنة اتخاذ إقرارات شديدة، ولكن فقط ضد الموقعين الذين وُصفوا بأنهم "متجاوبون"، وليس ضد أعضاء الحزب الشيوعي الذين اعتبرتهم اللجنة حالات ميئوس منها. وبالتالي فتحت الشرطة تحقيقات جنائية خاصة بحق المقربين من المؤسسة الرسمية الذين انحرفوا عن الخط الرسمي، بغرض ردهم إلى جادة الصواب. وبالنسبة للحالات الأشد وطأة قررت اللجنة اتخاذ "إجراءات أخرى مثل إلغاء التصاريح الخاصة بهم وبعض المزايا الأخرى".

لم تكن تلك إلا طريقة اللعب المهذبة للأجهزة الأمنية. وكانت تهدف من ورائها إلى دعم التيار الموالى للمؤسسة الرسمية ووضع حد للمشاعر الوطنية. والواقع أنهم لم يكتفوا بالعمل في النطاق العام، بل بالعكس، اهتموا اهتماماً خاصاً بالبُعد الشخصي الحميمي. لقد أدركوا أنه من خلال الأحاديث الشخصية المباشرة تكون ميزان علاقات القوة في صالحهم. فمن يواجههم سيُصبح، بطبيعة الحال، "مُشوشاً ومُضطرباً" بل قد يقترح هو نفسه التعاون معهم. لقد أوجدوا منظومة مُتشعبة من الالتزامات. والواقع أنهم لم ينشطوا فقط في أوقات الطوارئ، كمظاهرات عام ١٩٥٨ . لقد كان عملهم يومي. بعضه يتم باستخدام قوالب ثابتة، وبعضه الآخر عن طريق مقابلات شخصية. وفي هذا الإطار اعتمدوا سياسة الثواب والعقاب، وبالتالي، احتفظوا لكل شخص بفواتير حساب، من قال ماذا ولمن..!، من الذي تطاول ومن الذي استجاب لطلب الإدارة. وهنا يكمن مصدر قوتهم. وكان ذلك أيضاً هو أهم ما يشغلهم في كثير من الاجتماعات.

لقد برزت سياسة الثواب والعقاب التقليدية في مجالين أساسيين، استخدام وترخيص السلاح، لكن اللجان تعاملت بهذه الطريقة أيضاً في مجالات حياتية أخرى. وغالبية ما يُقال في الاجتماعات لا يتم تنفيذه حرفياً، حفاظاً على سرية هوية الشخص. ولكن جلسة بعد أخرى تجرى مناقشات حول أشخاص، يكون عدد لا بأس به من الحاضرين يعرفونهم، أو على الأقل قرأوا تقارير عنهم. فقد ذكرت اللجنة أن ماجد الفهوم من الناصرة "أثبت مدى تعاونه في أثناء عملية الانتخابات لبلدية الناصرة وفي ظل المجلس الحالي. وهو يواجه أزمة مالية طاحنة وهو حالياً بلا عمل" وأشارت اللجنة في النهاية إلى ضرورة إيجاد فرصة عمل مناسبة له، ربما كمدير للفرع المحلى لهيئة الضمان الوطني. وبعد ما يقرب من عام ناقشت اللجنة مرة أخرى مصيره. لم يحصل على سيارة ومازال يجوب دون مصدر رزق على مدى سنوات. وأوصى الأعضاء بإعطائه تعويضات عن أراضى عائلته التي صودرت، وهو الأمر الذي لم يكن قد تم حتى حينه. على الأقل حتى لا يجوب الشوارع مُفلساً ويصبح مثالاً حياً لمرارة مصير الرجل الذي قضى حياته على علاقة بالحزب الحاكم، كما قالوا في اللجنة. وكان أبناء العملاء في قرية جيش (٦) ودير الأسد (٧) يبحثون عن عمل. واقترحت اللجنة إلحاقهم بالعمل كمُعلمين. وبخصوص عميل آخر قررت اللجنة توفير فرصة عمل له كحارس. وقدم عميل من قرية المغار طلباً إلى وزير النقل للحصول على "اللوحة خضراء" (٨) الخاصة بالسيارات الأجرة. واتفق أعضاء اللجنة على أنه "نظراً لأن الرجل متعاون قديم، يرى أعضاء اللجنة أنه يجب التوصية بالموافقة على الطلب". كذلك في الحالات الخاصة بالبناء غير القانوني كان الأعضاء يميلون إلى تقديم العون. فقد أقام أحد العملاء من وادي الحمام عدة أكواخ بدون ترخيص. وكان رئيس المنطقة الشمالية في الشاباك قد ذكر لأعضاء اللجنة إسهامات الرجل، ومدى تعاونه في الماضي والحاضر. وعلى ضوء ذلك، اتخذ القرار بمخاطبة وزارة الداخلية بالتوقف عن إجراءاتها القانونية ضده.

كان تقديم الدعم للعملاء هو أحد وجهي العُملة فقط. أما الوجه الآخر فقد تمثل في استخدام صلاحيات اللجنة لكبح جماح العمل الوطني. وقد استخدموا صلاحيتهم بصفة خاصة مع العاملين التابعين للدولة. طبيب بيطري اسمه جمال قطب كان يعمل في مجال الخدمة العامة. ووصلت معلومات إلى اللجنة بأنه كان يقاتل في صفوف القوات العربية في حرب ١٩٤٨، ومن بين المهام التي قام بها اشتراكه في التخطيط للهجوم على كيبوتس أوفك. كما عُرضت عليهم أيضاً معلومات حديثة مفادها أنه "مازال عربياً وطنياً يُشهر بالحكومة الإسرائيلية". وأوصت اللجنة بفصله من وظيفته. وقد رُفع الفصل بعد تدخل زميل يهودي تحدث عنه بشكل إيجابي، لكن مراقبته استمرت.

وكان أربعة معلمين في النقب قد اشتركوا في أنشطة شيوعية. فاجتمعت اللجنة الجنوبية للنظر في إقالتهم. وفي نفس الوقت طلبت من وزارة التعليم أن تقوم في النقب بحصر المعلمين ذوي الماضي الإيجابي وليس فقط أولئك الذين يستحقون العقاب.

كانت قضية التعامل مع المعلمين، كما رأينا، مسألة حساسة. وأصبحت هذه المسألة أكثر تعقيداً، عندما تعلق الأمر بمعلمين دروز مؤيدين للحوار العربي – الوطني، أو انضموا إلى الحزب الشيوعي وعارضوا التيار الدرزي المندمج في الدولة. وهذا ما حدث في قرية مغار في أوائل الستينات. وكان على اللجنة وقتئذ أن تجد وسائل للسيطرة عليهم.

وقد عُرض على اللجنة أنه "في قرية مغار التي كانت معروفة في الماضي بإخلاصها وولائها للدولة، برز في الآونة الأخيرة نشاط وطني وأعمال تحريض ضد السلطات. وتقف في بؤرة هذا النشاط مجموعة المعلمين الذين يجاهرون بمناهضة الدولة (...) والواقع أن أعيان القرية والمتعاونين مع السلطات (العملاء) يقفون عاجزين أمام هذه النشاطات وهم مُقتنعون بأن ضرراً بسيطاً لو لحق بهؤلاء المعلمين سيُهدأ المشاعر بدرجة كبيرة في القرية ويُعيد الوضع إلى سابق عهده". فقررت اللجنة: "فصل أو نقل المعلمين التالية أسماؤهم من أماكن عملهم الحالية في قرية مغار: سلمان قاسم قويدر، قاسم فريد غانم، فرحان جريس عرتول". وقال ممثل الشاباك (جهاز الأمن العام) إنه كان قد أحال القضية بالفعل إلى وزارة التعليم، إلا أنها تأخرت في الرد. وعلى ضوء ذلك قررت اللجنة أنه إذا لم يصل رد الوزارة، سيتم تطبيق إجراءات حالة الطوارئ على هؤلاء المعلمين، حيث سيُحظر عليهم الاشتغال بالتعليم أو يتم ترحيلهم من القرية. وإحقاقاً للحقيقة فإن اللجنة عرضت موقفها المقبول لدى أعيان القرية، وتدخلها كعون للتيار الرئيسي في القرية.

أحياناً كانت تطفو على السطح الحاجة إلى كبح جماح الجنود الدروز المارقين. وهنا دخلت القوانين العسكرية أيضاً حيز التنفيذ. كان أحد الجنود المسرحين من قرية مغار، ومن المقربين من جماعة المعلمين الوطنيين، قد نشر في صحيفة "الاتحاد" خطاباً ضد معاملو الجيش للدروز. واعتبرت أجهزة الأمن مثل هذا التصرف أمراً خطيراً. فالكشف عن المشكلات التي تواجه الدروز والتمييز ضدهم في الجيش كان كفيلاً بضرب المسيرة الطيبة لخلق نسيج من "تحالف الدم". وبادرت اللجنة إلى إجراء ينطوي على خطورة من وجهة نظر هذا الجندي: استدعاؤه لخدمة الاحتياط الفعلية، "فعندما يشق عصا الطاعة يقدم للمحاكمة". ويبدو أن هذا لم يكن رد الفعل المعتاد. في الغالب - وخاصة عندما اشتد تيار كتابات الدروز ضد التجنيد في النصف الأول من عام ١٩٦٢ - استخدمت أساليب مُخففة للغاية: دعوة الخبراء للتباحث مع ممثل الحاكم أو منسق الشاباك، وأحياناً من خلال وعد بالحصول على ترخيص سلاح، حتى تتم استعادتهم.

كانت هناك حالة مُعقدة لفرض السيطرة باستخدام مكان العمل مع ليلى جاد حبيبي، التي تربطها صلة قرابة بعضو الكنيست والكاتب إميل حبيبي. كانت تعمل في وزارات الرفاه الاجتماعي كمراقب. وكان زوجها هو شفيق شليوط، الناشط الشيوعي. في عام ١٩٦٢ اعتزمت وزارة الرفاه الاجتماعي إعادة تقسيم مناطق المراقبة، وكانت حبيبي تنتظر الحصول على ترقية. ولم تكن اللجنة راضية عن هذا الأمر، "خوفاً من أن تكون تحت تأثير زوجها الشيوعي". وكانت توصيتها أن "يطلب مكتب شئون العرب من وزارة الرفاه الاجتماعي تأجيل تنفيذ التوزيع الجديد لمناطق المراقبة لمدة سنة، على أن يُشار من قبل وزارة الرفاه إلى أن تعثر ترقيتها جاء نتيجة نشاط زوجها المعادى وأن القرار النهائي سيُتخذ في ضوء تصرفاتها". وهذا أيضاً يُعد مسلكاً نموذجياً. أولاً، استخدام التأثير على وزارة حكومية، حتى ولو كان الثمن هو عرقلة خطة إعادة التنظيم، ثم وفي النهاية - تسريب بطئ للمعلومات بهدف ممارسة الضغط على الموظفة، ومن ثم على زوجها.

كان نقل المعلومات بطريقة رسمية أو غير رسمية يُعد أسلوباً شائعاً لجعل الناس تُعيد النظر في نشاطها الوطني. فهناك شخص من الناصرة كان يعمل في شركة سياحية حكومية. وعندما وصلت معلومات بأنه بدأ يُظهر ميولاً وطنية توقفت ترقيته، ونجح شخص ما في تسريب هذه المعلومة إليه. وفقط عندما توفرت معلومات من الشاباك ومن الإدارة العسكرية "تشير إلى تحسن ملموس في تصرفات المذكور وإلى استعداده للتعاون"، تقرر السماح بترقيته. وتقدم قس من الجليل بطلب لإلقاء الموعظة، وكانت لدى اللجنة معلومات حول ميوله إلى الجبهة الشعبية. والتقى الحاكم العسكري بالقس، الذي أعرب عن إخلاصه للدولة واستعداده للتعاون مع أجهزتها. فوافقت اللجنة على أن يدعوه الحاكم العسكري لمقابلة أخرى وإذا كان الانطباع عنه إيجابياً يُسمح له بممارسة الوعظ. من جهة أخرى فإن إمام الطائفة الإسلامية في قرية أعبلين يحصل على راتب، كغيره من الأئمة، من وزارة الأديان. فقررت اللجنة أنه "أحد المحرضين في القرية. فهناك معلومات عن ماضيه السلبي". تقرر أن يتولى مندوب الإدارة العسكرية محاولة إعادته إلى جادة الصواب، "وإذا لم تنجح المحاولة ستوصى اللجنة بفصله". نائب رئيس بلدية الناصرة، نديم بطحيش، ألقى كلمة أمام مجموعة من القساوسة الأجانب جاءوا لزيارة إسرائيل، "تشوبها روح الوطنية". فقام مستشار شئون العرب في المنطقة الشمالية بمقابلته في لقاء لتفسير ما حدث. يحي دباح، ضابط مراقبة، وصلت اللجنة معلومات عن نشاط وطني من جانبه. تم استدعاؤه لمقابلة لدى إدارة وزارة الرفاه والعمل في القدس، وبدأ الشاباك مراقبته. وهكذا ناقشت اللجان بشكل روتيني مصير العاملين العموميين، والمخاتير وحتى المطربين: فكانت اللجنة توافق على أن يغنى بعضهم أمام كتيبة الأقليات وترفض البعض، في ضوء اشتراكهم بالغناء الوطني في حفلات الزفاف.

كذلك الشعراء الذين كانوا يمثلون ويُشكلون الخطاب الفلسطيني القومي أو الخطاب العربي الوطني المحلي، خاضوا غمار مناقشات مع اللجنة الموسعة الشمالية. في ديسمبر ١٩٦٢ اشترك محمود درويش في مؤتمر الجبهة

الشعبية في الناصرة وألقى قصيدة بعنوان "محبوبتنا الأرض". وقالت مصادر استخبارية إن القصيدة ألهبت مشاعر الحضور. وكلفت اللجنة جهاز الأمن العام (شاباك) بدراسة النص الأصلي للقصيدة للنظر في إمكانية تطبيق أحكام حالة الطوارئ. وبعد ذلك بعامين قررت اللجنة ضرورة إصدار أمر بتحديد إقامة ضد درويش، ولكن لابد من الانتظار لتوفر معلومات إضافية حول نشاطه السلبي. وكان مطلوباً من الشاباك أن يتتبع نشاطه ويضع تقريره عنه. تلك كانت بداية رحلة طويلة أدت إلى مغادرة درويش لإسرائيل، والانضمام إلى الحركة الوطنية الفلسطينية في المنفي، التي كتب من خلالها بيان الاستقلال عام ١٩٨٨ . ثم عاد إلى البلاد (وليس إلى الدولة – اختار الإقامة في رام الله) فقط بعد توقيع اتفاقات أوسلو، حيث اعتبر الشاعر الفلسطيني الوطني الأول.

لم يكن في مقدور الأجهزة الأمنية أن تتخذ بحق درويش سوى إجراءات إدارية، لأنه لم يكن من العاملين التابعين للدولة ولم يحصل على راتبه من مؤسساتها. كان الوضع مختلفاً بالنسبة للشاعر سميح القاسم، الذي تابعته اللجنة القطرية بعد ذلك بعام كامل. كان القاسم آنذاك يعمل في وقت واحد لدى وسيلتين إعلاميتين رسميتين باللغة العربية – صحيفة اليوم وصوت إسرائيل – في وظيفتين مرغوبتين تمنح لمن يُجيد التعبير عن الخط الرسمي للسلطات. غير أن القاسم بدأ في إظهار ميول وطنية ظهرت جلية في أشعاره. بعد أن نشر في صحيفة "الاتحاد" قصيدة عن حق عودة اللاجئين، قررت اللجنة أن تقوم الجهات التي يعمل لديها باستدعائه للفت نظره أنه "إذا استمر في نشاطه الوطني فلن يكون بالإمكان استمراره في العمل لديهم". ومن المعروف أن القاسم لم يتراجع عن مبادئه بعد هذا الإنذار، وفي غضون سنوات قليلة احتل مكانة مُتميزة كشاعر وطني مهم، تحظى إصداراته بشعبية واسعة في جميع أرجاء الشرق الأوسط.

كان التهديد بقطع مصدر الرزق وسيلة ناجعة في أحيان كثيرة. وكانت الوسيلة الأخرى هي منح تراخيص بحمل السلاح أو سحبها. في عام ١٩٦٣ وصلت معلومات بأن سكرتير مجلس طمره (٩) المحلى صدرت عنه عبارات وطنية. فتقرر وقف العمل بترخيص السلاح الخاص به. كان الهدف من القرار هو الردع، وبالتالي لم يُسحب منه الترخيص إلى الأبد. "حيث كانت النية هي إعادته عن طريق الوطنية الذي بدأ الانخراط فيه، وسيدرس الحاكم على ضوء سلوكه في المستقبل مدى إمكان إعادة الترخيص إليه". حدث ذلك أيضاً مع نائب رئيس مجلس بقعين المحلى، الذي بدأ في التقرب إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي. وكان من الواضح أمام اللجنة أنه يجب معاقبته حتى يتأكد من أن مصاحبته للشيوعيين ستعود عليه بالخسارة. ولعدم وجود طريقة أخرى، قررت اللجنة سحب ترخيصه.

ابن عميل من قرية مكر شتم عضو الكنيست جبر مُعدي لأنه صوّت لصالح استمرار الحكم العسكري. فاستُدعى والده لتفسير الموقف أمام الحاكم العسكري ولكن ما أدهش هذا الأخير أنه بدلاً من التواضع والاعتذار عن تصرف ابنه، تبجح وكان صفيقاً. وعندما بُحث طلبه بتجديد ترخيص سلاحه، قررت اللجنة عدم رفضه في تلك المرحلة. واعتقد الأعضاء أن الفرصة ما تزال قائمة إعادته إلى رشده. بالمقابل، هناك مواطن من سخنين اسمه عبد الله كان من بين المناهضين لنقل خط المياه القطري في أراضي القرية ببقعة بيت نطوفة، لم يتم التعامل معه بهذا التسامح وسُحب ترخيص سلاحه.

كانت هناك حالات لها حسابات أكثر تعقيداً: إذ قام نجيب وهو أحد سكان إعبلين بإطلاق النار من سلاحه المرخص أثناء حفل زفاف، وأحيل الموضوع إلى تحقيق جنائي. واعتبرت الشرطة أنه من الأصوب عدم تجديد ترخيصه، خصوصاً لأن "مستوى تعاونه في الماضي كان أدنى من المقبول". أما الشاباك فكانت له نظرة أخرى: فطالما الرجل وأسرته مازالوا يتلقون توجيهات من السلطات فإن استعدادهم للتعاون قائم"، وأوصى بالإبقاء على رخصته. وأوضح مندوبو الشاباك عن القطاع الشمالي باللجنة، أن معاقبة أسرة بالكامل في هذه المرحلة الحساسة ستمثل خسارة كبيرة، وأخذ برأيهم. هنا، كما في حالات أخرى كثيرة يمكن أن يؤخذ العامل الأسرى في الاعتبار: فالأجهزة الأمنية تعاملت مع شخصيات لم تكن المناقشة معهم باعتبارهم مجرد أفراد، بل، كاستثناء من نظرية التعامل مع البنية الاجتماعية العربية في إسرائيل، وكذلك باعتبارهم ممثلين لأسر وعائلات، لذلك فإن حسابات الثواب والعقاب ومواءمات أجهزة الأمن، كانت مُتبعة في أحيان كثيرة مع عائلات وأسر بعينها.

كان الاعتبار المأخوذ به في بعض الأحيان طائفياً: كانت قد وصلت إلى الإدارة العسكرية والشاباك معلومات بشأن عبارات وتصريحات وطنية للقس سليم مُعلم من دير حنا. كان الاتجاه هو مصادرة سلاحه. لكن اللجنة خافت أن يفسر المطران حكيم، رئيس الطائفة الكاثوليكية التي ينتمي إليها سليم، هذه الخطوة على أنها إضرار مُتعمد بوضع الطائفة في القرية. ومرة أخرى كان هناك حل مُبتكر: حيث قام مندوب الحاكم العسكري بإبلاغ القس بمصادرة سلاحه، ولكن لن يُنفذ هذا الإجراء فعلياً ولن تكون له صلاحية قانونية عن طريق بلاغ إلى وزارة الداخلية. وإذا صدر تعليق من حكيم – سيكون من الممكن إلغاء البلاغ وتقديمه كمذكرة إلى المطران حكيم. وإذا لم يصل أي تعليق أو رد فعل خلال شهر، يُحال البلاغ إلى الإدارة المحلية لوزارة الداخلية من أجل مصادرة السلاح.

من ناحية أخرى، فإن منح السلاح أو ترخيص بحمل سلاح كان من أبرز ملامح إظهار حسن نية من جانب السلطات تجاه شخصيات لها قدرها. لقد حصل عملاء الوحدة ١٥٤ في الغالب على ترخيص سلاح. في النقب ناقشت اللجنة طلب البدوي سالم بالحصول على ترخيص لبندقية صيد. وقد عارضت الشرطة في البداية: "ملف المذكور يشير حتى الآن إلى العديد من عمليات التهريب وعلاقات مع المتسللين". غير أنه كان عميلاً لوحدة شعبة الاستخبارات ١٥٤، وقد أدلى ممثل الشاباك إريا بن يعقوف بما يعرفه للجميع: "لا أعرف بدوى يحمل السلاح ولكن المذكور ليس متهماً بأي اتهامات منسوبة إلى (...). ومن غير المعقول ألا نعطى سلاحاً لشخص يعمل مع الوحدة ١٥٤ . فهذا الشخص قدم خدمات كبيرة وفي اعتقادي يجب إعطائه السلاح المطلوب". وهذا ما تقرر بالفعل. في منتصف الخمسينات خرجت شوشنا هر تسيون، شقيقة المقاتل في الوحدة ١٠١، ميئير هر تسيون، للتنزه في الجزء الأردني من صحراء يهودا بصحبة صديقها عوديد وجمياستر، فقتل الاثنان على أيدي البدو. فأرسلت الأجهزة الأمنية بدواً من إسرائيل إلى موقع الجثتين، بينما استعانوا بزملائهم من وراء الحدود. قام أحدهم بجلب الجثتين إلى داخل إسرائيل، وطلب البقاء داخل حدود الدولة. وأوصت اللجنة بالموافقة على طلبه، وكذلك إعطائه منحة مالية وترخيص سلاح. وطلب درزي اسمه "على" ترخيص سلاح. وكان الرد على طلبه إيجابياً: فقد ساعد نحماني لشراء أراضى في منطقة كسرا. وقد استخدم منح الترخيص أحياناً أو منعه، كأداة لإجبار الأشخاص على الامتثال لتوجيهات السلطات. وكان جندي تم تسريحه قد طلب ترخيص سلاح. وكانت تأديته الخدمة العسكرية داعماً له (كان ينتمي إلى قبيلة الهيب التي أدى معظم أبنائها الخدمة العسكرية). لكن استقر في منطقة ضرب النار ١١٠، وحتى تقديم الطلب، في مطلع ١٩٦٤، ورفض مغادرة المنطقة. "الرأي: طالما أنه مخالف للقانون ويسكن في منطقة ضرب النار ١١٠ فلن يحصل على ترخيص سلاح. أما إذا انتقل من هناك وتقدم بطلب جديد فسيُوصى الحاكم العسكري بالموافقة على طلبه".

منذ أواخر الخمسينات، وعلى مدى حقبة الستينات، انخفضت بالتدريج قوة الإدارة العسكرية. وحظي المواطنون العرب بتسهيلات معينة في حرية التحرك، وأزيلت الكثير من المعوقات عن حياتهم اليومية. وكانت وراء ذلك أسباب عدة، اقتصادية (الحاجة إلى الأيدي العاملة في المدن اليهودية)، وسياسية إقليمية (حل الجمهورية العربية المتحدة أو فك الوحدة المصرية السورية ١٩٦١ وتراجع المخاوف الإسرائيلية من هجوم عربي يتحالف فيه العرب ضد إسرائيل) وسياسية داخلية (الضغط من جانب أحزاب المعارضة - التي رأت في الإدارة العسكرية أداة تخدم الماباي - ومن جانب تيارات غير برلمانية أيدت المساواة في الحقوق مع العرب). وفي الأول من ديسمبر ١٩٦٦ ألغي نهائياً نظام الإدارة العسكرية. وإن استمرت صلاحية الإجراءات الوقائية في حالة الطوارئ وتولت الشرطة مسئولية تطبيقها. ولم تتوقف ملاحقة تصريحات عرب إسرائيل حول الدولة، وكذلك مراقبة النشاط السياسي. وبعد ذلك بسبعة أشهر اندلعت حرب الأيام الست (يونيو ١٩٦٧).

خلال فترة ترقب الحرب - في شهري مايو ويونيو ١٩٦٧ - ضاعفت الأجهزة الأمنية من مراقبة العرب في إسرائيل، واتضح عدم الحاجة فعلياً للإدارة العسكرية لإحكام السيطرة وجمع المعلومات. وكانت التقارير حول التصريحات المناهضة لإسرائيل تصل من جميع أنحاء البلاد. فقد قالت امرأة من الناصرة إنه لا حاجة لتخزين الطعام لأن الجيوش العربية ستصل قريباً وسيوجد الطعام بوفرة. وأعرب أحد سكان القرى العربية عن أمله "في أن يقضى عبد الناصر على اليهود وعندئذ سأتمكن من التحرك في جميع أنحاء البلاد بدون تصريح". ومن الناصرة قال أحدهم لصديقه "هذه المرة ليست ١٩٤٨ ولا حرب سيناء. هذه المرة تدخلت مصر بقواتها وستريهم". في شفا عمرو قال أحدهم لجاره الذي جُند في الجيش الإسرائيلي: "سيأتي عبد الناصر ويذبحك"، وغير ذلك الكثير من الأقاويل. هؤلاء الذين رددوا هذا الكلام جرى استدعائهم للتحقيق والتحذير. والتزمت غالبيتهم بالسلوك القويم. والقليل منهم الذين عادوا لنفس السلوك قبض عليهم. وكان هناك درجة ما التوتر بين الدروز والمسلمين، تطورت في عدة حالات إلى مشاجرات.

في الوقت نفسه وردت التقارير اليومية للشرطة والشاباك أيضاً عن مظاهر كثيرة متطابقة المواقف مع الدولة. وكان هناك موقفان سائدان طوال عقدين في أوساط المجتمع العربي في إسرائيل عبرا عن نفسهما بصورة قوية تجاه الحرب. فالدروز، الذين انخرطوا في أداء الخدمة العسكرية الإلزامية بين صفوف الجيش الإسرائيلي منذ عشر سنوات، سارعوا إلى عقد مؤتمرات تأييد للدولة. غير أن مظاهر مماثلة انتشرت أيضاً في قرى مسلمة ومسيحية كثيرة. وقد وقع ما يقرب من مائة شخص في قرية أم الفحم على وثيقة تأييد للدولة، وفي قرية جيش جُمعت حوالي ستة آلاف ليرة إسرائيلية لواحدة من لجان دعم الجندي، وفي حيفا تم التوقيع على وثيقة تفاهم مع الدولة وقّع عليها مشتركين مسلمون ومسيحيون (وكانت الشرطة هي التي تقف وراء هذا العمل)، وطلب بعض سكان معيليا وترشيحا تقسيم المسئولية بالتساوي على جميع مواطني الدولة، والتقى أعيان قرية قرع مع ممثلي المستوطنات اليهودية القريبة

وعرضوا مساعدتهم في الأعمال الزراعية بسبب تجنيد الرجال اليهود في صفوف الجيش الإسرائيلي. وتطوع شباب قرية سولم لمساعدة كيبوتس مرحفيا، ووضع أصحاب الحظائر حظائرهم تحت تصرف الجيش الإسرائيلي، وساهم الموظفون بالمجلس المحلى في أم الفحم بأجر يومي عمل لصالح الدولة، وأرسل عمال قرية كفر كنا (١٠) برقية تأييد للشرطة وكذلك فعل مُعلمو قرية كابول. وكل هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر.

وخلال أسبوع واحد على بدء الحرب قام مستشار الحكومة لشئون العرب في المنطقة الشمالية، نسيم توكتالى، بحصر موقف عرب إسرائيل تجاه الأطراف المتحاربة، وذكر أنهم "اتفقوا، في غالبيتهم، مع الدولة وأيدوها في صراعها الأمني والاقتصادي. وجاء تقرير الشاباك بداية عام ١٩٧١ ليُعدل هذه الصورة. فقد ذكر الشاباك أن الأمر لا يتعلق بتوافق أو تأييد حباً في الدولة، بل أن شعور عرب إسرائيل بقلة الحيلة هو الذي أعاقهم عن تقديم العون لأعمال تخريبية أو حتى لإبداء مواقف مُغايرة. إنهما نظرتان مختلفتان. فعرب إسرائيل بناءً على تقدير مستشار شئون العرب، تطابق موقفهم مع دولة إسرائيل. يعنى ذلك، أن عملية استيعاب قيم الدولة بين العرب قد أتت ثمارها. أما تقرير الشاباك في المقابل، فلم ير في مظاهر التأييد تعبيراً عن شعور حقيقي. فالتقرير يشير إلى أن ما منع العرب من القيام بأي عمل ضد الدولة كان، وقبل أي شيء آخر، منظومة السيطرة المحكمة التي اتبعتها الأجهزة الأمنية.

هاتان الخطتان، اللتان عرضنا لهما طوال الكتاب، أكملت إحداهما الأخرى على مدى سنوات. لقد كانت الخطتان جزءاً من حركة الكماشة التي اعتمدتها الأجهزة الأمنية، التي استخدمت خلالها وسائل إدارية صارمة إلى جانب وسائل الإقناع والدعاية. غير أن ما قامت به الدولة لم يكن هو فقط الذي أدى إلى تطابق ما في رأى العرب مع الدولة. أولاً، على مدى هذه السنوات، كما رأينا، كان هناك عرب توافقوا مع كل ما هو إيجابي من الدولة، وفعلوا ذلك بشكل منفرد، وليس بالضرورة كنتيجة لعمليات الإقناع أو الإجبار التي اتبعتها المؤسسة الرسمية. ومن ناحية أخرى، هناك عناصر وجهات أخرى في المجتمع العربي لم تقتنع بالدعاية الإسرائيلية، ولم يكن لوسائل الإقناع والإجبار تأثير عليهم. وبالرغم من محاولات الأجهزة الأمنية، فإن الدوائر الوطنية العربية في إسرائيل لم تتوقف عن العمل بأي حال من الأحوال. لقد أداروا صراع عقول في مواجه الدولة، وأحياناً عمدوا إلى تطوير وجهات نظرهم ومواقفهم. ومن خلال ذلك نجحوا في بلورة ونشر الخطاب الوطني العربي – الفلسطيني – الإسرائيلي. فعلوا ذلك عشية حرب ١٩٦٧، وكذلك بعدها. حيث عملوا في محيط اجتماعي وسياسي جديد تماماً. وكانت نتيجة هذه العملية المركبة هو ما نلمسه الآن باعتباره الهوية الجمعية لعرب إسرائيل.

الهوامش:

١- هناك أيضاً مجالات أخرى لم تتضمنها القائمة كانت تتطلب تصريحاً خاصاً من الجهات الأمنية، وكانت النقاشات تكشف أحياناً عن معطيات خطيرة. فهناك شخص يُدعى فواز من قرية طورعان طلب أن يفتح دكان بقالة. تقدم بطلب رسمي. واعترض الحاكم العسكري: حسب معلومات وردت إلى الجهات الأمنية شارك فواز في معارك بمنطقة سجره خلال عام ١٩٤٨ . والأهم من ذلك، أن معلومات استخبارية أشارت إلى أنه كان متورطاً في معركة بمنطقة بيت كيشت قتل خلالها سبعة حراس، وبعد المعركة توجه إلى القرية ومعه سنتين ذهبيتين انتزعهما من إحدى الضحايا. ونظراً لأن الشرطة لم تتمكن من تأسيس اتهام جنائي فقد أغلق ملف التحقيق، وخلافاً لرأى الحاكم العسكري قال قائد منطقة نافت يزرعئيل إن منعه من فتح محل بقالة لا يستند إلى أساس قانوني. إنها حالة اعتمدت فيها الحسابات على الماضي وليس الحاضر، ولم يكن هدفها تتبع نشاط سياسي.

٢- عندما بدأت احتفالات النبي صالح في الرملة تسارعت وتيرتها وتحولت من احتفالات متواضعة إلى احتفالات جماهيرية (في مايو ١٩٦٧ وصل خمسة آلاف للاحتفال)، وأوصت الشرطة للبحث عن طريقة لتقليص هذا الحضور الكبير. ذلك رغم حقيقة أن رئيس بلدية الرملة كان بين الخطباء في مراسم الاحتفال وحمل المشاهدون أعلام إسرائيل إلى جانب أعلام الطوائف المختلفة.

٣- تقع إعبلين في الجليل الأسفل بإسرائيل. يسكن بها حوالي ١٠٢٠٠ مواطن من عرب ٤٨، ٥٤٪ منهم مسلمون و٤٦٪ منهم مسيحيون (حسب سجلات وزارة الداخلية الإسرائيلية لعام ٢٠٠٢). تم إقامة مجلس إعبلين المحلي في عام ١٩٦٠ . النمو السكاني هو ٠،٨٪.

٤- مكر أو المكر هي قرية مسيحية إسلامية بالقرب من مدينة عكا ويعود تاريخها إلى القرن السادس عشر، وجرى دمجها مع قرية 'جديدة' التي تحمل نفس السمات التاريخية والسكانية وأنشئ مجلس محلى لقرية جديدة المكر في القطاع الشمالي من إسرائيل.

٥- حتى قيام الدولة كانت المساحة الادارية لقرية نحف حوالي ١٦٠٠٠ دونم. من سخنين إلى كسرا الشمالية.

وخلال عامي ١٩٥٠ و١٩٦٠ تقلصت المساحة مع إنشاء مدينة كرميئيل فوصلت إلى ٥٠٠٠ دونم فقط. وقد وُضعت الرسومات الهيكلية لنحف مع تأسيس المجلس عام ١٩٦٨ واعتمدت عام ١٩٨٤، وكانت المساحة في الرسوم الهيكلية ٧٦٠ دونم.

٦- قرية جيش بالجليل الأعلى، بالقرب من طريق ساسا/ صفد رقم ٨٩، على بُعد ٤ كيلومترات عن تسوميت ميرون. يعيش في القرية ٢٠٠٠ نسمة، غالبيتهم من المسيحيين (الموارنة) وأقلية مسلمة. وهناك كنيسة ومسجد في القرية. خلال عام ١٩٤٨ استخدمت القرية كقاعدة لجيش الإنقاذ، ومن بعدها استقر فيها لاجئون من قرية برعام، ينتظرون حتى الآن اليوم الذي يعودون فيه إلى قريتهم.

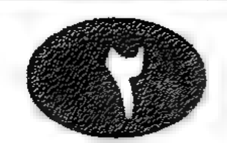
٧- هي القرية الرابضة على سفح جبل المغر، أحد سلسلة جبال الجليل الأعلى، تقع في شمال البلاد، على بعد واحد وعشرين كيلومترا من عكا شرقا، وشمالي طريق المواصلات الذي يربط عكا بمدينة صفد.. كانت تسمى قبل أن استقر بها الشيخ محمد الأسد قدس الله سره "بدير الرهبان" أو "دير الخضر" أو "دير البعنة". وصدر الاسم منسوب إلى دير سانت جورج الذي أقيم أثناء الحملات الصليبية على بلاد الشرق وبخاصة فلسطين تحت شعار حماية قبر المسيح.. سميت القرية دير الأسد نسبة إلى الشيخ محمد الأسد الذي يعود نسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يتصل نسبة بالحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٨- اصطلاح باللهجة العامية يُقصد به ترخيص تشغيل سيارة أجرة (تاكسي). فبعد قيام دولة إسرائيل كان المُتبع استخدام تراخيص ولوحات للتسيير ذات ألوان مختلفة: الأحمر والأبيض والأزرق. وخُصصت اللوحة الخضراء لرُخصة السيارة التي يُسمح باستخدامها كسيارة أجرة (تاكسي) ولذلك ارتبط الاسم بتصريح تشغيل سيارات التاكسي وبقى هذا الاصطلاح في اللغة حتى بعد إلغاء اللوحة الخضراء.

٩- طمره مدينة عربيه تقع في الجليل الغربي من فلسطين داخل "الخط الأخضر" تبعد مسافة ١٨ كم عن مدينة عكا و٣٠ كم عن مدينة حيفا، يبلغ عدد سكان المدينة نحو ٢٧٠٠٠ نسمة (٢٠٠٥)، جميع سكان المدينة هم من المسلمين، كانت طمره قرية حتى عام ١٩٩٥ حيث أصبحت مدينة.

١٠- كفر كنا يقع مجلسه المحلى في القطاع الشمالي من إسرائيل وتبلغ مساحتها الإدارية ١٠,٦٦٠ دونم. وقد أعلنت مجلساً محلياً عام ١٩٦٨ . يبلغ عدد سكانها ١٧,٦٠٠ نسمه غالبيتهم من المسلمين.

◆ دراسات ◆



كتاب اليهود العرب.. الانتماء القومى والدينى والعرقي (الفصل الثاني-٢): الدين.. كيف تم اعتبار اليهود العرب دينيين قوميين....؟

بقلم: يهودا شنهاف - ترجمة وإعداد: د. أشرف الشرقاوي

٤ - الدين عباءة من السهل التخلى عنها: شموئيل يفنيئيلى كمبعوث دينى

كتب يفنيئيلى فى خطاب للدكتور ي. طاهون يقول: "إن اليهود أنفسهم يختلفون بجسدهم الضئيل عن أبناء الأمم الأخرى الذين يتمتعون بصحة البدن وبجماله. ولم أجد هنا خامة بشرية تصلح لأرض إسرائيل".

عندما ذهب يفنيئيلى إلى اليمن مبعوثاً من قبل الدكتور آرثر روبين عام ١٩١٠ - من أجلٍ تشجيع العمال اليهود على الهجرة للعمل فى المستعمرات - أشار بشكل صريح إلى اضطراره للتخفى فى مهمته قائلا:

"لدواعى الحذر خشية إغضاب الحكومة التركية تقرر أن تجرى هذه المهمة تحت ستار ديني، وكان على أن أبدو ظاهرياً كأنى مبعوث من قبل الحاخام أبراهام يتسحاق كوك فى يافا، وأن أنقل إلى حاخامات الطوائف اليهودية فى اليمن مجموعة من الأسئلة فى شئون الزواج والطلاق والشئون الاجتماعية وشئون الصلاة والمعابد وأن أحصل منهم على ردود كتابية عليها. وقد تحركت من يافا إلى بور سعيد وأنا مزود برسالة ومجموعة أسئلة صادرة عن الحاخام كوك".

وقد أكد يفنيئيلى أن مهمته فى اليمن كانت عملية مشتركة بين قيادات الحركة العمالية، ولا سيما منظمة "العامل الفتى" وعلى رأسهم يوسف أهارونوفيتش ومجموعات معينة من فلاحى المستعمرات والكوادر السياسية من أمثال إلياهو سابير وأهارون أيزنبرج وممثل التيار الدينى "أبراهام يتسحاق كوك" الحاخام الأكبر ليافا والمستعمرات" (يفنيئيلى ١٩٣٢ ص٨). أضف إلى هذا أن الطوائف اليهودية فى اليمن كانت تنظر إلى مهمة يفنيئيلى على أنها استمرار طبيعى لمهمة الحاخام يعقوف سابير، الذى ذهب إلى بلاد الشرق فى ٢٥ يونيو ١٨٥٥ من أجل جمع التبرعات بهدف "إعاشة الفقراء وبناء معبد.. فى فناء خربة سيدنا يهودا هاحسيد... وتعليم التوراة" (سابير ١٩٤٥ ص١٤). وقد أقام سابير- الذى كان مدرساً فى مدرسة "عيتس حاييم" الدينية وكان من العاملين فى جمعية دفن الموتى الخاصة بالجالية الإشكنازية فى القدس وكان أديب طائفة الفريسيين- فى اليمن لنحو ثمانية أشهر. كان سابير يوصف بأنه مبعوث دينى "يتمتع بسلطة طاغية هى سلطة أرض إسرائيل، وكان يتصرف ويتحرك من منطلق هذه السلطة، فأيقظ الشعب من ثبات روحى وأخلاقى ووضع قوانين ودعم قوانين قائمة، وأصدر موافقات وفصل فى نزاعات، وحقق السلام بين الطوائف والفرق والأسر اليهودية..." (سابير ص٩). وقد سافر يفنيئيلى إلى اليمن ليسير فى ذلك الطريق الذى مهده سابير. ووُصف هو الآخر بأنه مبعوث دينى من أرض إسرائيل. وقد سافر من أرض إسرائيل كمبعوث دينى سواء وفقاً لفهمه لمهمته أو وفقاً للخطاب التقليدى الذى كتبه الحاخام أبراهام يتسحاق كوك إلى رؤساء الطوائف اليهودية فى اليمن ورجال الدين فيها والذى حمله يفنيئيلى معه، وجاء فيه: "قادم إليكم الحاخام المبجل السيد اليعازار

بن يوسف لزيارة بلادكم، والسيد الحاخام المحترم مقيم فى الأرض المقدسة منذ بضع سنين، وهو ملم ببعض عادات الزواج لدى أشقائنا... وقد أرسلناه بهذا الخطاب بهدف البحث والتقصى لدى حضرات الحاخامات ليستكمل معلوماته، حتى يمكننا السماح للطوائف اليهودية اليمنية المقيمة لدينا نحن أيضاً بأن تتصرف وفقاً لهذه العادات فتنتقل عادات الآباء إلى الأبناء" (يفنيئيلى ١٩٣٢ ص١٨٥-١٨٦).

وفقاً لما ذكره الحاخام أبراهام يتسحاق كوك (من مكتب محكمة العدل الدينية ليافا والمستعمرات) تتمثل أهمية مهمة يفنيئيلى فى دراسة أنماط الحياة الدينية لدى يهود اليمن حتى تتمكن المؤسسات المعنية فى الأرض المقدسة من مساعدة المهاجرين من يهود اليمن الذين تجمعوا فيها على الاحتفاظ بعاداتهم الدينية الغريبة على اليهود المهاجرين من الدول الأوروبية واليهود الإشكناز. وقد كتب فى رسالته إلى حاخامات اليمن ورؤساء الطوائف اليهودية فيها ما يلي:

"لا شك أنكم تعلمون أن السنوات الماضية شهدت تجمع أعداد كبيرة من يهود الشتات هنا فى الأراضى المقدسة، ومن بينهم عدد لا يستهان به من أبناء الطوائف اليمنية. وقد توطن عدد كبير منهم فى المستعمرات، رغبة منهم فى أن يصبحوا من العاملين فى فلاحة الأرض المقدسة، حتى يتعيشوا من العمل فيها ويعولوا أسرهم وأنفسهم بكرامة من جهدهم وعمل أيديهم. فطوبى لهم. ونظراً لأن أغلب المستوطنين لدينا من اليهود الروس والأوروبيين القادمين من فرنسا وإسبانيا، الذين لديهم عادات مختلفة تماماً عن عاداتكم فى الشئون المتعلقة بالتوراة والمسائل الدينية، ونظراً لأن القادمين إلينا من بلادكم يريدون أن يتصرفوا على نفس النحو الذى تفعلوه وان تكون عاداتهم كعاداتكم، ونظراً لوجود مسافة طويلة تفصل بيننا وبينكم ولعدم وجود من لهم دراية بعاداتكم لدينا، فإننا ليس فى استطاعتنا تحديد الأساس الصحيح لسلوك وعادات هؤلاء الناس لدينا، حيث يختلف كل منهم عن الآخر فيما يعرفه من عادات كثير منها غريب عن عاداتنا". (يفنيئيلى ١٩٣٢ ص١٨٥).

يقول يفنيئيلى إن وضعه كمبعوث دينى والطبيعة الدينية لمهمته كانا أمراً بديهياً فى نظر يهود اليمن. وفى نفس الوقت يتبين من كلامه الذى سأورده لاحقاً مدى اللامبالاة التى استقبله بها يهود اليمن:

"قلت لهم إننى مبعوث من قبل حاخام يافا لمعرفة مختلف العادات التى جرى العرف عليها لديهم، وكذلك للتعرف على حياة يهود اليمن بصفة عامة.. ومن خلال هذه الزيارة ومن خلال ما سمعته فى هذه المدينة تكون لدى انطباع بأن وجود حاخامات قادمين من أرض إسرائيل هو أمر معتاد هنا ولا أحد يكثر من الحديث معهم، وكل ما يفعلونه هو أنهم يستقبلونهم عند حضورهم ويودعونهم عند سفرهم بعد أن يسلموهم الصدقات المطلوبة ليتخلصوا منهم. وقد وجدت نفسى أنا الآخر فى نفس هذا الموقف. فقد استقبلونى بالأمس وفقاً لفهمهم للأمور ووفقاً لما جرى العرف عليه لديهم، ولما جئت إليهم اليوم كانوا يتساءلون عما جئت أفعله ثانية. ورغم أنى أخبرتهم بالأمس أن مهمتى لم تنته وأن هناك أشياء أود الحديث عنها، إلا أنهم لم يفهموا قصدى على ما يبدو".

وبالفعل فإن يفنيئيلى حدد لزيارته أهدافاً تختلف عن أهداف المبعوث الدينى الذى ذهب إلى اليمن قبله. فقد كان يبحث عن عمال مجتهدين (وصفهم بأنهم "خامة بشرية تناسبنا") يتمتعون بالصحة وبقوة البدن ويعملون فى الفلاحة أو فى الحرف اليدوية، ويكونون على استعداد للذهاب للعمل فى المستوطنات، وتكون لديهم القدرة على تمويل نفقات سفرهم للأرض المقدسة. وقد أشار فى حينه إلى وجود عنصر مختلف فى مهمته نظراً للمهمة المحددة التى سافر لتأديتها، وكذلك نظراً للاختلاف فى مكانته الرمزية. وقد كتب فى هذا الشأن ما يلي: "كان المبعوثون يأتون من أرض إسرائيل/ فلسطين إلى اليمن مرة كل بضع سنين، وسواء كانوا من الشرقيين أو الإشكناز فقد كان الشبه بينهم كبيراً. فقد كانوا يأتون لجمع التبرعات. وسواء كان التبرع الذى يحصلون عليه موجهاً للصالح العام أو لمدرسة دينية أو لهذا الصندوق أو ذاك، إلا أنهم جميعاً كانوا يمدون أيديهم. ورغم ذلك فقد كانوا ضيوفاً مكرمين، وكانوا موضع ترحاب وحب. ولكن هل كان من بينهم من يدعو للهجرة أو من يأتى ببشرى ليهود اليمن..؟ كلا". يدرك يفنيئيلى مكانته المتميز، التى تستمد تأثيرها من استمرارية النظام القديم من ناحية، وتسعى من ناحية أخرى إلى تقويض هذه الاستمرارية وخلق نظام قومى جديد يعيد اليهود إلى التاريخ. وفى هذا الصدد يقول:

"كانت النتيجة التى توصلت إليها هى أن اليمن فيها مجال واسع للعمل الصهيونى فى كافة المجالات التى اعتدناها فى الدول الأخرى. وإذا كنت ظننت قبل حضورى إليها أن من الممكن نقل اليهود من أرض اليمن إلى أرض إسرائيل خلال بضع سنين، فقد أصبحت هذه الفكرة لاغية الآن. فمثل هذه الطائفة القوية الراسخة التى وصفتها لكم لا يمكن أن تنتقل إلى أرض إسرائيل فى فترة وجيزة. كذلك فلا يمكن أن يتخيل المرء أن كافة اليهود الموجودين هناك يمكنهم أن يصبحوا عمالاً لدى الفلاحين لدينا. ولكن بعضهم سوف يسافر إلى أرض إسرائيل/ فلسطين، وهذا البعض

سيسافر بالتدريج عاماً بعد عام، وربما جيلاً بعد جيل. ولكن الذين سيبقون فى اليمن أيضاً سيحتاجون منا لبعض الاهتمام، لأن من واجبنا أن نشركهم فى عملية الإحياء القومي، ومن واجبهم أن يشاركوا فى العمل".

وحتى يكون من الممكن الترويج لبشارة الإحياء القومى فى اليمن اقترح يفنيئيلى إرسال من وصفهم بأنهم "مبعوثين قوميين" يعرفون العبرية (حتى يتميزوا ويصبحوا نموذجاً يُحتذى به ويخلقون من حولهم محيطاً عبرياً) كما اقترح أيضاً إرسال حرفيين. وطلب فضلا عن ذلك إرسال ما وصفه بأنه "أدب قومى متفق عليه"، يتناول النواحى الدينية والعلمانية على حد سواء، وقد كتب فى الرسالة التى أرسلها فى هذا الشأن ما يلي:

"ولتتضمن الشحنة كتيباً عن "بتسلئيل" وكتيب "البشرى الطيبة"... وأعمال إحاد هاعام وأشعار بياليك والتقرير السنوى لمدرسة المعلمين العبرية فى يافا، وكتاب علوم الطبيعة لبرنشتاين، وكتاب جغرافيا أرض إسرائيل وأطلس خرائط صغير، وكتاب تاريخ الشعوب وكتاب تاريخ الشعب اليهودى وسلسلة الكتب العلمية التى تصدرها دار "توشيا": مثل كتاب "السماء" لبلماريون وكتاب الأرض وكتاب نظرية الحياة وسلسلة كتب "من حياة الشعوب" وكتب "انجلترا" و"تاريخ محمد" و"تاريخ الحاخام موسى بن ميمون" و"كل جيل له خطباؤه" و"معرفة الرب" لبرنفيلد ومجموعة كتب الحاخام كوك عن أرض إسرائيل وخطب هرتسل وماكس نورداو بالعبرية حول وضع اليهود وكتيباً عن هرتسل وكتيباً عن الصندوق القومى وتقارير موجزة عن المؤتمرات الصهيونية. علي أن يتم إرسال كل هذه الأشياء بالبريد... وسوف تلقى أشعار بياليك وكتابات إحاد هاعام ومجلة هاشيلواح عدداً كبيراً من القراء الواعين هنا".

من الممكن أن نجد فى مذكرات يفنيئيلى تلك الازدواجية التى أشرت إليها آنفاً والتى كانت من سمات الخطاب القومي. وتتجلى هذه الازدواجية أيضاً فى كلامه؛ حيث يثنى على التقاليد اليهودية القديمة، ولكنه فى نفس الوقت يتخذ شكل الداعية الثقافى القومي، الذى يعبر عن أسطورة الإنتاجية فى أرض إسرائيل وعن رفض الشتات. ويظهر ذلك فى الفقرة التالية:

"إن يهود اليمن ليسو سوى يهود شتات. وهم مثل كافة يهود الشتات يعملون فى التجارة والحرف اليدوية. وقد صاحب الدعوة إلى الهجرة للبلاد دعوة إلى تغيير المبادئ، تمثلت فى الدعوة لحب العمل واحتقار المال الذى أصبح يعد مصدر القذارة واحتقار التجارة والتجار الذين يأكلون الفتات من فوق موائد أبناء الأمم الأخرى، وحب الأرض التى أصبحت تعد مصدر الطهارة. كنت أدعوهم إلى تناول الطعام من فوق مائدة المكان: وأعنى بذلك من الحقل، ليأخذوا من يد الخالق بشكل مباشر دون وسيط. وكانت الدعوة الرائجة فى ذلك الوقت هي: لا تثقوا فى أى إنسان! ازرعوا الأرض وثقوا فى الرب. ازرعوا وادعوه أن يبارك لكم، ولا تشتغلوا بالتجارة وتعتمدوا على سخاء أبناء الأمم الأخرى. طهروا أرواحكم بالبقاء فى أرض إسرائيل وبالعمل فى فلاحة الأرض، التى ليس بها نجاسة. واهربوا من العمل فى مجال التجارة لأنه ينطوى على غش وخداع وخطيئة وإقراض للمال بالربا وهو خطيئة".

اقترح يفنيئيلى فضلاً عن ذلك الاستفادة من سلطة الحاخام كوك فى الدعوة لتهجير اليهود للبلاد. ومن هذا المنطلق كتب فى خطاب لروبين وتاهون ما يلي: "حتى يشعر مئيرى يتسحاق وأمثاله بالاطمئنان أقترح أن تطلبوا من الحاخام كوك حاخام يافا أن يكتب إليه خطاب يعبر فيه عن وجهة نظره فيما يتعلق بعمل جيش يهودى فى خدمة الأمم الأخرى الصديقة، وكذلك أن يرد على السؤال بشأن ما إذا كان يحق لأحد منع نفسه من الهجرة للبلاد لهذا السبب".

غير أن المهمة القومية التى سافر يفنيئيلى لأدائها والتى تتمثل فى استقدام عمال وفى الترويج للإحياء القومى الصهيونى أدت إلى توتر حتمى نتج عن التناقض بين المهمة القومية وبين المهمة الدينية التى سافر إلى اليمن تحت ستارها. وقد وصف يفنيئيلى فى خطاب مؤرخ فى يناير ١٩١١ لقاءً حافلاً مع الحاخام باسى حاخام الخليل الذى كان ضيفاً فى مدينة عدن فى ذلك الوقت. وقد ظهر بوضوح فى وصفه لما جرى فى هذا اللقاء اختلاف طبيعة مهمته:

"حدثنى الحاخام باسى بلغة عبرية بلكنة محلية وأعرب عن رغبته فى أن يرد بنفسه على أسئلة الحاخام كوك فى التو. غير أننا فى تلك اللحظة بدأنا نتحدث بصراحة حديثاً طويلاً من القلب إلى حد كبير... قلت له فى البداية إنه بخلاف السؤال عن يهود اليمن وعاداتهم فقد أرسلنى الحاخام كوك أيضاً للبحث فى كيفية تحسين أوضاع الطوائف اليهودية فى اليمن. وبالتالى فقد انتقلنا من هذه النقطة إلى الحديث أيضاً عن هجرة يهود اليمن واتفقنا على أن السبب فى قلة عدد المهاجرين هو الفقر".

طلب يفنيئيلى من الحاخام باسي- بحكم وحدة المصير بينهما- أن يوضح ليهود اليمن أن مهمته ليست مهمة عادية:

"طلبت من الحاخام باسى حاخام الخليل أن يشرح لهم أننى لم آت لآخذ وأننى لست مبعوثاً (بمعنى أنى لا أمد

يدي). بعد ذلك شرحت له المزيد عن خطتي. وقلت إننى سوف أشترى بعض الأشياء لمؤسسة يهودية وسوف أرسل إلى البلاد بعض الفنانين وسوف أرسل أيضاً بعض العمال لفلاحة الأرض، وأن كل هذا بهدف دعم الاستيطان اليهودى فى البلاد. وأخيراً سألنى عن الجهة التى تمول نفقاتي، فقلت له إننى لا أعرفها على وجه الدقة فى الواقع، ولا أعرف سوى الدكتور روبين وهو من قيادات الحركة الصهيونية، أما من أين يأتيه المال، فهذا ما لا أعلمه..؟"

وأخيراً فقد كتب يفنيئيلى إلى الدكتور تاهون ما يلي: "سألنى الحاخام باسى عن السبب الذى جعل الحاخام كوك يمتنع عن الكتابة عن كل ما حكيته له. فقلت له إننا نخشى الكتابة عن هذه الأمور إلا أنه سيكون من الممكن الآن أن أطلب خطابات توصية. وأعتقد أن قيام الحاخام كوك أو شالوش أو البروفسور شاتس أو الدكتور روبين بكتابة خطاب توصية سوف يعزز مركزي... ولذلك فعليكم أن تفعلوا كل ما يمكنكم فى هذا الشأن". وقد تمكن يفنيئيلى من استخدام الحاخام باسى فى تحقيق أهدافه رغم تشكك باسى فى نوايا يفنيئيلي، حيث جعله يفنيئيلى يقوم بتوصيل رسالة إلى طائفة يهودية فى إحدى المدن يدعو فيها القادرين على العمل فى الفلاحة ممن يتمتعون بالصحة ويحبون البلاد ولديهم نفقات الطريق للهجرة إلى أرض إسرائيل/ فلسطين". سعى يفنيئيلى فى مهمته إلى تصوير التنافس بين الدين والقومية وإلى تصوير العلاقة بينهما على أنها علاقة خلاف معلن بل وتوتر، حيث كان يفنيئيلى يحسب خطواته باعتباره يتظاهر بأنه مبعوث ديني. ورغم أننا ليس لدينا دليل على ما سأقوله الآن إلا أن ما نشهده هنا قد يكون عبارة عن تعزيز لما تم التعارف عليه من إرسال المبعوثين الدينيين بحيث يمثل كل شخص مبعوثين دينيين فى آن واحد. أما المبعوث الأول فهو المبعوث الدينى الحقيقى القديم، وأما الثاني، فهو المبعوث القومى الذى يعد لعبة يمارسها هذا المبعوث. وقد كان يفنيئيلى حسبما نتذكر يحمل رسالة من الحاخام كوك. وقد فكر فى تجنيد الحاخام لكتابة رد على الشكوك التى طرحها مثيرى يتسحاق بشأن هذا المشروع، ولكن هدفه الحقيقى كان استقدام عمال من أجل العمل اليهودى فى أرض إسرائيل، وكذلك الترويج لبشرى الإحياء القومي، والبدء فى إثارة الخواطر لصالح الحركة الصهيونية. وتوضح هذه الازدواجية وجود أفضلية واضحة للاحتياجات القومية والاقتصادية للاستيطان على الاحتياجات الدينية للطوائف اليهودية فى البلاد. وهكذا فقد كانت عباءة الدين مجرد مظهر خارجي. كما أن يفنيئيلى قد اكتشف أنه ليس من الممكن الاستغناء عن التمسح فى الدين لأنه يمثل غطاءً شرعياً للعمل القومي.

تشير حكاية يفنيئيلى التى تكشف عن الازدواجية بين العمل الدينى والقومى فى مهمته إلى التوتر بين شكلين من أشكال العمل القومي. الشكل الأول هو الشكل الليبرالى الذى يعتبر القومية مشروعاً عصرياً لبناء المجتمع (Hobsbawm1992). والثانى يمثل النظرة القومية الرومانسية التى تضفى على الدين مسحة قومية باعتباره يعبر عن هوية مؤكدة غير نشطة توقظها الهوية القومية من جديد (Smith 1986K Smith 1995). وقد تكشف هذا التوتر بسبب إدراك يفنيئيلى لوجوده ومحاولته التغلب عليه عن طريق التملق والخداع (من خلال استخدام السلطة الدينية لتبرير العمل القومى والعمل الزراعي). وقد كشف لنا كيف سقط فى الخيوط التى نسجتها حوله عباءة الدين. وفى الجزء التالى من الكتاب سوف نجد محاولة للحد من الصراع وجعل نشاط المبعوثين الدينيين فى مكان الصدارة من العمل الصهيونى نفسه، فيما قد يكون هدفه الحد من التوتر بين الدينيين والعلمانيين، الذى بسببه اضطر يفنيئيلى إلى التخفى مما عقد مهمته.

٥- رأى أوسيشكين فى المبعوثين الدينيين العصريين:

كان مناحم م. أوسيشكين من قيادات حركة أحباء صهيون (١) وكان مدير الصندوق القومى (٢) فى السنوات ١٩٢٣-١٩٤١ . وكان يمثل الصندوق فيما كان يسمى "الصهيونية التطبيقية" (٣). وقد طلب من القيادة الصهيونية فى عام ١٩٢٩ دعم مؤسسة الجباية الدينية. وقد كتب فى هذا الشأن ما يلي: "إن هذه المؤسسة هى مؤسسة شديدة الأهمية، وبدونها لا يمكن تخيل كيفية أدائنا لما نقوم به من عمل على الإطلاق... عليكم دعم هذه المؤسسة من خلال مجالس إدارة الصندوقين حتى يصبح من الممكن توسيع نطاق عمل هذه المؤسسة ودعمها". كانت تلك الفترة هى فترة بداية الانتعاش والخروج من الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الشديدة التى تعرض لها الاستيطان اليهودى فى عام ١٩٢٦، والتى أنهت فترة الصحوة الاقتصادية التى جلبتها معها موجة الهجرة الرابعة. كان من مظاهر هذه الأزمة أيضاً انهيار قطاع البناء والبطالة التى تفشت وتزايد عدد حالات إفلاس التجار. وكان دور مبعوثى الجباية فى جمع المال يعتبر إسهاماً هاماً فى بناء الاستيطان اليهودي. وقد صدر هذا الكلام عن أوسيشكين بهدف دعم مشروع الجباية فى ظل الاستهانة والنقد الذى تردد على ألسنة مبعوثى الجباية، الذين اعترضوا على تكليفهم بالتركيز على جمع التبرعات المالية وليس على العمل الأيديولوجى فى مجال البعث القومى الصهيوني. فقد كان الكثيرون يعتقدون أن جمع التبرعات المالية دون الاهتمام الكافى بنشر فكرة البعث القومى أدى إلى تشابه شديد وخطير للغاية بين مهمة

الجباية العصرية وبين مهام الجباية اليهودية القديمة فى عالم الشتات القديم؛ وهو ما تم تصويره على أنه يتناقض مع أسطورة إنتاجية الاستيطان القومي الجديد. وقد قام أوسيشكين- الذى وجد نفسه فى مصيدة الخطاب الصهيونى الذى يبرز التعارض بين القديم والجديد- بإخراج عملية الجباية الدينية من سياقها التاريخي. ووضعها فى مكان الصدارة من المشروع الصهيوني. ونقاها مما شابها من معان دينية وطفيلية. وهكذا يقول أوسيشكين عن مبعوثى الصندوق القومى والصندوق التأسيسى (٤) ما يلي: "أنا أيضاً أسميهم مبعوثين للجباية الدينية، وأعتقد أن هذه التسمية تشير إلى الاحترام وليس إلى الاستهزاء أو الاستهانة" (أوسيشكين ١٩٢٤ ص٣٠٥). وقد كان فى هذا التوجه قدر من البلاغة، ليس فقط نظراً للمشكلات التى واجهها أوسيشكين فى إدارة الصناديق وإنما أيضاً لأن تلك الفترة كانت فترة حاسمة فى تشكيل ملامح الخطاب الثقافى القومى فى أرض إسرائيل/ فلسطين وإعادة صياغته.

يتصدى أوسيشكين لانتقادات المبعوثين – التى صدرت كما سبق القول من منطلق فهمهم للتعارض بين القديم والجديد – عن طريق خلق امتداد صناعى بين القطبين المتعارضين وتوسيع مجال استخدام مفردات الخطاب الصهيونى فيقول: "عندما يأتى أحد المؤرخين فى المستقبل ليطلع على ما فعلته تلك الأجيال، سوف يبرز أمام عينيه نوعان من مبعوثى الجباية الدينية فى آن واحد. نوع كان موجوداً منذ نحو مائة عام، ونوع آخر موجود فى أيامنا هذه. وسوف ينظر أبناء الأجيال القادمة إلى النوعين فى احترام شديد؛ بعد أن يستمتعوا بثمار البناء العظيم الذى بنيناه نحن والأجيال السابقة من أبناء الاستيطان القديم". كان أوسيشكين بكلامه هذا يؤدى دورين: دور المؤرخ ودور أحد كوادر الحركة الصهيونية. فهو يسعى إلى إدماج القديم (الديني) فى الجديد (القومي) على اعتبار أن هذا كان جزءاً لا يتجزأ من العمل القومي. وقد وصف مبعوثى الصندوق التأسيسى والصندوق القومى بأنهم "مبعوثى الجباية الدينية" وذلك فى الفقرة التالية:

"البعض يسميهم مبعوثى الجباية الدينية، وهذا الاسم يذكرنا بالآباء المؤسسى للاستيطان اليهودى القديم الذين كانوا يرسلون هؤلاء المبعوثين، وبالنظرة المتعالية التى ينظرها أبناء هذا الجيل إلى هؤلاء المبعوثين ومهمتهم. وعلى الجانب الآخر، فقد جاء الصهاينة الفاضل واتهمونا بأننا استغرقنا فى مهمة واحدة وهى مهمة جمع التبرعات المالية، وبأننا لا نفعل أى شيء بمفهوم الدعاية الصهيونية العامة، من أجل التعليم الصهيونى والقومى للشعب. وأعتقد أن هذه الرؤية ليس لها أى محل من الصحة. فهى خاطئة ولذلك فهى أيضاً خطيرة. فلو وضعت مجالس إدارة الصناديق هذه الرؤية فى اعتبارها سيكون عليها أن تلغى تدريجياً كافة مهام الجباية الدينية. وأعتقد أن ذلك ينطوى على خطر عظيم" (أوسيشكين ١٩٢٤ ص٣٠٤).

وفقاً لرأى أوسيشكين لن يكون من الممكن إدماج الجانب الدينى فى الجانب القومى الصهيونى سوى من خلال إخضاع الدين للأساس "العرقى القومي"، وهو ذلك الأساس الجماعى الثقافى العرقى اللغوى (الذى أصبح له الآن طابع جغرافى أيضاً) والذى يؤدى إلى "التجدد القومي" (Smith 1986). تعد الصهيونية وفقاً لرأى سميث "قومية الشتات" (Diaspora Nationalism)، ويعد التجدد العرقى من وجهة نظره تعبيراً عن تلك الرغبة الجماعية من جانب أبناء الجماعة فى العودة الموطن "العرقي" أى إلى الأرض المقدسة (Smith 1995). وتستغل هذه النظرية الأصل العرقى اليهودى وتعطيه مساحة واسعة النطاق من الهلامية بما يجعل من الممكن اعتباره يهودى دينى وقومى علمانى فى نفس الوقت. فالأصل العرقى يمكن تشبيهه بوعاء مغلق تجرى فى داخله عملية تبادل مستمر بين اليهودية كدين وبين اليهودية كقومية.

يدل التواصل التاريخى بين المفاهيم اليهودية الدينية والمفاهيم القومية الصهيونية هو الآخر على توجهات اليهودية. فقد كان الاتجاه الدينى فى الحركة الصهيونية بالكامل- بدءاً من الحاخام تسفى هيرش كليشر ومروراً بالحاخام يتسحاق يعقوف راينس والحاخام يهودا حى القلعى ووصولاً إلى الحاخام أبراهام يتسحاق كوك- يعتبر الحركة الصهيونية وسيلة للإحياء الدينى وحركة للعودة والإحياء فى أرض إسرائيل/ فلسطين فى نفس الوقت. كان الحاخام كوك هو الذى حقق هذا التواصل الجريء والمبتكر فى الحركة الصهيونية بين الدينى والعلمانى من خلال اعتبار التوجه الصهيونى واحتلال الأرض جزءاً من بداية الخلاص وقدوم المسيح المخلص (رابيتسكى ١٩٩٣).

فى وقت من الأوقات طالب موشى ليف ليلينباوم – الذى كان من أوائل مؤسسى حركة أحباء صهيون وكان معروفاً بأنه من أشرس معارضى الاتجاه الدينى الأرثوذكسي- بوقف الحرب ضد الدينيين والتعاون معهم من أجل تحقيق الحلم القومى (عيلام ٢٠٠٠). وأكد أن الفرصة لجعل الحركة الصهيونية حركة شعبية لن تأتى من دوائر المثقفين وإنما ستأتى من داخل الجمهور اليهودى المتدين الذى يحمل فى داخله "مشاعر دينية قوية وتراث الديانة اليهودية التى لها جوهر قومى إلى حد كبير" (عيلام ٢٠٠٠ ص٢٢٩). لقد جذبت حركة أحباء صهيون إليها جماهير من المتدينين

وأصبحت من الناحية العملية حركة لها فرعين؛ الأول فى أوديسا قلعة المثقفين والليبراليين والثانى فى محور وارسو بياليستوك الذى كان للمتزمتين فيه بقيادة الحاخام شموئيل موهليفر تأثير شديد. كانت الفكرة القومية بمثابة رغبة ملحة منعت اليهود العصريين من التخلى عن الديانة اليهودية. أما فيما يتعلق باليهود المتدينين "فقد تمكن عموم أبناء الشعب اليهودى من البقاء بفضل انتشار القومية العلمانية. وفى النهاية فإن كل من يبقى فى إطار القومية اليهودية من الممكن أن يعود إلى حظيرة الديانة اليهودية لأنه ليس من الممكن الفصل بين الاثنين" (عيلام ٢٠٠٠ ص٢٤٥). وفضلا عن ذلك فإن معارضة الجمهور اليهودى المتدين فى أوروبا للحركة الصهيونية لم يكن السبب فيها أن الصهيونية تدعو للانشقاق على اليهودية، بل العكس؛ لأن الصهيونية وعدت بتحقيق سيادة يهودية، بل وقدمت نفسها على أنها الوريثة الشرعية للديانة اليهودية التاريخية التى يتسم أبناؤها بالتدين، والتى تسعى لتحويل الديانة اليهودية من ديانة تدعو للالتزام بالتعاليم والأوامر والنواهى الدينية إلى ثقافة (المرجع السابق ص٢٣٤). جاءت الإمكانيات سالفة الذكر للوساطة بين الدين والقومية نتيجة لوجود عنصر "عرقي" مشترك يجرى فى إطاره صراع لتحديد ملامح الديانة اليهودية (راجع مثلث العلاقات الذى أشرت إليه فى المقدمة).

بهذه الروح يطمس أوسيشكين الفوارق بين الدينى والدنيوى أو بين الأساس الدينى والأساس القومى العلماني، وذلك عن طريق إخضاع القطبين المتناقضين للعنصر العرقى المشترك من خلال الاستهانة بالتغيير التاريخى (فهؤلاء الذين كانوا موجودين منذ مائة عام هم نفس من يعملون فى عصرنا) وعن طريق إخضاع الزمن التاريخى للبعد الجغرافى القومي. ولدعم أهمية العمل الأيديولوجى الصهيونى لمبعوثى الجباية الذين أرسلتهم الصناديق يبرز أوسيشكين الجانب الإنتاجى المبتكر فى مهمتهم مقارنة بجمع التبرعات الطفيلي، الذى كان البعض ينظر إليه على أن قريب للغاية من عمل مبعوثى الجباية القدماء. وهو فى هذا الصدد أيضاً يصف مهارة المبعوث فى أحاديث كثيرة للجمهور ويصف قدرة المبعوثين على التكيف مع طوائف عديدة من الجمهور:

"فى الماضى عندما كان المبعوث الدينى يأتى لبلدة يهودية كان يتحرك حقاً من بيت إلى آخر ويقوم بجمع التبرعات، ولكنه كان يخطب أيضاً فى المعابد ويتلو التوراة فى أيام السبت أثناء العشاء. أما مبعوثونا العصريون فعندما يذهب أحدهم إلى مكان حتى لو كان يذهب من بيت إلى آخر من أجل جمع التبرعات فإنه أيضاً يقف على المذبح ويبلغ الحضور بتحيات المقيمين فى أرض إسرائيل، ويساعد فى الترويج لفكرتنا (الصهيونية) بين الشعب. ويردد هذا المبعوث العصرى كلمات مأثورة على مسامع الشعب فى أماكن الدعوة للحركة الصهيونية أو فى المعابد.. ويتحدث عن أرض إسرائيل. فإذا كان الحضور من كبار السن فإنه يحدثهم عن الأماكن المقدسة، وإذا كانوا من الأثرياء أصحاب الأملاك فإنه يتحدث إليهم عن المستعمرات والمزارع وعن التوقعات التى تتناول مستقبل التجارة والصناعة فى أرض إسرائيل/ فلسطين. أما إذا كان بين الشباب فإنه يتحدث عن الريادة والإقدام وعن المشكلات القومية وعن السعى لتملك أبناء العرق اليهودى للأرض... وإذا لم يفعل ذلك يكون غير جدير بالعمل فى مهام الجباية" (أوسيشكين ١٩٣٤ ص٣٠٥).

تنطوى كلمات أوسيشكين على أول محاولة للجمع بين طلب التبرع وبين فكرة البعث القومي. فمبعوث الجباية أصبح رمزاً للناحية العرقية التى اكتسبت فى كلام أوسيشكين مسحة سياسية ودنيوية وخضعت للجانب الجغرافى الذى أضفى عليها مسحة من الشرعية القومية العصرية. ويوصف هذا الجانب الجغرافى القومى هنا بأنه سمة أساسية لمؤسسات الجباية العصرية. و يشير أوسيشكين -بربطه بين عملية جمع التبرعات المعروفة وبين الناحية العرقية- إلى أن الجباية هى عنصر هام من عناصر الأيديولوجية الصهيونية، وليست مجرد ممارسة مرفوضة. فهو لا يجد تعارضاً بين الأماكن المقدسة والمستعمرات من ناحية وبين والصناعة والأرض والريادة من ناحية أخرى. إذ أن كل هذه الأشياء تعد من أسس الحركة الصهيونية. وكلما زاد تبلور الوعى القومى زادت مهام مبعوث الجباية. ووفقاً لنموذج مبعوث الجباية لدى أوسيشكين لم يعد من الممكن أن يتنكر مبعوث الجباية، ولم تعد هناك ضرورة لذلك. فهذا النموذج هو نموذج ثقافى أيديولوجى يضم العنصر الدينى بشكل مشروع بعد أن جعله من سمات مشروع الإحياء القومى وألحقه به.

من اللافت للنظر هنا وجود تعارض بين المفهوم الدينى الذى يطرحه أوسيشكين والمفهوم التاريخى الصهيوني. فلم يكن الدين هو الذى تحول إلى مصدر للوعى العرقى نظراً لاستمراريته (فيما يعد تطوراً طبيعياً يشهد على الاستمرارية التاريخية التى يتحول الوعى الدينى فى إطارها إلى وعى عرقى قومي) بل كان الأساس العرقى المتجدد هو الذى أخضع الدين لمقتضياته فى إطار المشروع القومي. وبمعنى آخر فقد اكتسب الدين مسحة قومية من خلال استخدام عناصر ميتافيزيقية قومية. والأدهى من ذلك حسبما سأوضح فى موضع لاحق أن الملامح الدينية للمهام

الصهيونية أصبح لها صلة بالشرق أكثر من أوربا، كما أصبح مصطلح مبعوث الجباية نفسه أكثر ارتباطاً بالممارسات اليهودية (الصهيونية) فى الدول الإسلامية.

فى عام ١٩٣٢ سافر عالم الجغرافيا أبراهام برفر فى رحلة إلى سوريا وبابل وكردستان وإيران. ويصف برفر فى كتاب أصدره تحت عنوان "غبار الطريق" أسلوب عمل مبعوثى الجباية فى مناطق يهود الدول الإسلامية. يحكى برفر عن لقاء مفاجئ- حدث فى القطار فى الطريق من القدس إلى دمشق- مع شخص وصفه بأنه "مبعوث جباية مسلم"، فيقول: "فى طريقى من القدس إلى دمشق قابلت مبعوث جباية من مكة.. لقد اعتدنا مقابلة أنواع متعددة من مبعوثى الجباية اليهود من البلدات الأربعة المقدسة - (القدس والخليل وطبرية وصفد) - وهم مسافرون إلى أى بلدان أجنبية. بينما لم يتسن لى مقابلة مبعوث جباية منهم (من المسلمين)، قادم من الأراضى المقدسة فى الحجاز ومكة سوى فى رحلتى الأخيرة بعد خمس وعشرين عاماً من استقرارى فى الشرق" (برفر ١٩٤٤ ص١٢٩). من الممكن بدون أى صعوبة أن أرى تشابهاً بين هؤلاء المبعوثين وبين الأعيان ومبعوثى الجباية والمسئولين الذين يعيشون على الصدقة لدينا. ولكن وفقاً لوصف الأوروبيين القلائل الذين زاروا الأراضى المقدسة فى الحجاز فإن المستوى الأخلاقى والثقافى لدى هؤلاء المبعوثين منخفض عن المستوى الأخلاقى لمبعوثى الجباية لدينا" (نفس المرجع ص١٣٢). ويفسر ذلك بقوله: "إن كافة أحاديثه وحركاته تشبه أحاديث وحركات المتدينين اليهود، ويمكن- بعد تعديلات طفيفة- مقارنته بأى مبعوث للجباية من النموذج الشعبى عندنا. ويبدو أن الظروف المتشابهة يمكن أن تفرز شخصيات متشابهة" (نفس المرجع ص١٣٣).

كانت نظرة برفر إلى مبعوث الجباية المسلم نظرة صهيونية تنظر إلى عملية الجباية الدينية اليهودية على أنها عملية ذات جوهر ثابت، بل وتوسع من نطاق هذه الظاهرة. والأدهى من ذلك أن برفر يطبق السياق الميتافيزيقى اليهودى على الدول الإسلامية ليس باعتبارها منطقة دينية فحسب وإنما أيضاً باعتبارها منطقة عرقية. ففى هذه المنطقة العرقية يجرى النظر إلى المسلمين واليهود على أنهم أبناء ثقافات مختلفة وبالتالى فإنهم ينتمون إلى أسس عرقية مختلفة لا يمكن الخلط بينها لخلق ثقافة سياسية واحدة، وذلك رغم التشابه الظاهر بين الطرفين. إن تناول وضع المبعوثين الدينيين بعيداً عن سياقه التاريخى يشبه تناول الناحية العرقية بعيداً عن سياقها التاريخى وجعلها أساساً يتجاوز نطاق الزمان.

لقد حول أوسيشكين وغيره من الصهاينة مبعوث الجباية القومى فى عصره من مبعوث دينى إلى مبعوث يحمل بصمة عرقية ترتبط بالمشروع القومي. ويسمح لنا الأساس العرقى رغم عدم ثباته الشديد بإعادة اليهود إلى نطاق التاريخ. ولكن كما سأوضح فى موضع لاحق، هناك اختلاف شديد بين الغرب والشرق فى تقييمهما للعنصر العرقي. وإذا كان الخطاب الصهيونى فى الغرب سعى إلى التعبير عن العنصر العرقى بمصطلحات الهوية الثقافية وليس الدينية، فقد سعى العنصر الصهيونى فى الشرق إلى التعبير عن العنصر العرقى بمصطلحات دينية بحتة ترتبط بالتراث الديني. وقد عبرت الجباية الحديثة- باعتبارها نوع من الكهنوت العرقى القومي- تماماً عن هذا الفارق بين الغرب والشرق.

٦- عباءة الدين لا يمكن التخلى عنها بسهولة

الديانة اليهودية كنقطة انطلاق لعودة اليهود العرب إلى التاريخ

كانت سنوات الأربعينات فى المنطقة الإيرانية العراقية ثالث علامة فارقة فى تاريخ الجباية الدينية. وكما ذكرت فى الفصل الأول فإن المبعوثين الصهاينة الأوائل قد وصلوا إلى المنطقة متظاهرين بأنهم جنود بريطانيون أو عمال فى مؤسسة سوليل بونيه فى عبدان. وفى الفترة ١٩٤٢- ١٩٤٥ كان هناك نحو أربعمائة وخمسين شخصاً يقيمون فى تلك المنطقة إقامة دائمة. وهناك عدة عناصر أثرت فى الاهتمام الذى أبداه الاستيطان اليهودى فى فلسطين بيهود العراق وإيران (وقد استعرضنا هذه العناصر على نطاق واسع فى الفصل الأول). كان من بين هذه العناصر الحاجة إلى تهريب اللاجئين اليهود- الذين تجمعوا فى فترة الحرب العالمية الثانية على الحدود بين إيران والاتحاد السوفيتي- براً إلى أرض إسرائيل/ فلسطين. وكان العنصر الثانى هو خطة تهجير مليون يهودى التى طرحها بن جوريون وكان الدافع لها هو الخوف من ميل الميزان الديموجرافى لصالح العرب فى أرض إسرائيل/ فلسطين. وكان العنصر الثالث هو المذبحة التى ارتكبت ضد يهود العراق فى يونيو ١٩٤١ . وفى هذا الصدد يقول أحد العاملين فى مؤسسة سوليل بونيه فى عبدان: "نحن نحتاج إلى هذا المكان من كافة النواحي. نحتاج إليه حتى يتمكن العمال العبريون من الذهاب إلى أماكن عديدة وإبلاغ الطوائف اليهودية بوجودهم وبأخبارهم، ومن أجل إبلاغ طوائف الشتات بأخبار الوطن. وبخلاف هذا فإن علينا أن نحرص على رفع شأن الشعب العبرى أثناء آدائنا لمهامنا".

خلال الفترة ١٩٤٢- ١٩٥٠ كان فى العراق نحو أربعين مبعوثاً مباشراً أرسلتهم مؤسسات الهجرة الثانية. أقام

بعضهم فى العراق لبضع شهور بينما ظل آخرون فيها لعامين كاملين. وقد كان أغلبهم يقيم بشكل أساسى فى بغداد، ولكنهم كانوا يقومون بزيارات إلى المناطق المستهدفة (للاطلاع على التفاصيل راجع بحث أ. مئير ١٩٩٣: ١٩٩٦). وقد تم توثيق الكثير من لقاءاتهم مع يهود العراق حسبما ذكرت فى الفصل الأول فى خطابات ووثائق وتقارير أرسلوها لمؤسسات الهجرة الثانية فى البلاد. ويظهر من خطابات هؤلاء المبعوثين مدى اهتمامهم بمسألة تدين اليهود الذين التقوا بهم. فقد كان التدين منتشراً فى العراق بين طبقات عريضة من الجمهور (أ. مئير ١٩٩٣)، وذلك رغم الاحتكاك بين الطوائف اليهودية فى العراق وبين الثقافة الاستعمارية البريطانية واعتناق بعض أبنائها لأيديولوجيات عصرية مناهضة للتدين (أجاسى ١٩٨١).

تستحق الظاهرة التى نشهدها هنا أن نقوم بتقييمها عن قرب. فالمبعوثون الذين يعلنون أنهم علمانيون اشتراكيون (رغم أن من الجدير بنا افتراض أن كثيرين منهم ولدوا لأسر متدينة فى أوروبا) جاءوا لعالم غير معروف لهم، ولذلك كانوا يبلغون فى اهتمام شديد (حسبما سأوضح فى موضع لاحق) عن العادات الدينية ليهود الشرق. وكانت الطوائف اليهودية المحلية تنظر إلى بعضهم على أنهم مبعوثون يمثلون رجال الدين فى أرض إسرائيل/ فلسطين (أي على أنهم مبعوثو جباية دينية)، ولذلك فقد كانوا يستقبلون بالإعجاب، ولكن لا شك أنهم كانوا يستقبلون أيضاً بالدهشة والإحباط عندما يتبين مدى جهل المبعوث بالعادات الدينية وبشئون الشريعة. وكثيراً ما كان لهذا الإحباط تأثير بالغ، وإذا لم يتم تفسير الأمر على النحو المناسب كان هذا يلحق ضرراً بمكانة المبعوث (مئير ١٩٩٦ ص٥٥). وعلى سبيل المثال فقد أثار "يرحميئيل أسا" الدهشة بظهوره بمظهر علمانى فى أحد المعابد فى بغداد. فقد كان "حليق اللحية، لا يرتدى غطاء رأس، وكان جاهلاً حتى بالشرائع المتعلقة بالصلاة فى المعابد". وقد حاول أعضاء حركة طلائع الهجرة فى بغداد تبرير سلوكه المحرج، وأوضحوا أن ظهوره فى هذا الشكل يرجع إلى "ظروف العمل السرى الذى يعمل فيه والتى اضطر بسببها إلى حلاقة لحيته". وحكى يسرائيل سابير الذى أرسل كعامل من عمال مؤسسة سوليل بونيه إلى عبدان ثم إلى الموصل فى وقت لاحق أنه لم يكن له دراية بالتقاليد اليهودية مما أثار دهشة شديدة لدى مضيفيه:

"يميل الناس بشكل أساسى إلى الاعتماد على رجال الدين وعلى الجزارين المجازين للذبح الشرعي، الذين يوصفون بأنهم حاخامات. ففى كل مدينة يسألون أين الحاخام ويذهبون إليه... وفى كل مدينة ذهبت إليها كانوا يأتون إلى الفندق. وقد أكرمنى حاخام هو أحد الجزارين المعتمدين للذبح الشرعى بأن غطانى بالتراب وذبح أمامى دجاجة، وهو ما يبدو أنه تكريم شديد أكرمنى به باعتبارى حاجاً وافداً من أرض إسرائيل والقدس. ولم أعرف كيف أتصرف، مما أصابه بالذعر وهو ما أوضحه لى فى وقت لاحق. وفى مدينة أخرى ذهبت فى ليلة السبت إلى بيت الحاخام. فأخذ قيثارة وعزف لي. وتساءلت: أتعزف فى السبت..؟ فقال لى إن هذا جائز لو كان بهدف إسعاد البشر. وفى اليوم التالى ذهبت إلى المعبد وصعدت لتلاوة التوراة وكان على قراءة التلاوة الأسبوعية. قمت بالتلاوة ولكنى ارتكبت خطأً مما حط من مكانتى فى نظر الجمهور".

تحدث أبراهام برفر هو الآخر عن استقباله بشكل طبيعى فى رحلته على أنه مبعوث جباية دينية، وأشار إلى أن انطباعه كان أن اليهود المحليين يستخفون بمبعوثى الجباية، حيث قال: "أقلنى السائق إلى بيت يهودى أرسلنى إليه مضيفى فى مدينة أربيل. ولم يكن صاحب البيت موجوداً. وسألتنى زوجته- التى يبدو أن تجربتها مع أحد المبعوثين القادمين من طبرية كانت سيئة- عدة مرات عما إذا كنت قادماً من طبرية، حيث كانت تشك فيما إذا كان يجوز لها أن تستضيفني.." (برفر ١٩٤٤ ص٢٢٢). كما حكى برفر كيف كانت الطائفة اليهودية الكردية تنظر إليه على أنه حاخام من القدس، وكيف اعتاد اليهود المحليون سؤاله عن موعد قدوم المسيح المخلص (نفس المرجع ص٢٠٧: ٢١٨). كانت البعثات إذن مستمرة حسبما يؤكد يعري، وكانت تعد ظاهرة طبيعية سواء فى نظر المبعوثين أو فى نظر الطوائف المحلية. وحرى بنا أن نشير إلى أن تاريخ الجباية الدينية لا يكاد يورد أى شيء عن أى معارضة لمبعوثى الجباية فى أى طائفة من الطوائف.

وكما تلفت النظر مدى طبيعية استقبال الطوائف اليهودية لمبعوثى الحركة الصهيونية على أنهم مبعوثى جباية دينية، كذلك تلفت النظر بما لا يقل عن ذلك ظاهرة تناول المؤرخين اليهود للبعثات الصهيونية على أنها امتداد لبعثات الجباية الدينية. اختارت إستير مئير المؤرخة المتخصصة فى تاريخ الطائفة اليهودية فى العراق المقارنة بين المبعوثين الصهاينة ومبعوثى الجباية فى القرن التاسع عشر. وتشهد المقارنة فى حد ذاتها على أن التشابه بين الفئتين فى نظرها كان بديهياً: "كان المبعوثون الصهاينة مختلفون عن مبعوثى الجباية التقليديين، ليس فقط فى عدم ارتداء الزى الخاص الفخم وعدم وضع غطاء رأس، وإنما أيضاً فى كونهم علمانيين ليس لديهم أى معلومات عن الشرائع الدينية والتقاليد اليهودية" (١٩٩٦ ص٥٤). وتضيف مئير: "يرجع الاختلاف الأساسى بين المبعوثين الصهاينة ومبعوثى الجباية

الدينية إلى اختلاف أهداف المهمة، وبالتالى إلى اختلاف أساليب العمل. فقد عمل المبعوثون الصهاينة فى العراق لفترات زمنية طويلة نسبياً، وصلت فى كثير من الأحيان إلى عام أو عامين. وبعكس مبعوثى الجباية الدينية لم يكن الهدف من قدومهم جمع التبرعات المالية وإنما كان العمل بين الطوائف اليهودية نفسها. وكان الهدف هو تقريبها إلى الحركة الصهيونية أو تشجيعها على الهجرة، ليتحقق بذلك هدف مزدوج؛ وهو المساعدة بذلك فى خلاص البلاد وتخليص اليهود من حياة الشتات" (مئير ١٩٩٦ ص٥٤). معنى هذا أن هذه المقارنة لا تتناول تكوين الجانب القومى فى ظاهرة المبعوثين والتعامل معها فى إطار الخطاب القومي؛ وإنما تتناول البعثات الدينية على أنها ممارسة معروفة وواقع مستمر يعتبر امتداداً لظاهرة مبعوثى الجباية الدينية التى كانت منتشرة فى سالف الزمان. ويتناسب الاختلاف الذى أشارت مئير إلى وجوده بين الفئتين مع الرواية الصهيونية الرسمية التى سبق أن أشرت إليها والتى تؤكد وجود خط واحد يمتد بين الوعى الدينى والوعى القومي. ومن الصعوبة بمكان أن نفترض إمكانية تطبيق نفس الشيء على الطائفة اليهودية فى أمريكا الشمالية على سبيل المثال، حيث كان مبعوثو الحركة الصهيونية هناك يوصفون بأنهم "موفدون" وليس "محصلين".

كما أشرت آنفاً فإن هذا الاتجاه التأريخى يجعل من الجباية الدينية هيكل عمل ثابت لا يتغير ولا يتأثر بمرور الزمن. وفى هذا السياق انتهى التوتر- الذى كان سائداً وقت بعثة يفنيئيلى على سبيل المثال- بين التصرف والهدف، أو بين عملية جمع التبرعات وبين الأهداف الثقافية. فقد أصبحت الرسالة والشكل والمهمة القومية كلها جزءاً من حزمة واحدة تختلف تماماً عما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر، ولكن تم التغاضى عن هذا التغيير بالذات فى سياق النظر على بعثات الجباية الدينية على أنها لا تتأثر بالزمان. ولكن فى هذه النقطة بالذات حسبما سأوضح لاحقاً تتعرض مهمة الجباية القومية لتحديها من اتجاه جديد وهو اتجاه المؤسسات الأرثوذكسية، التى صورت المبعوثين العصريين على أنهم كفار غير ملتزمين بأوامر ونواهى الرب خائنين للديانة اليهودية.

٧- معارضة رجال الدين:

فى ديسمبر ١٩٤٤ أصدر حاخامات الطوائف الشرقية بالقدس وحاخامات المحكمة الشرعية لكافة الطوائف الإشكنازية بياناً مشتركاً طبع فى مطبعة "هاشاحار" بالقدس وأرسلوه على قيادات الطائفة اليهودية الإيرانية. كان من بين الموضعين على البيان حاخامات مدرسة بورت يوسف الدينية. وحذر البيان من مبعوثى الجباية من العاملين فى مؤسسة سوليل بونيه ومن مبعوثى الكيبوتس الموحد (٥). كان عنوان البيان "بيان وتحذير، وجاء فيه ما يلي:

"الإخوة الأعزاء... كان من دواعى استيائنا الشديد أن علمنا أنكم استقبلتم مبعوثين من سباب أرض إسرائيل الذين تخلوا عن الالتزام بتعاليم الدين وأحكامه، والذين جاءوا إلى مدينتكم من أجل تضليل الشباب اليهودى فى إيران وتعليمهم كيفية التخلى عن أحكام الدين وعن الفضيلة، حيث يعلمون الناس نظريات جديدة تمتلئ بالكفر والإلحاد والعياذ بالله. وكل من يؤمن بها ليس له فى الآخرة نصيب.

ولذلك فعليكم أيها الإخوة الأعزاء أن تدافعوا عن أنفسكم وعن أبنائكم وأن تحرصوا على عدم السقوط بين براثنهم. فهبوا جميعاً هبة رجل واحد واجتثوا جذور الشر من بينكم ولا تتركوا لهم موطئ قدم فى مدينتكم. ولا تتركوا لهم أولادكم لأنهم محرضون على الغواية ولأنهم لا يعبدون رب إسرائيل.

لذلك أيها الإخوة الأعزاء عليكم التحقق من أمرهم والتيقن من صدق ما نقوله عنهم. فهم معروفون فى القدس، ولذلك فإنهم منبوذون فيها. وقد جاءوا غليكم لأنهم يعرفون أنكم يهود سذج، وأنهم سيتمكنون- حاشا للرب- من خداعكم. ولذلك فعليكم بفتح أعينكم ومتابعة هذا الأمر الرهيب وإنقاذ أبنائكم وأنفسكم. فلا تتقربوا إليهم ولا تقرأوا كتبهم، لأنها جميعاً مليئة بالإلحاد والعياذ بالله. فحافظوا على ديانتكم اليهودية التى حافظتم عليها منذ مئات السنين ولا تثقوا فيما يقولونه لأن كل ما يقولونه خداع فدافعوا عن يهوديتكم وحافظوا عليها.. برجاء قراءة هذا البيان فى معابد المدينة".

لقد وُصف المبعوثون الذين يأتون على خلفية عرقية وقومية والذين من المفترض أن يؤدوا عملاً قومياً مقدساً بأنهم "محرضون على الغواية" وبأنهم "يعلمون الناس نظريات جديدة تمتلئ بالكفر والإلحاد والعياذ بالله. وكل من يؤمن بها ليس له فى الآخرة نصيب". ويحذر البيان من تحول الممارسات الدينية إلى جزء من الممارسات القومية على النحو الذى وصفه أوسيشكين. ووفقاً لما ذكره رجال الدين فإن المبعوثين القوميين يستخدمون الآليات الدينية القديمة (السابقة على الحركة القومية) مع الخلط المتعمد والمخادع بين ملامح الممارسات الدينية الثقافية والممارسات القومية. لقد تحدى رجال الدين المذكورين بهذا المنشور التفسير الصهيونى القانونى الذى اعتبر المبعوثين الصهاينة العلمانيين تجسيداً لظاهرة المبعوثين الدينيين فى نفس التسلسل التاريخى الممتد والطبيعي. وقد اقترحوا النظر إلى نشاط

المبعوثين الذين يزعمون بالباطل أن لديهم تفويض دينى من وجهة نظر غير علمانية، بل وحذروا من الاستعمار الثقافى الذى تمارسه الحركة الصهيونية القومية. ويمكن اعتبار هذا البيان مجرد إعلان من جانب رجال الدين عن ان هؤلاء المبعوثين لا يعدون امتداداً لمبعوثى الجباية الدينية، وان الجباية الدينية ليس لها مؤسسة ثابتة حسبما أكد يعرى أثناء مهمته أو حسبما أوضح أوسيشكين. ويحاول بيان رجال الدين توضيح أن مؤسسة الجباية بمفهومها القومى ترجع إلى الفترة الزمنية التى كان يفنيشيلى يعمل فيها، والتى شهدت تشككاً فى مغزى التغيير الذى طرأ على مهام الجباية الدينية، ويسعى إلى وضع مؤسسة الجباية المذكورة فى سياقها التاريخى الذى صاحب لبعثة يفنيشيلي.

الديانة الشرقية الموثوق بها رمز للخلاص القومي

كان إرسال مبعوثين قوميين عرقيين من ذوى الأيديولوجية الأوروبية العلمانية إلى الشرق، رغم أن الشرقيين لم يمروا بما مر به هؤلاء من تطورات فرصة لإعادة قراءة عادة إرسال مبعوثى الجباية من زاوية العلاقات بين الغرب والشرق. وبشكل أكثر تحديداً فإن قراءة تقارير المبعوثين القوميين تشير إلى وجود صوتين فى الحديث عن تدين يهود الشرق جاءا نتيجة للتوتر بين التوجهين الفكريين لدى القوميين والاستعماريين، حسبما أشرت إليه باستفاضة فى الفصل الأول. الصوت الأول صوت متحمس جاء نتيجة للتوجه القومي، ويصف يهود الشرق بأنهم من العلامات المميزة الأكيدة للثقافة اليهودية ولذلك فإنه يستخدم فى وصفهم مصطلحات ترتبط بالخلاص والغيبيات. ويعد الخلاص الصهيونى الذى بشر به المبعوثون القوميون بالتجدد العرقي، الذى يعنى إعادة اليهود الشرقيين إلى ركاب التاريخ. ويوصف الحنين الدينى فى سياق التوجه القومى بأنه حنين قومي. أما الصوت الآخر، الذى ترتب على التوجه الاستعمارى الغربى الذى كان المبعوثون يعملون فى إطاره فيصف يهود الشرق- الذين كان تدينهم غريباً على الأنماط الدينية المعروفة للمبعوثين- بأنهم لا يمكن الثقة فى إيمانهم، وبأنهم أناس لا يعرفون المعنى الحقيقى للدين. وفى حالات أخرى تم وصفهم بأنهم علمانيين والعياذ بالله. كان الحنين الدينى فى السياق الاستعمارى يوصف بأنه دليل على الاختلاف، وعلى انه محاولة لنزع الطابع العربى عن اليهود العرب. كان التناقض الواضح بين الصوتين المشار إليهما أكثر ظهورا فى تقارير المبعوثين إلى العراق وإيران. وكان هذا التناقض دليلاً على أن نظرة المبعوثين ليست قومية علمانية بحتة من ناحية، ولكنها أيضاً ليست دينية متزمتة من الناحية الأخرى. وكان من الممكن لمبعوث الجباية أن يكون دينياً إذا كان محدثه علمانياً والعكس بالعكس. وعندما يصطدم مبعوث الجباية فى الدول الإسلامية بيهودى غير أرثوذكسى ولا متدين يصبح أكثر خشية على مصير الديانة اليهودية. ومن هذا المنطلق يقترح فيشر النظر إلى المبعوثين إلى الدول الإسلامية- وهم غير علمانيين وإنما من المنتمين للتيارات اليهودية المتدينة- على أنهم نتاج واضح للصراع الذى يشهد المجال الدينى بين جماعتهم وبين الفئات اليهودية الأرثوذكسية الأوروبية (Fischer 1988وبرأون ٢٠٠٠).

يعبر المبعوث عن النظرة العرقية اليهودية التى يختلط فيها الدينى بالعلماني، وفى نفس الوقت فغن الصوتين السابق الإشارة إليهما آنفاً يكمل كل منهما الآخر. فمن ناحية كان هناك أمل وتوقع ومحاولة لتمثيل الشرق من خلال هوية دينية مؤكدة تقود فى شكلها العصرى إلى الصهيونية وتبعث فيها روحاً جديدة وقوى متجددة. ومن ناحية أخرى كان هناك الإحباط الشديد من اكتشاف أن يهود الشرق يرفضون الدخول فى هذا القالب التمثيلى وارتداء القالب المخصص لهم فى المشروع الصهيوني. يحكى أبراهام برفر الذى جاب أنحاء العراق وإيران ما يلي: "كنت فى كل يوم أتنزه فى كافة الطرق الرئيسية والفرعية التى ألقاها. وكنت استمع إلى الجدل فى الشئون الدينية بنفس الحماس الذى يشجع الشباب به الرياضة الآن... فقد كانت بغداد مدينة رئيسية بالنسبة لليهود وكانت مكانتها فى آسيا فى سالف الزمان والآن أيضاً تالية لمكانة تل أبيب والقدس. وكانت تأتى فى الترتيب قبل حيفا أو بعدها مباشرة" (برفر ١٩٤٤ ص١٥٣). كانت بغداد، وفقاً لرأى برفر مثلها مثل تل أبيب والقدس تمثل دليلاً على قدم الكيان العرقى اليهودى فى المنطقة، وكانت تشهد نوعاً من طمس الفوارق بين "الشتات" وبين أرض إسرائيل (وسوف أتوسع فى الحديث عن هذا الموضوع فى الفصل الرابع). جاءت هذه النظرة على المكان أيضاً نتيجة للأسس اليهودية البحتة لدى يهود بغداد حسبما يعبر عن ذلك برفر فى الفقرة التالية:

"كان صاحب البيت عجوزاً ومتديناً، ولكنه لم يمتنع فى آى يوم من أيام شهر الرحمة عن القيام من نومه مبكراً لأداء الصلاة حسب عادة إخواننا يهود الشرق. كانت نفسه تشعر بالحنين لأرض إسرائيل ولحائط المبكى ولقبر أمنا راحيل وقبر بر يوحاي... وكانت أحاديثه متبلة بفقرات من الكتب المقدسة ومن أقوال السلف اليهودى الصالح" (المرجع السابق ص١٦٧).

كما أكد برفر أيضاً أن محدثيه كانوا يعتبرون العمل القومية امتداداً للممارسات الدينية:

سألنى أحد محدثى وكان من المتعطشين إلى سماع كلمات الحكمة من حاخام مقدسي: أيهما أعظم الحاخام كوك أم بياليك..؟ لم أستطع أن أوضح له أن كل منهما عظيم فى مجال مختلف عن الآخر، وأجبته قائلا: إن الحاخام كوك عظيم فى أمور الدين والشاعر بياليك عظيم فى أمور الدنيا. وقد شعر الحضور بالفزع لسماع هذا الكلام. وكنت فى نظرهم كأننى والعياذ بالله كفرت بأحد تعاليم الدين الأساسية حيث صاح بى الجزار الشرعي: ماذا يقول سيدي..؟ إن بياليك أفضل شعراء الشعب اليهودي! (المرجع السابق).

لم يتقبل اليهودى المحلي- الذى لا نعرف اسمه- ما زعمه برفر. فبينما كان المبعوث يحاول إضفاء مسحة قومية على بياليك كان اليهودى المحلى يسعى لإبراز تدينه. كان الطابع القومى فى مقابل الطابع الديني. كما يصف برفر كيف استقبله مضيفوه المتدينون- الذين اعتبروه متساهلاً فى عاداته الدينية، ولذلك لم يعطوه أهمية فائقة- على النحو التالي:

الشيء الأكيد أن كلامى لم يغير رأيهم فى بياليك، وكل ما حدث أننى كنت الخاسر من وجهة نظرهم. لأنه كان لديهم بالتأكيد أساس يجعلهم يستهينون بي، لنهم كانوا يروننى وأنا أتحرك بالسيارة فى يوم العيد، كما أدركوا أنى أقتصر على أقل القليل من الصلاة وتلاوة التوراة. بينما كان بياليك من وجهة نظرهم يتلو التوراة كثيراً ويجلس فى المعبد وعلى كتفيه عباءة الصلاة يصلى لخالقه ويذكره فى أشعاره. فكانوا يصفونه بأنه فى مهارة الملك داود شاعر المزامير فى قرض الشعر! (نفس المرجع ص ٢٠٩).

ولكن حديث برفر فى موضع لاحق يشير إلى أنه هو نفسه لم يكن يشعر بالثقة فى موقفه، وأنه كان لديه شك فى التمييز الواضح الذى صرح بوجوده بين حد=ود ما هو دينى وما هو علمانى أو بين ما هو دينى وما هو قومي. غير أن هذا التحفظ أيضاً تمت صياغته بالطريقة الشرقية:

من الممكن أن يكون يهود أربيل البسطاء قد فهموا ب"ياليك أفضل شعراء إسرائيل بمشاعرهم البسيطة أفضل مما فهمونا نحن، وقد أكون أخطأت فى حقه بوصفى لأعماله بالعلمانية رغم أن أغلبها من الأشعار الدينية" (نفس المرجع ص٢١١).

كان شموئيل يفنيئيلى أيضاً- الذى سبق أن تحدثت باستفاضة عن بعثته (بند ٤ فى هذا الفصل)، والذى ذهب إلى اليمن فى عام ١٩١٠ من أجل استقدام عمالة يهودية رخيصة للعمل فى المستعمرات - يرى فى الاهتمام بالدين اهتماماً أساسياً لدى يهود اليمن يحقق لهم لذة روحية حقيقية. وقام بوصف هذه المزيج بين توراتهم وعقيدتهم باستخدام الأسلوب الشرقى على النحو التالي:

إن اليهودى اليمنى يعتبر التوراة عالمه الفكرى ويقتصر مضمون الحياة الروحية لديه على دراسة التوراة. كما أن هذه هى اللذة الروحية الوحيدة التى يشعر بها. ففى كل مكان به تجمع يهودى وتقام به صلوات عامة يتدارسون التوراة؛ فى الصباح والمساء بعد الصلاة طوال أيام الأسبوع وفى أيام السبت والأعياد، لساعات طويلة على مدار اليوم. وفى البيت اليمنى ستجد دائماً عدداً من الكتب المقدسة فيما يدل على الورع نظراً لارتفاع سعر هذه الكتب فى اليمن... فالجميع يتدارسون فى كتاب "شولحان عاروخ- المائدة العامرة" (٦). ويمكن أن يشارك فى ذلك كل من يرغب... وفى نفس الوقت فإن دارسى الدين فى تلك البلاد رجال الدين والقضاة الشرعيين يتعيشون من كدهم من العمل فى التجارة أو فى الحرف اليدوية. وهناك يحرصون حتى اليوم على الالتزام بالتحذير من استخدام التوراة وسيلة للتعيش. يعيش رجال الدين هناك بين الشعب. وهم أيضاً معلموه فى الحياة اليومية. إنهم أناس اكتسبوا الحكمة من التوراة ولكنهم لم يتكسبوا منها، بل اكتفوا بالحديث بما فيها من حكمة. من بينهم كثيرون يقصدون السوق للعمل والتعيش من حرفة يعرفونها. فى كل مساء وفى كل يوم سبت يحددون لأنفسهم وقتاً لتلاوة ودراسة التوراة مع كافة أبناء الشعب. وهم يحفظون الكثير من حكايات التلمود، يعتصمون بها ويتجادلون بها عند لقائهم بين الجمهور" (يفنيئيلى ١٩٣٢ ص٥٢).

تميل رئاسة اللجنة القومية لأرض إسرائيل أيضاً إلى طمس الفارق بين الطابع الدينى للممارسة الدينية التقليدية ليهود اليمن وبين الطابع العرقى القومى لها. وعلى سبيل المثال ففى خطاب للمندوب السامى عام ١٩٢١ زعمت رئاسة اللجنة أنه رغم المشكلات التى يواجهها يهود اليمن... فقد ظلوا فى شتاتهم مخلصين للتوراة وللديانة اليهودية.. وظلوا آهل كتاب مخلصين لأخلاقيات اليهودية" (أنتياش ١٩٦٣ ص٤٥).

ولكن حنين المبعوثين إلى اكتشاف هذا التدين وهذه الميول الغيبية لدى يهود الشرق تحطم فى مواجهة الواقع. وقد لجأ أحد مبعوثى سوليل بونيه المجهولين إلى استخدام تعبيرات دينية مجازية لوصف الحنين القومى الذى يشعر به فقال: "كنت مستغرقاً بالكامل فى هذا العمل المقدس". ولكن يهود الشرق الذين كان يعمل بينهم لم يكن لديهم أى حنين

عرقي قومي ديني. وكان على اقتناع بأن في استطاعته أن يوقظ هذا الحنين. وفي هذا الصدد يقول: "وضعت نصب عيني هدفاً وهو استعادة بعض أبناء الطائفة اليهودية التي ضاعت في الشتات والذين أصابتهم هم أيضاً كارثة الشتات. وكانوا يعرفون مصير أشقائنا في بولندا وغيرها من الدول التي استولى عليها النازي. .. يجب أن نكشف لهم عن الكارثة التي وقعت من كافة جوانبها وعن أننا معرضون للهجوم في كل جيل بهدف إفنائنا طالما بقينا في الشتات.. وعندما يحدث هذا يرى المرء الدموع التي تنزل من عيونهم، وبعد الحديث يعترفون قائلين: الآن فقط بدأنا نصبح يهوداً". والمهم أن هذا المبعوث المجهول يحكي هنا عن براعم الحنين القومي التي بدأ ظهورها لدى يهود الشرق. وقد تجلى هذا الحنين أيضاً في إحياء اللغة العبرية وانتقال هذا الحنين بسهولة من المجال الديني إلى المجال القومي والعكس بالعكس (وسوف أتحدث عن هذا الأمر في موضع لاحق). وفي هذا الصدد يقول المبعوث:

"جدير بالذكر أن هناك تغيراً واضحاً قد طرأ على نظرة اليهود المحليين إلى مشكلة الشعب اليهودي وحلها... وقد وصلت أنباء من كافة أنحاء الدولة تفيد بوجود صحوة قومية ونشأة منظمات شبابية للتكافل وتنحية الكراهية التي ليس لها سبب (وتعبير الكراهية التي ليس لها سبب هو تعبير شائع للغاية بين الطوائف اليهودية المحلية). كما أفادت الأنباء بأن هناك مساعي للرفع من شأن اللغة العبرية. لم تعد اللغة العبرية قاصرة على التوراة (التي كانت تعد كتاباً غير مفهوم بالنسبة للطوائف اليهودية المحلية).... فقد تجاوز تعليم اللغة العبرية نطاق المتطرفين الذين أصبحوا مع الوقت بضع عشرات، والآن أصبحت اللغة العبرية تدرس للأطفال الصغار ولكبار السن الذين يعبرون عن استعدادهم وحنينهم لدراسة اللغة العبرية أو "الإشكنازية" حسبما كانوا يطلقون عليها. لقد ارتفع شأن اللغة العبرية وكثر الحديث عنها في المعابد وفي الشارع اليهودي".

وللمساعدة في ظهور الحنين القومي يحاول المبعوثون الصهاينة الاستعانة بالحنين الديني لدى اليهود المحليين مع إضافة بعد قومي إليه. في خطاب ورد من عبدان عام ١٩٤٥ حكى المبعوثون هناك لعضو اللجنة التنفيذية ح. بن أري عن محاولتهم بعث الوعي القومي لدى المحليين. وقد أرادوا تحقيق ذلك عن طريق الربط بين الوعي القومي والوعي الديني الذي اعتقدوا أن المحليين يفكرون في إطاره وتحويلهم إلى جزء لا يتجزأ من الوعي القومي. وفي هذا السياق كتب أحد المبعوثين عن خطبة الفصح التي يعكف هؤلاء على إعدادها للمبعوثين ولليهود المحليين: "نحن الآن نستعد لعيد الفصح... وقد قمت بتجميع مادة لخطبة من كل ما أتيح لي. وهذه أول محاولة من نوعها بالنسبة لي. وقد حرصت على عدم الابتعاد عن التقاليد الدينية وعلى ان أضيف إليها أيضا مسحة من الحياة الواقعية... وكتبت في بداية الخطبة.. لقد أقمنا عند أنهار بابل وكنا نبكي حين نتذكر صهيون ونحن هناك.. وبهذه الفقرات سأنهي خطابي".

سأوضح في موضع لاحق أن ذلك الحنين الديني الذي ينتظر المبعوثون رؤيته في المكان كان يوصف ليس فقط بأنه تكتيك في مشروع إضفاء مسحة قومية على يهود الشرق، وغنما أيضاً على انه شرط ضروري لكشف الوعي القومي لدى يهود الشرق. وكان التصديق على هذا الوعي في المنطقة الشرقية العربية يتطلب من المبعوثين الصهاينة الاعتماد أيضاً على أسس يهودية دينية. وقد كانتتى هذه الأسس تعد ضرورية في ظل واقع اختلاط اليهود المحليين هناك بالسكان العرب فيما يعرض منطق الاستقلالية العرقية للخطر. كان المبعوثون يسعون إذن إلى اكتشاف الحنين الديني لدى يهود الشرق الذي تكشف وجود حنين قومي لديهم. وإلى جانب هذا فقد أفاد المبعوثون حسبما ساوضح في موضع لاحق بوجود إحباط من الوقاع العربي ليهود الشرق وعدم وجود قدر موثوق به من التدين لديهم. وأصبحت النظرة على الشرق ورقة هامة في تقييم الموقف الصهيوني من العلمانية اليهودية بصفة عامة، فيما يدل على طمس الفارق بين الدين والقومية الذي كان ركيزة للمشروع القومي. وفي مقابل الدعوة على العلمانية في الغرب يسعى الصهاينة العلمانيون في الشرق إلى اكتشاف وخلق طائفة يهودية متدينة.

١- حركة أحباء صهيون: "أحباء صهيون" اسم يُطلَق على مجموعة من الجمعيات الصغيرة في روسيا (التي كانت تضم أكبر جماعة يهودية) وبولندا ورومانيا، والإمبراطورية النمساوية المجرية وألمانيا وإنجلترا والولايات المتحدة. وكانت جمعيات أحباء صهيون في غرب أوربا تضم أساساً اليهود والمهاجرين من شرق أوروبا وبعض العناصر المحلية القلقة من الهجرة اليهودية، وكان لهذه الجمعيات أسماء كثيرة تحمل معنى حب صهيون أو الرغبة في الهجرة إلى فلسطين في فترة الانتداب البريطاني. www.siironline.org

٢ - الصندوق القومي: تأسس الصندوق القومي الاسرائيلي عام ١٩٠١ بهدف شراء الأراضي في فلسطين وإعدادها للاستيطان. وكان شراء بعض هذه الأراضي يجرى من خلال شركة "هَخْشَرَت هَيشُوف- إعداد الاستيطان التي تأسست عام ١٩٠٩ بهدف شراء الأراضي لصالح الصندوق القومي. www.knesset.gov.il

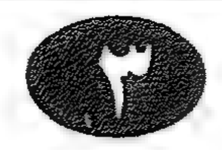
٣ - الصهيونية التطبيقية: يطلق عليها البعض الصهيونية العملية. اشتهرت الصهيونية التطبيقية كمصطلح فى تاريخ الحركة الصهيونية، وكحركة نشيطة ذات برنامج واحد، بعد أن بزغ نجم هرتسل بالبرنامج السياسى الذى جلبه معه، فالصهاينة التطبيقيون كانوا يرون فى النشاط الدبلوماسى اللاهث وراء وعود وضمانات دولية مضيعة للوقت، لذلك عارضوا هيرتزل، وحصروا جهودهم فى تطبيق ما وصفوه بالمبادىء الصهيونية، الذى تمثل فى تنمية المستعمرات داخل فلسطين، والعمل على زيادة الهجرة إليها، حتى تفرض سياسة الأمر الواقع نفسها. www.nakba.sis.gov.ps

٤ - الصندوق التأسيسي: تأسس الصندوق التأسيسى عام ١٩٢٠ بهدف تجنيد الأموال المطلوبة لإنجاز المشاريع الاستيطانية ولدعم الأنشطة الاجتماعية والصحية والتعليمية الخاصة باليهود فى فلسطين. www.knesset.gov.il

٥ - الكيبوتس الموحد: حركة تأسست عام ١٩٢٧ من الاتحاد بين كيبوتس عين هاحارود ومجموعة أخرى من الوحدات الاستيطانية الكيبوتسية التابعة لحركة "هاحالوتس (وتعنى الطليعي)". وأسهمت الحركة فى تأسيس القوات العسكرية الخاصة بحماية المستعمرات اليهودية فى فلسطين. كما أسهمت فى إقامة سرايا الصاعقة (البلماح) وفى دعم حركة الهاجاناه. اتخذت الحركة مواقف مستقلة تسببت فى تصادمها مع قيادات حزب ماباى ومنهم بن جوريون وكتسنلسون، مما ادى فى النهاية لانشقاق الحركة عن الحزب عام ١٩٤٤ حيث شكلت حركة وحدة العمل بالتعاون مع حركات ومنظمات أخرى. www. tnuathaavoda.info

٦ - شولحان عاروخ: شولحان عاروخ: اسم الكتاب الذى وضعه الحاخام يوسف كارو سنة ١٥٦٥ حيث جمع فيه جميع الفرائض وشرائع اليهودية، كنسخة شعبية موجزة عن كتابه الضخم (بيت يوسف) الذى كان موجها الى العلماء المتقدمين فى الدراسات التلمودية .. www.ladeeni.net

◆ دراسات ◆



وحدة شاكيد
(الوقاية والأمن الجارى فى تاريخ الجيش الإسرائيلي)
(الفصل التاسع): "شاكيد" فى حرب الاستنزاف

دار نشر "حيمد" - ١٩٩٤

بقلم: أورى ميلشتاين ودوف دورون - ترجمة وإعداد: مصطفى الهواري

١ - حرب استنزاف تاريخية - إستراتيجية:

بعد هزيمة الدول العربية فى حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧)، خرج زعماؤها وقادتها العسكريون بدروس مستفادة، سواء على المدى المنظور أو على المدى البعيد، وطبقوا مبدأ الدمار البناء وأنه من السلبيات تأتى الإيجابيات. وكانت حرب الأيام الستة - بالنسبة لمصر على الأقل - نقطة تحول إيجابى فى كافة المجالات. لم يطور العرب ثقافتهم العسكرية، فضلاً عن عدم تطوير فكر عسكري، وهو أمر لا نجده فى أى منظومة عسكرية فى العالم، ذلك لأنهم لم يكونوا قادرين حتى على الوصول إلى مستوى النقد الذاتى فى المجال العسكري، الذى وصل إليه الألمان بعد الحرب العالمية الأولى. ووصل إليه الأمريكيون بعد حرب فيتنام. ولكن يُحسب للزعماء والقادة العرب أنهم لم ينكروا الهزيمة، على النقيض من الثقافة السائدة فى إسرائيل التى رفضت - ومازالت ترفض - الاقتناع بأن منظومتنا العسكرية أخفقت فى كل الاختبارات العسكرية منذ انتهاء حرب الأيام الستة وحتى كتابة هذه السطور: حرب الاستنزاف، حرب يوم الغفران (أكتوبر ١٩٧٣)، حرب لبنان (١٩٨٢) والانتفاضة. لقد تساءل العرب عن كيفية وسبب حدوث الهزيمة، واستخلصوا دروساً بسيطة ومنطقية من خلال التفكير المنطقى السليم والاستعانة بأفكار نخبة متميزة من الساسة والعسكريين.

قبل حرب الأيام الستة، كان كبار القادة العرب يرون أن جيوشهم غير قادرة على محو دولة إسرائيل من خريطة العالم، إلا أن الساسة والجماهير كان يحدوهم الأمل بأن التفوق العربى الكمى فى القوات والعتاد والسكان، وأهمية النفط العربى للدول الصناعية، وتودد الدول العظمى لهم، سوف يحقق لهم النصر الحاسم. وقد انساقوا وراء هذا الأمل الذى ضخمته وسائل الإعلام الحكومية فى بلادهم، دون أن يكون لهذا أى أساس من الواقع. وقد كان هذا تقديرا خاطئا للأمور، وبمثابة نبوءة تدحض نفسها ومن النوع الذى تنبأ به قادة الأجهزة العسكرية فى إسرائيل بعد حرب الأيام الستة. كما كان عدم الفهم التام لحدود القوة العسكرية إحدى نقاط الضعف لكل المجتمعات العربية حتى حرب الأيام الستة، ولإسرائيل بعد هذه الحرب.

كانت لصدمة الهزيمة فى ١٩٦٧ نتيجة إيجابية للغاية على المناخ الثقافى - الاستراتيجى فى الدول العربية كافة - حيث كانت هناك إفاقة من الأوهام واقتراب من الواقع. أدرك الزعماء العرب أنه يستحيل هزيمة إسرائيل بضربة قوية واحدة وأنه من الأفضل وضع أهداف محدودة للحرب ضدها، وربط هذه الأهداف بالإجراءات السياسية. بل إن أكثر الزعماء والأيديولوجيين تطرفاً تكيفوا مع هذه الفكرة واستبدلوا استراتيجية الحسم باستراتيجية أخرى تتمثل

فى تصفية إسرائيل على مراحل، أى استنزافها من أجل إنهاك قواها وإضعافها. كانت الفرضية الأساسية فى هذه النظرية الجديدة هى أنه فضلاً عن عدم وجود خيار لحسم عسكرى لكل الدول العربية مجتمعة فى مواجهة إسرائيل، فإن للعرب تفوقاً نسبياً على إسرئيل فى حرب استنزاف تاريخية - استراتيجية تفتيت المجتمع الإسرائيلى من الداخل. وبعد استكمال هذه المسيرة، ربما يكون فى الإمكان القضاء على إسرائيل بضربة قاضية أخيرة. كانت هذه النظرية هى التى سارت على نهجها حرب الاستنزاف التى شنها العرب وبدأت بعد أيام من انتهاء حرب الأيام الستة، وكان الرئيس المصرى جمال عبد الناصر هو الذى وضع خطوطها الأساسية.

كانت خطة عبد الناصر متعددة المراحل: ففى مرحلة "الصمود" (من يوليو ١٩٦٧ إلى أغسطس ١٩٦٨) أعيد بناء الجيش المصري، وفى مرحلة "التصدي" (من سبتمبر ١٩٦٨ إلى فبراير ١٩٦٩) كانت مهمة الجيش المصرى تتمثل فى تدمير خط بارليف، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق ذلك واستطاع فقط توجيه عدة ضربات له. وخلال "مرحلة التحرير" (أى تحرير سيناء)، التى تحقق هدفها، تم قصف المواقع والنقاط الحصينة التى أقامها الجيش الإسرائيلى على الضفة الشرقية لقناة السويس، وتحول "التحرير" إلى "استنزاف". كانت الجبهة الرئيسية الفعالة آنذاك ضد إسرائيل تقع على خط القناة، فى حين كانت الجبهة الثانوية تقع على الحدود السورية. كان المخربون يتسللون إلى تلك الجبهة من الأردن ومن الجيب الكائن بين سوريا ولبنان، الذى أطلق عليه آنذاك "فتح لاند". وخلال الاشتباكات الكثيرة والعمليات الانتقامية التى قام بها الجيش الإسرائيلى قتل ٧٢١ إسرائيلياً واصيب ما يقرب من ٢٧٠٠، نصفهم فى اشتباكات مع الجيش المصري. كما قتل خلال هذه الاشتباكات نحو عشرة آلاف جندى مصرى ومئات الجنود السوريين والأردنيين. وقد قدر عدد المخربين الذين لقوا مصرعهم خلال الاشتباكات والعمليات الإرهابية والمطاردات بألف وثمانمائة، قتل معظمهم على الحدود الأردنية - الإسرائيلية.

توفى عبد الناصر متأثراً بمرض القلب عام ١٩٧٠، بعد أن وافق على وقف حرب الاستنزاف فى أغسطس من نفس العام. لم يتمكن عبد الناصر من تحرير سيناء، ولا نعتقد أنه كان على دراية بأنه نجح فى استنزاف إسرائيل. كان أنور السادات، نائب وخليفة عبد الناصر، هو الذى جنى ثمار حرب الاستنزاف، وشن حرباً مفاجئة ضد إسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ وهزمها فى ميدان القتال، وأجبرها على تغيير استراتيجيتها الأساسية من استراتيجية الحسم إلى استراتيجية وقف إطلاق النار، وأعاد لمصر كل أراضيها التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، باستثناء قطاع غزة الذى لم تكن مصر توليه أى اهتمام على الإطلاق.

٢ - استراتيجية الحسم:

تمثلت نظرية الأمن التقليدية لحركة العمل الإسرائيلية، التى كانت السمة المميزة للتيارات المهيمنة فى الحركة الصهيونية حتى حرب الأيام الستة، وكانت جذورها ضاربة فى الثقافة الاستراتيجية القديمة للعبريين واليهود وبلغت ذروتها بمبدأ الوقاية والإجهاض الذى وضعه عاموس يركوني، فيما يلي: الإقرار بواقع الدونية الهيكلية فى المجال العسكرى والاستراتيجي، الدفاع من الداخل، عدم استخدام القوة العسكرية لتحقيق أهداف قومية، طلب حماية الدول العظمى لضمان استمرار المشروع الصهيونى ووجود دولة إسرائيل. لم يكن هناك مجال فى هذه الثقافة الاستراتيجية لأى إجراءات حسم عسكرية على غرار النظرية التى تبنتها الوحدة ١٠١، وكانت تعد بمثابة "حروب خيار"، أى حروب غير ضرورية وغيرأخلاقية تعبر عن "نزعة جنونية" للحكام وتهدف إلى بقائهم على مقاعد السلطة. حتى ما قبل حرب الأيام الستة،كان قادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية يعتقدون أن اليهود فى أرض إسرائيل لايمتلكون خيار الحسم العسكرى فى حربهم ضد العالم العربي. وقد تجسدت هذه النظرية أيضاً فى سياسة "الدفاع من الداخل" عام ١٩٣٦ (فى الواقع،كانت سائدة طوال فترة الانتداب البريطاني)، وفى الامتناع عن توحيد القدس وعن احتلال أراض أخرى ذات أهمية فى أراض إسرائيل عام ١٩٤٨، وفى التبعية الإرادية وطلب الحماية من دول أجنبية كبرى خلال حرب الاستقلال (١٩٤٨) وفى "عملية قادش" (١٩٥٦) وفى فترة الانتظار التى سبقت حرب الأيام الستة (١٩٦٧)، وفى المعارضة الأيديولوجية لتحقيق أهداف قومية بقوة السلاح. كان دافيد بن جوريون - أحد كبار أنصار هذه النظرية - قد عارض المبادأة بشن هجوم فى يونيو ١٩٦٧، وطالب بالاستعداد للدفاع على طول الحدود لفترة طويلة إلى أن تنتهى الأزمة. كما اتهم بن جوريون رئيس الأركان يتسحاق رابين بأنه هيأ إسرائيل لحرب حاسمة لا أمل لها فى الانتصار بها، بل كانت هناك أيضاً مخاوف شديدة من أن تمنى بالهزيمة بها. كانت هذه الاتهامات هى أحد أسباب الانهيار النفسى الذى أصيب به رئيس الأركان فى ٢٣ مايو ١٩٦٧ . والشى الغريب أن هذا الانهيار كان أحد أسباب تحقيق

الحسم العسكرى لأنه حال دون أى تدخل أو عراقيل من جانب رئيس الأركان، الأمر الذى أدى بدوره إلى عدم الأخذ بالنظرية القائلة بأن إسرائيل لا تمتلك خيار الحسم العسكرى لتحقيق النصر الحاسم فى ميادين القتال فى عام ١٩٦٧، وفى الوقت ذاته كان هذا الحسم غير متوقع وأشبه بالمعجزة، وعزاه الكثيرون إلى تدخل العناية الإلهية.

بعد حرب الأيام الستة، رسخ فى أذهان القيادة الاستراتيجية الإسرائيلية اعتقاد لا أساس له من الواقع بأن الجيش الإسرائيلى يمتلك القدرة للانتصار على كل الدول العربية. يرجع هذا الاعتقاد إلى نتائج هجمة المعلومات التى اجتاحت الجيش ومسؤولى المؤسسة العسكرية بعد تلك الحرب، ويرجع أكثر إلى الصدمة التى أصابت أسلافهم بعد حرب الاستقلال. فى عام ١٩٦٧ كانت هناك أسباب للشعور بالبهجة والسرور تفوق مثيلتها فى عام ١٩٤٩، وكان هناك ما يمكن خسارته لو تكشفت الحقيقة بشأن الأداء السيئ لوحدات الجيش الإسرائيلى فى ميادين القتال، وسوء أداء كبار الزعماء والقادة فى الجبهة الداخلية. فقد اعتقد الزعماء السياسيون، الذين لم تكن لهم أى دراية بواقع الجيش والحرب ولم تتوفر لهم معلومات حقيقية عما حدث على خطوط النار، أن خيار الحسم العسكرى هو أكبر إنجازات الحرب، وكان هذا الاعتقاد هو الأساس الذى اعتمدت عليه الإجراءات القومية والسياسية - الاستراتيجية التى اتخذتها حكومتا ليفى أشكول وجولدا مئير، وأهمها: إسرائيل ثروة استراتيجية أمريكية، يجب توطين كل الأراضى التى احتلت خلال الحرب (وخاصة فى سيناء وفى غور الأردن وفى جوش عتسيون وحول القدس وفى مرتفعات الجولان)، يقتصر استعداد إسرائيل للسلام على اتفاقية سلام شامل وحقيقى مع كل الدول العربية بالشروط التى تضعها إسرائيل ودون وضع المطالب الفلسطينية فى الاعتبار. من هذه الناحية، كانت حكومة جولدا مئير أكثر تشددا من حكومتى مناحم بيجين ويستحاق شامير.

تجسد تبنى خيار الحسم العسكرى فى أبلغ صوره، فى تصريحات وزير الدفاع موشيه ديان الذى قال إن شرم الشيخ أفضل لإسرائيل من السلام. فضلا عن ذلك، أسدل الستار على مبدأ الوقاية والأمن الجارى رغم أنه اثبت فاعليته خلال سنوات الهدوء النسبى بين عملية "قادش" وحرب الأيام الستة.

بعد أن اثبت الجيش الإسرائيلى - ظاهريا - قدرته العسكرية فى ميدان القتال، لم يسع صناع القرار آنذاك إلى الحيلولة دون نشوب حرب أخرى عن طريق تحييد عوامل التصعيد، وطالب بعض كبار الزعماء والقادة بجولة حربية جديدة تتيح لهم إمكانية دحر الجيوش العربية فى ميدان القتال وتقديم السلام المنشود على صينية من الدم (صينية من فضة). كما طالب البعض الآخر بردع العدو عن طريق بث الذعر فى نفسه من القدرة العسكرية الهائلة للجيش الإسرائيلي. كان الحسم والردع مبدأين أساسيين فى نظرية الأمن القومى الإسرائيلى بعد يونيو ١٩٦٧، بينما أصبح مبدأ الوقاية مجرد تاريخ وماض فى الأجندة الاستراتيجية.

اجتاحت هذه التطورات الفكرية الواقع العسكرى دون أن يفهمها مسؤولو الأجهزة العسكرية أو يتحدثوا عنها بوعي. كما لم تكن لهم نظرية واضحة فى المجال التنظيمى أو فى حجم القوات أو فيما يتعلق باتخاذ القرارات. وقد كان أهم ملامح التغييرهو ذلك التحول الذى طرأ على وحدة "شاكيد": فبعد أن كانت وحدة خاصة للوقاية أصبحت وحدة عادية تتبع قيادة المنطقة، وتطلع قادتها للقيام بعمليات فيما وراء الحدود بدلا من الحيلولة دونها. كما كانت هناك وحدات مشابهة لها فى قيادة المنطقة الوسطى(وحدة "حاروف")، وفى قيادة المنطقة الشمالية(وحدة "إجوز")، وكان من المفترض أن تتطور إلى وحدات وقاية على غرار وحدة "شاكيد" الأصلية، ولكنها تحولت - كما تحولت "شاكيد" - إلى وحدات متطوعين تتبع قيادات المناطق، ومثل لواء المظلات ولواء "جولاني" سعت وتطلعت كلها لأن تصبح وحدات مشاة خاصة. وقد أخفقت كل هذه الوحدات فى الحيلولة دون تسلل المخربين عبر الحدود. وكان السبب وراء هذا الإخفاق هو عدم خبرة مقاتليها فى هذا المجال وعدم رغبتهم فيه. وبعد حرب الأيام الستة واصل الجيش الإسرائيلى محاولة منع العدو من عبور الحدود على المستوى التكتيكي. إلا أن الوقاية كمفهوم استراتيجى طواها النسيان على الأقل حتى حرب لبنان عام ١٩٨٢ . وكانت أقسى نتائج التخلى عن الوقاية الاستراتيجية هو رفض حكومة جولدا مئير الاستجابة لعرض الرئيس المصرى أنور السادات فى عام ١٩٧١ بإنهاء حالة الحرب بين الدولتين مقابل إعادة شبه جزيرة سيناء.

وكما حدث بعد حرب الاستقلال، سادت الجيش الإسرائيلى حالة من الجمود الفكرى بعد حرب الأيام الستة ولم يستخلص دروسا من الحرب. كان الوضع عام ١٩٦٧ أسوأ بكثير نظرا لأنه لم تتطور فى إسرائيل عام ١٩٤٩ ثقافة الدعاية العسكرية والأساطير التى تتردد بشأن العقول العسكرية اللامعة.

كانت لبن جورين آنذاك مصلحة فى التقليل بقدر الإمكان من شأن رجال الجيش. ومنذ منتصف يونيو ١٩٦٧ أخذ الجيش الإسرائيلى يستعرض ذكاءه وبطولاته فى كل وسائل الإعلام داخل إسرائيل وخارجها، الأمر الذى عمق الجمود الفكرى وزاد من أوهام قادته وعزز لديهم الشعور بالعظمة. وقد كانت قوات المدرعات هى صاحبة السبق فى ذلك عندما احتفلت بعد الحرب بما يسمى بـ"الحرب الخاطفة" الإسرائيلية، بمساعدة الصحفى - الباحث - الكاتب شبتاى تيفت. ووضع الثلاثى يسرائيل طل (قائد قوات المدرعات)، وشموئيل جونين (جوروديش قائد اللواء ٧) وشبتاى تيفت،كتاب "مكشوفون فى برج الدبابة"، الذى حققت مبيعاته رقما قياسيا، وكان أكبر دليل على تدنى الثقافة العسكرية الإسرائيلية بعد تلك الحرب. فى هذه النقطة يظهر الفارق بين المدنى بن جوريون الذى أذل الجيش الإسرائيلى بعد حرب الاستقلال، وبين الجنرال موشيه ديان الذى كان يعتبر نفسه - بوصفه وزيرا للدفاع - رئيسا أعلى للأركان، وشجع العبث والطيش العسكري. وقد دفع شعب إسرائيل ثمن ذلك فى أكتوبر ١٩٧٣، عندما كان يسرائيل طل نائبا لرئيس الأركان وشموئيل جونين قائدا لقيادة المنطقة الجنوبية.

كان فهم الدول العربية للواقع العسكرى وانفصال إسرائيل عن هذا الواقع، سببا فى نشوب حرب الاستنزاف. كانت "شاكيد" - وحدة الأمن الجارى التابعة لقيادة المنطقة الجنوبية - هى رأس الحربة للجيش الإسرائيلى فى حرب الاستنزاف، لاسيما على امتداد قناة السويس، وكذلك فى قطاع غزة وعلى الحدود الإسرائيلية - الأردنية فى عرافا. كان لإسرائيل مبدأ استراتيجى فى قطاع قناة السويس، يتمثل فى السيطرة الكاملة على الضفة الشرقية للقناة. ولتحقيق ذلك احتل الجيش الإسرائيلى مواقع على امتداد القناة فور وقف إطلاق النار. كما كانت إسرائيل ترد على إطلاق النار والغارات التى شنها أفراد القوات الخاصة المصرية على مواقع الجيش الإسرائيلى بتعزيز خط المواقع. وفى أواخر عام ١٩٦٨ ومطلع عام ١٩٦٩ أصبح هذا الخط خط نقاط حصينة وأطلق عليه اسم "خط بارليف".

كان التاريخ الرسمى لبداية حرب الاستنزاف هو مارس ١٩٦٩، وقد انتهت تلك الحرب باتفاق لوقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ . فى تلك الفترة شكل الجيش الإسرائيلى فرقة مدرعة فى سيناء تولت المسؤولية عن شبه جزيرة سيناء كلها، لاسيما القتال على امتداد القناة. وقد تم تقسيم خط بارليف إلى قطاعات فرعية شغلتها وحدات نظامية ووحدات احتياط قضى جنودها (من لواء المظلات ولواء "جولاني" واللواء رقم ٧ وغيرها) فترة قصيرة نسبيا فى هذا الخط، ثم حلت محلها وحدات أخرى. كان مقاتلو "شاكيد" هم فقط الذين ظلوا طوال فترة حرب الاستنزاف على خط المواجهة الأول عند قناة السويس، وكانوا يقومون بدوريات بين النقاط الحصينة كما شغلوا النقاط الحساسة وشنوا غارات على القوات المصرية.

كانت وحدة "شاكيد" قد اتسعت فى تلك الفترة ولم تعد مجرد وحدة خاصة للأمن الجاري، وأصبحت كتيبة للأمن الجاري. لم يكن لدى الجيش الإسرائيلى منذ إقامته كتيبة للأمن الجارى تضاهي"شاكيد" فى كفاءتها.

فضلا عن النشاط الذى كانت تقوم به سرايا "شاكيد" على امتداد القناة، فقد قامت أيضا بمهام خاصة فى عرافا وفى المنطقة المحيطة بالبحر الميت، بما فى ذلك العمليات الهجومية البرية والجوية (بالطائرات المروحية) فى الأردن. وعندما تزايد الإرهاب فى غزة، تم إرسال مقاتلى "شاكيد" إليها لقمعه. وفى الفترة ما بين حرب الأيام الستة وحرب يوم الغفران لم تقم أى وحدة أخرى بالجيش الإسرائيلى بمهام كهذه بنفس القدر من الكفاءة.

٢ - من غزة تأتى الشرور:

منذ انتهاء حرب الاستقلال وتحول قطاع غزة إلى تجمع هائل لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين، أصبح القطاع بؤرة كراهية لإسرائيل وللصهيونيةومنبعا للعمليات الإرهابية ضد أهداف إسرائيلية وللقلاقل خلال فترة سيطرة إسرائيل عليه. وقد سادت الظروف ذاتها بمجرد انتهاء حرب الأيام الستة وفى بداية الانتفاضة وفى الذكرى الخامسة للانتفاضة، فى ديسمبر ١٩٩٢، التى طردت إسرائيل بعدها ٤١٥ ناشطا فى حماس وفى الجهاد الإسلامى إلى جنوب لبنان.

كان أمنون شيلونى أحد ضباط "شاكيد" الأوائل الذين عملوا فى قطاع غزة. وقد ذهب إلى هناك برفقة مجموعتين استقرت إحداهما فى غزة، بالقرب من مقر الحاكم العسكرى المصرى السابق، واستقرت الأخرى فى العريش. كانت لدى مجموعته سيارة عمليات وسيارة جيب وانضم إليها قصاصو آثر من البدو.

قبل حرب الأيام الستة كان مقاتلو "شاكيد" يعملون فى مجموعات، وفى غزة تشكلت السرايا الأولى للوحدة. فى يوليو ١٩٦٧ عرض قائد الكتيبة بنيامين بن إليعيزر على بينى تلمى الذى كان على وشك إنهاء خدمته فى الجيش. أن

يبقى فى الخدمة ويتولى قيادة إحدى سرايا "شاكيد". قال تلمي: "كنت أعرف أنى سأواجه بعض المصاعب، فقد كانت الفوضى سائدة بالوحدة، ولم تكن هناك مسافة تفصل بين الضباط والجنود". وبعد شهور من تشكيل السرية الأولى تشكلت السرية الثانية، بينما كانت الثالثة سرية احتياط تم حلها فى أوائل السبعينيات. روى أحد مرؤوسى تلمي: "مارسنا فى غزة إرهابا يهوديا. كنا نقوم بدوريات فى المدينة ونفتش المنازل. كان السكان خائفين نظرا لعدم معرفتهم بما كنا نريده منهم. ساد الهدوء المدينة، وكان كل هدفنا هو الترويع فقط. لقد كان الإرهاب اليهودى ظاهرة جديدة".

فى منتصف عام ١٩٦٨ غادر مقاتلو "شاكيد" قطاع غزة وانتقلوا إلى شاطئ قناة السويس وإلى عرافا، وفى أواخر عام ١٩٧٠ عادوا إلى قطاع غزة.

٤ - على شاطئ القناة:

كان مقاتلو "شاكيد" هم أول من شغلوا نقاط المراقبة على امتداد قناة السويس، التى أصبحت نقاطا حصينة فيما بعد، ومن خلال دورياتهم فتحوا محاور مرور إلى هذه النقاط. بعد شهر من انتهاء حرب الأيام الستة قامت مجموعة بقيادة يوآف جولان (ليفي) بدورية شمالى القنطرة، واقتربت إلى مسافة عشرة كيلو مترات جنوبى بور توفيق فى منطقة المستنقعات شرقى القناة. بهذا تكون المجموعة قد حددت خط الحدود الشمالى للسيطرة الإسرائيلية على قطاع القناة. روى جولان: "قمت مع المقاتلين بتمشيط قطاع لم يصل إليه من قبل أى جندى فى الجيش الإسرائيلي. تحركنا شمالا، من يسار القناة ويمين المستنقعات. كنا نشعر بأننا نفرض أمرا واقعا. فى منتصف الطريق أبلغت القيادة بمكاني، فأمرنى قائد القطاع بالعودة إلى القنطرة. ورغم هذا الأمر تقدمنا للأمام عشرة كيلو مترات أخرى. أما الدورية التى خرجت بعدنا فقد تعرضت لإطلاق النار من جانب المصريين. وبعد فترة وصلت إلى هذا المكان قوة عسكرية أصبحت فيما بعد موقع تمبو. كان القطاع ما بين موقع تمبو والقنطرة هو أحد أخطر القطاعات خلال حرب الاستنزاف".

بعد يومين من الدورية التى قام بها جولان، خرجت على نفس الطريق دورية من مقاتلى "شاكيد" بقيادة بينى تلمي، ترافقهم سيارة عمليات وسيارة جيب. شاهد قصاص الأثر محسن آثارا على الطريق، على مسافة عشرين كيلو مترا من بور توفيق، وبعد البحث تم العثور فوق الطريق على خمسة ألغام مضادة للمركبات. ومن فوق الساتر الترابى شوهد جنود مصريون يقفون على الضفة الغربية للقناة انتظارا للانفجار. ومن بعيد شوهد على الضفة الشرقية جنود مصريون داخل الخنادق، كم شوهدت على صفحة القناة زوارق تنقل معدات من ضفة لأخرى. طلب تلمى تعزيزات، فخرجت فى الصباح عدة دبابات ونصف مجنزرات من لواء الاحتياط ٦٠ فى القنطرة ولم تصل إلى تلمى إلا فى المساء، لأنها كانت تعلق فى الرمال من حين لآخر.

ومع آخر ضوء انقض المقاتلون على المصريين وآجبروهم على الفرار من مواقعهم. روى تلمي: "شننا هجوما ضد المصريين بالدبابات الثلاث، ثم توجهنا شمالا،وتحدد مكان أقصى المواقع شمالا على مسافة عشرة كيلو مترات جنوبى بور فؤاد".

روى أحد مرؤوسى تلمي: "تمركزنا فى أرض مكشوفة، وفى اليوم التالى تعرضنا للقصف، وحدثت إصابات فى صفوفنا. بعد ذلك حفرنا خنادق واحتمينا بها وظللنا فى هذه المنطقة التى أطلقوا عليها فيما بعد تمبو".

كانت هذه هى إحدى المعارك الأولى فى حرب الاستنزاف. كان المصريون يقصفون كل دوريات الأمن الجارى التى يقوم بها مقاتلو "شاكيد". كانت الدورية اليومية تنطلق من بالوظة وتصل إلى القنطرة وتتحرك نحو الشمال على امتداد القناة. ونظرا لوجود ثغرات كبيرة فى الساتر الترابى المقام على ضفة القناة، ومعظمها من منطقة المستنقعات، كان المصريون يطلقون النار صوب المركبات التى تظهر من خلال تلك الثغرات. وبعد فترة تخلى المقاتلون عن المركبات الخفيفة وأصبحوا يستقلون نصف المجنزرات ويستعينون بالدبابات بهدف التغطية. إلا أن عدوهم الرئيسى لم يكن المصريون بل حرارة النهار وبرد الليل والظمأ.

روى امتسيا حن (باتسي): "كنت أول من أقام موقعا حصينا فى منطقة القناة. بصفتى حدادا هاويا، عندما عثرت فى القنطرة على حفرة ذات حجم مناسب غطيتها بقضبان حديدية فأصبح لدينا موقع". وقال هيلل إيرز: "كانت الدوريات الأولى فى القنطرة تتسم بالتهور الشديد، فقد كنا نستقل سيارات الجيب ونسير بها على امتداد القناة وكل أنوارها مضاءة، بينما كان الجنود المصريون يتخذون مواقعهم جهة الغرب على مسافة مائة وثمانين مترا".

روى يعقوف كليج: "كنا نعيش كالفئران داخل الخنادق دون أى تغطية، أو تحت مظلات القفز التى استخدمناها

كخيمة، وتعرضنا كثيرا للقصف. كان قائد سيارات الجيب التى تحمل مدافع عديمة الارتداد يصعد فوق الساتر الترابى ويدمر المدرعات المصرية على الجانب الآخر للقناة. وذات يوم أباد كل الدبابات والمدرعات المصرية وأصاب أيضا ساعة إحدى محطات القطار المصرية. وكان المصريون يردون أيضا على النيران".

بعد أيام من وصول "شاكيد" إلى منطقة القناة تعرضت ثلاث سيارات جيب تابعة للوحدة الخاصة باللواء رقم ٧ لهجوم بالقرب من الإسماعيلية، أمام النصب التذكارى للجندى المجهول. وقد احترقت سيارتان وظلت الثالثة بكل معداتها فى أرض المعركة.

روى موكى بتسر: "قال لى فؤاد: هذه السيارة بها أسلحة وأجهزة اتصال وخرائط وأشياء أخرى كثيرة، وهذه إهانة لنا. أحضروا هذه الأشياء. يحتمل أن يكون المصريون قد فخخوا السيارة. لم أفهم سبب تكليفهم لنا بهذه المهمة، نظرا لأنه من الطبيعى أن يتولى أفراد الوحدة الخاصة باللواء رقم ٧ مهمة إحضار معداتهم. انضم إلينا بعض أفراد الوحدة الخاصة وأصبح عددنا ثلاثين فردا. وصلنا سيرا على الأقدام إلى السيارات التى كانت ملقاة على ضفة القناة. كانت إحداها محترقة. اقترب ثمانية مقاتلين من شاكيد نحو السيارات وهم يحملون نقالة. كنت قد أبقيت مقاتلى اللواء رقم ٧ فى المؤخرة. أخرجنا المعدات من السيارة وعدنا أدراجنا. استدعيت عبر جهاز الاتصال مقاتلى اللواء رقم ٧ للتقدم نحونا ومساعدتنا فى حمل المعدات، ولكنى لم أتلق ردا. عندما وصلنا إليهم وجدتهم نائمين، فركلت أحدهم بقدمى فاستيقظوا مذعورين. وفى طريق العودة توسلوا إلىّ إلا أبلغ أحدا بأنهم كانوا نائمين".

٥ - رأس العش:

وقع أول صدام بين الجيش الإسرائيلى والجيش المصرى بعد حرب الأيام الستة فى ١ يوليو ١٩٦٧ . كان مجلس الأمن الدولى قد بحث مشاكل شبه جزيرة سيناء بعد الاحتلال الإسرائيلي، وأراد المصريون أن يثبتوا له أنهم لا يقبلون بالحدود الجديدة وأن الحرب لم تنته. عبرت قوة مصرية خاصة قناة السويس ليلا بزوارق صيد فى منطقة رأس العش، جنوبى بور سعيد، وتمركزت فوق الساتر الترابي. وقد اكتشفت وجودها إحدى دوريات لواء الاحتياط رقم ٦٠، فتم الدفع بدبابات وأفراد من سلاح المشاة الميكانيكى من هذا اللواء إلى الساتر الترابي. وخلال تبادل إطلاق النار أصيب بعض أفراد الاحتياط وتخلى عنهم زملاؤهم وتركوا المركبات وفروا إلى منطقة المستنقعات. وقد طلب قائد القوة أوريئيل منوحين تعزيزات، وطلب قائد اللواء مساعدة "شاكيد" فانطلقت فصيلة بقيادة موكى بتسر إلى أرض المعركة. روى بتسر: "كان المصريون يطلقون النار بكثافة بينما كنا نسير فى طريق غير مكشوف. كان سائقونا من أفراد الاحتياط وترك بعضهم المركبات نصف المجنزرة وفروا. أحضرنا ذخيرة ومعدات طبية لأفراد اللواء رقم ٦٠ وأخلينا مصابيهم إلى القنطرة التى تعرضت هى الأخرى للقصف. وعند منتصف الليل عادت القوة المصرية إلى الضفة الغربية للقناة. وفى اليوم التالى قتل قائد السرية أوريئيل منوحين بعد أن اصطدمت مركبته نصف المجنزرة بأحد الألغام.

بعد أسبوعين شغل مقاتلو "شاكيد" عدة مواقع شمالى القنطرة، وكانت السرية الأولى بقيادة تلمى تقوم بدوريات على امتداد هذا الخط. فى تلك الفترة تبنى مقاتلو السرية أسلوب الأكمنة المتنقلة: كانوا يتقدمون نحو ضفة القناة مسلحين برشاشين ثقيلين ويطلقون النار صوب الجنود المصريين على الضفة الغربية للقناة، ثم يبتعدون عن الضفة ويتقدمون للأمام لمسافة كيلومتر ويقتربون مرة أخرى من الضفة ويطلقون النار، وهكذا يتهربون من المدفعية المصرية التى كانت ترد على أى نيران تطلق من الضفة الشرقية. خلال هذه الدوريات أصيب الكثيرون من مقاتلى "شاكيد".

٦ - من الذى بدأ حرب الاستنزاف..؟

يعد ألبوم "الألف يوم" من الألبومات الفاخرة التى صدرت فى إسرائيل، كان الجيش الإسرائيلى قد أصدره تخليدا لـ"انتصارنا" فى حرب الاستنزاف. جاء فى الألبوم: "فى الثامن من سبتمبر فتحت المدفعية المصرية النار على قواتنا على امتداد جبهة يبلغ طولها مائة كيلومتر. وقد شاركت فى القصف مئات المدافع المصرية. وقعت بين صفوف المصريين خسائر فى الأرواح والعتاد، بينما قتل فى صفوف الجيش الإسرائيلى عشرة مقاتلين وأصيب سبعة عشر. العملية المصرية تكشف عن تغير ما فى الفكر المصري".

كانت هذه فقرة كاذبة وتدل - بما يفوق ما تدل عليه الواقعة ذاتها - على ما حدث للجيش الإسرائيلى بعد حرب الأيام الستة. لقد كان القصف المدفعى فى الثامن من سبتمبر ١٩٦٨ على امتداد قناة السويس نتاجا لمبادرة إسرائيلية تمت بأسلوب الوحدة ١٠١ والكتيبة ٨٩٠ مظلات فى الخمسينيات، عندما كانت وحدات الجيش الإسرائيلى تقوم بعمليات "انتقامية" لجر المصريين إلى جولة حربية ثانية والانتصار عليهم. وقد لعب موشيه ديان دوراً رئيسياً فى كلتا

الحالتين: ففي الخمسينيات كان رئيساً للأركان ووضع مع بن جوريون وأريك شارون الملامح الرئيسية للخطة، وكان في الستينات وزيراً للدفاع ووضع الخطة مع أوري برأون مرؤوسه ورفيق صباه.

كان الجيش الإسرائيلي هو البادئ بإطلاق النار، وبعد نصف ساعة رد الجيش المصري. وقد روى عن ذلك قائد جبهة قناة السويس آنذاك، العقيد أوري برأون، الذي كان لواء المدرعات الذي يتولى قيادته هو المسئول عن السيطرة على خط الجبهة. قال برأون: "كان المصريون يبثون ألغاماً على الضفة الشرقية للقناة، بينما كان مقاتلو شاكيد يكتشفون معظم هذه الألغام ويزيلونها. اقترحت على قائد قيادة المنطقة الجنوبية يشعياهو جافيش الانتقام من المصريين بإطلاق نيران الدبابات. وقد تم وضع خطة العملية الانتقامية ولكنها أُلغيت. إلا أنه بعد اكتشاف لغم آخر أصدرت أوامري بإطلاق النار من مدافع الدبابات على المواقع المصرية، رغم عدم حصولي على تصديق بذلك. كنت أعتقد أني تحدثت في هذا الشأن مع قائد المنطقة ولكنه أنكر ذلك بشدة".

في الفترة التي سبقت الثامن من سبتمبر تكونت علاقات غير رسمية بين الجنود الإسرائيليين والجنود المصريين على جبهة القناة، وكانوا يتبادلون الأحاديث الودية والسباب، كما كانوا يشاهدون بعضهم البعض بلا سلاح وأحياناً بلا ملابس. جاء في ألبوم " الألف يوم": "كان الوقت كله مخصصاً للتحصينات، ولكن كان هناك أيضاً وقت للسباحة وصيد السمك". يمكن القول بأن الدبابات الإسرائيلية التي أطلقت النار دون سابق إنذار، من مسافة مائة وثمانين متراً، انتهكت هذا المناخ شبه المثالي. لقى عشرات المصريين مصرعهم جراء القصف المدفعي، وبعد نصف ساعة ردت المدفعية المصرية ولقى أحد عشر إسرائيلياً مصرعهم.

أجرى رئيس الأركان حاييم بارليف تحقيقاً مع برأون الذي قال في وقت لاحق إنه أبلغ بارليف بالحقيقة. وعلى الرغم من ذلك أبلغ بارليف أعضاء الحكومة أن المصريين هم الذين بدأوا القصف، كما قال لهم ولأعضاء هيئة الأركان العامة إن هذه العملية تكشف عن تغير في السياسة المصرية. وفي اليوم ذاته قدمت إسرائيل شكوى إلى مجلس الأمن الدولي ضد مصر وطالبت بعقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لبحث العدوان المصري.وقد قال قائد قوات المدرعات اللواء يسرائيل طل إنه حاول التشكيك في أقوال رئيس الأركان ولكنه أجبر على الصمت.

ليلة التاسع من سبتمبر تم استدعاء برأون إلى منزل طل في رحوفوت، حيث أجرى معه طل تحقيقاً مطولاً. وخلال التحقيق اعترف برأون بأن "المصريين لم يكونوا البادئين بإطلاق النار، بل نحن. لم أحصل على تصديق بإطلاق النار، ولكني لم أجد من أتحدث معه. كنت أرد على زرع الألغام التي قد يصاب بسببها جنود الجيش الإسرائيلي".

في صباح التاسع من سبتمبر اقترح طل على بارليف عزل برأون من منصبه، وهو ما حدث بالفعل. فيما بعد زعم برأون أن قادة كثيرين - قبله وبعده - فعلوا مثلما فعل، إلا أن سوء حظه أوقعه مع يسرائيل طل. وقد قال برأون إن سبب عزله هو أنه أمر بإطلاق النار دون أن يحصل على تصديق بذلك، بينما قال من أصدروا قرار عزله إن السبب في ذلك هو بلاغه الكاذب لرئيس الأركان. إذا كان ما قاله صحيحاً، فمن المعتقد أن رئيس الأركان لم يصرح بالحقيقة لرئيس الوزراء ليفي أشكول، وأن حاول إشعال الجبهة المصرية في وقت غير مناسب من خلال عملية عسكرية شديدة الخطورة بمبادرة من ضابط إسرائيلي.

لم تكن مشكلة رئيس الوزراء ليفي أشكول ووزير الدفاع موشيه ديان ورئيس الأركان حاييم بارليف، هي مقتل جنود مصريين أو إسرائيليين أو حتى الشكوى الكاذبة في مجلس الأمن. كان خوفهم الحقيقي نابعاً من احتمال انتشار خبر أدائهم الغريب في هذه القضية بين الجمهور الإسرائيلي. كان من شان هذا الأمر أن يؤثر سلباً على مصداقيتهم وعلى بقائهم في مناصبهم. ومن أجل درء هذا الخطر الداخلي تم تجنيد وسائل الإعلام الإسرائيلية، التي ظلت حتى حرب يوم الغفران(أكتوبر ١٩٧٣) تخدم مصالح مسئولي المنظومة السياسية والعسكرية دون أي رقابة تقريباً.

في السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٦٨ حدث قصف مدفعي آخر في قطاع القناة، قتل خلاله خمسة عشر جندياً إسرائيلياً وأصيب أربعة وثلاثون. وفي ٣١ أكتوبر أغار مقاتلو لواء المظلات تحت قيادة ماتان فلينائي على محطة كهرباء بالقرب من نجع حمادي بصعيد مصر، على مسافة ٣٥٠ كيلومتراً من الحدود، كما قصفوا محطة محولات على خط الضغط العالي أسوان- القاهرة.

في نوفمبر ١٩٦٨ كلف حاييم بارليف اللواء المتقاعد أفراهام أدان بوضع خطة حماية سيناء وخط النقاط الحصينة على طول قناة السويس، فأوصى أدان بإنشاء "خط بارليف".

بهذا يكون بارليف وأدان قد حددا طابع وشكل حرب الاستئناف، فضلاً عن أسلوب انتشار الجيش الإسرائيلي في

شبه جزيرة سيناء وحماستها فى مواجهة الحشود العسكرية المصرية الرئيسية على طول قناة السويس. كان لهذا الأمر تأثير هائل على نشوب حرب يوم الغفران، وعلى مجرياتها التى لم تتفق مع تطلعات الإسرائيليين، وكذلك على الاستخدام غير الذكى لوحدة "شاكيد" وسقوط الكثير من مقاتليها.

كان استنزاف إسرائيل وجيشها جزء من الخطة الاستراتيجية للرئيس المصري، إلا أنه لم يكن هناك ما يؤكد أنه سينجح فى تنفيذ خطته بهذا القدر من الكفاءة التى نفذها به. من المعروف أن التحول من الخطط الإستراتيجية إلى التنفيذ التكتيكى أمر صعب على أى جيش، لاسيما الجيش المصرى فى أواخر الستينيات بعد هزيمته فى ميدان القتال عام ١٩٦٧، وانهيار ثقته فى نفسه، ولكونه جيشاً نمطياً غير متطور. لقد كشفت إسرائيل لمصر فى معركة الثامن من سبتمبر كيفية استنزافها: إلقاء آلاف القنابل وقذائف الهاون والصواريخ القديمة على جنودها وإلحاق خسائر بخط الجبهة وتفتيت منظومة القيادة والسيطرة على الأمر الذى يتسبب فى تخبط هائل لإسرائيل. وقد أدرك رجال السلطة فى مصر أنه يتحتم عليهم أن يتركوا إسرائيل تستنزف نفسها ويصدروا لمواطنيها عدم الرضاء مما يثير حركات الاحتجاج ويتسبب فى تفرغ زعمائها لتوجيه جهودهم ضد بعضهم البعض وليس ضد عدوهم المشترك. كانت هذه لعبة جمال عبد الناصر بعد الثامن من سبتمبر ١٩٦٨ .

كان وزير الدفاع موشيه ديان ورئيس الأركان حاييم بارليف واثقين من أنهما سيستنزفان المصريين وربما يتسببان فى جرهم إلى حرب شاملة يحققان خلالها الحسم ويقدمان السلام لإسرائيل على صينية من فضة. وبالفعل، مثلما كانت الإغارة على كيبيا فى أكتوبر ١٩٥٣ هى الخطوة الأولى فى مسيرة انتهت بحرب ١٩٥٦، كانت معركة الثامن من سبتمبر هى الخطوة الأولى التى انتهت بحرب يوم الغفران. وإذا لم يكن هناك خلاف حول مدى الحكمة فى المسيرة الأولى، فلا جدال على أن المسيرة الثانية كانت أكبر الحماقات التى ارتكبتها إسرائيل منذ قيامها.

٧- "كيبوتس":

كما سبق القول، كان التاريخ الرسمى لبداية حرب الاستنزاف هو مارس ١٩٦٩ . فى هذا الشهر انتقلت مصر من "مرحلة التصدي" إلى "مرحلة التحرير". وكانت السرية الأولى فى "شاكيد" بقيادة يوآف جولان قد تمركزت آنذاك فى روماني، كما كانت تقوم بدوريات وتنصب أكمنة متنقلة على امتداد القناة. وقد كان القطاع ما بين القنطرة ونقطة "تمبو" الحصينة هو أكثر القطاعات صعوبة، وكانت به ثلاث نقاط حصينة صغيرة فى كل واحدة منها فصيلة مزودة بنصف مجنزرة مسلحة بمدفع هاون عيار ١٢٠ ملليمتراً. وكانت الدوريات اليومية تتحرك بين القنطرة ونقطة "تمبو". كما كان كبار الضباط، ومن بينهم وزير الدفاع موشيه ديان ورئيس الأركان حاييم بارليف وقائد قيادة المنطقة الجنوبية يشعياهو جافيش، يشاركون فى هذه الدوريات مرة واحدة على الأقل كل أسبوع.

كان موقع "كيبوتس" كائناً جنوبى "تمبو"، وكان يشغله أفراد من قوات الاحتياط الذين تعرضوا لخسائر فادحة جراء قصف المدفعية المصرية، ولذلك أصدر يشعياهو أوامره لجولان باستبدال أفراد الاحتياط بمقاتلى سريته فتوجه جولان برجاله إلى موقع "كيبوتس". وروى جولان: "كان الموقع هدفاً دائماً للقناصة ولقذائف الهاون التى تُطلق من الضفة الغربية للقناة، إلا أن أحداً من أفراد الاحتياط لم يرد على النار بالمثل. بعد يومين من وصولنا بدأنا نطلق النار على العدو، ومن حين لآخر كنا نطلق النار على المصريين ونعود بسرعة إلى الدشمة. كان المصريون أقل منا تحصيناً، ولذلك كانت لعملياتنا نتائج طيبة، حيث انخفض معدل نيران القناصة كثيراً، ولكن مع استمرار القصف المدفعى المصري. فيما بعد اشتهر موقع كيبوتس بأنه أكفأ نقاط خط بارليف".

٨- خط النقاط الحصينة:

فى كل دورية عادية يقوم بها مقاتلو "شاكيد" كانت تشارك مركبتان نصف مجنزرتين. يستقل كل واحدة ستة مقاتلين على الأقل مسلحين برشاش ثقيل أو برشاشين وسلاح آخر. وعندما اشتد لهيب حرب الاستنزاف أصبحت الدبابات ترافق بعض الدوريات، وكان المقاتلون المشاركون فى الدوريات يستعينون فى بعض الأحيان بالمدفعية التى كانت متمركزة على مسافة ما من القناة. أو بالدبابات الموجودة بالنقاط الحصينة وبالمواقع. لقد أنشأ مقاتلو "شاكيد" شبكة طرق على امتداد القناة وقاموا فيها بدوريات يومية لتأمين الطرق المؤدية إلى النقاط الحصينة، كما أقاموا نقاط مراقبة شمالى القنطرة. وعندما كانت إحدى الدوريات تغادر نقطة حصينة كان فرد الاتصال يبلغ النقطة الأخرى: "نحن فى الطريق إليكم". وفى حالة تأخر وصول القوة إلى موقع ما، كانت دبابات هذا الموقع تنطلق لمعاونتها. وإذا تعرض الموقع الذى تتجه إليه القوة للقصف، كان أفراد الدورية ينتظرون حتى يتوقف القصف ثم يواصلون طريقهم.

روى يوآف جولان: " كانت السرية الأولى مسئولة عن القطاع ما بين القنطرة وموقع تمبو، وكان الكثير من كبار القادة ينضمون إلى السرية فى دورياتها".

٩- غور الأردن:

بعد حرب الأيام الستة نشبت حرب استنزاف على الجبهة الشرقية أيضاً، التى تمتد بطول الحدود مع الأردن. ولكن، بينما كنا نقاتل على الجبهة الجنوبية - المصرية ضد جيش نظامي، كان القتال الرئيسى على الحدود الشرقية ضد مخربين كانت لهم قواعد وقيادات فى الأردن. بمجرد انتهاء حرب الأيام الستة.

حاول المخربون تنظيم السكان فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) للقيام بانتفاضة شعبية ضد هذا الاحتلال الإسرائيلي، ولكنهم فشلوا فى ذلك، حيث لم يستجب السكان فى المناطق (الفلسطينية) وتم ضبط أو فرار أعضاء التنظيمات الإرهابية. ولذلك استخدموا أسلوبا آخر: إطلاق خلايا إرهابية إلى ما وراء الحدود. كانت عمليات التسلل تتم على محورين: على امتداد غور الأردن، وبطول عرافا حتى إيلات. كان غور الأردن تحت مسئولية قيادة المنطقة الوسطى التى كانت تتبعها وحدة خاصة للأمن الجاري، هى وحدة "حاروف"، إلا أنها كانت وحدة حديثة التكوين وقليلة الخبرة. وفى عام ١٩٦٨، انتقلت إحدى سرايا "شاكيد" من سيناء إلى غور الأردن، وانضمت إلى لواء الغور تحت قيادة رافائيل إيتان (رافول) ونقلت إليه أسلوبها فى مجال الأمن الجاري. أما عرافا، فقد كانت تحت مسئولية قيادة المنطقة الجنوبية، وهناك كانت "شاكيد" تعمل بشكل متواصل ضد المخربين وعاونيهم لفترة طويلة.

فى ٢١ مارس ١٩٦٨، أغارت وحدات الجيش الإسرائيلى على قواعد المخربين شرقى نهر الأردن، التى كانت قاعدة الكرامة أهمها وأشهرها، وشارك مقاتلو "شاكيد" فى هذه العملية. كان للمخربين شرقى جسر أم الشورت فى غور الأردن تسعة معسكرات وبعض القيادات، وكذلك مراكز إمداد وخدمات وقواعد تدريب. وكان بهذه المنطقة ما يقرب من ألف مخرب تحت قيادة ياسر عرفات، وقد لحقت بهم خسائر فادحة فى عملية الكرامة، إلا أن قواعدهم ظلت كما هي. خلال هذه المعركة، قُتل ثمانية وعشرون مقاتلا من الجيش الإسرائيلى وأصيب تسعون. ونصب مقاتلو "شاكيد" أكمنة للهاربين من الكرامة حول قريتي صافى وفيفى جنوبى البحر الميت. روى باتسي: "كنا نمشط المنطقة بالطائرات المروحية، وعندما نشاهد مخربين أو أردنيين كنا نهبط. قتلنا ستة أفراد ولم تقع خسائر فى صفوفنا".

كانت كتيبة "شاكيد" تتكون آنذاك من ثلاث سرايا نظامية، إحداها تعمل فى القطاع الشمالى لقناة السويس، والثانية فى إيلات، بينما كانت الثالثة تعمل فى عرافا.

١٠- عرافا:

فى عام ١٩٦٩، كان ضمن صفوف "شاكيد" ثلاثة ضباط احتياط، وكان كل منهم يخدم أربعة أسابيع فى إيلات مع بعض أفراد سرية الاحتياط. روى جرشون فيلان: "كنت مسئولا عن الدوريات، وكانت ترافقنا مركبتان نصف مجنزرتين من إيلات حتى يتفتا ذهابا وإيابا". كان فيلان بدرجة رقيب وتحت قيادته اثنا عشر فردا. ذات يوم أطلقت قذيفتا هاون صوب مناجم النحاس فى تمناع، فاتجه فيلان وجنوده نحو الشرق حتى جدار الحدود مع الأردن، واكتشفوا وجود أربعة ألغام فعبروا الحدود عند سفح جبل أدوم، فعثروا على آثار المتسللين. أبلغ فيلان هذا الأمر لباتسي، الذى كان يقوم بدورية بالقرب من إيلات بطائرة مروحية، فسارع باتسى بمطاردة المخربين الذين اختبأوا فى الوديان الواقعة بين جبال أدوم. كان هذا أو تغلغل إسرائيلى فى العمق الأردنى (١٢ كيلومترا).

شكل بنيامين بن إليعيزر (فؤاد) وحدة تسلل إلى الأراضى الأردنية تحت قيادة باتسي، وكانت مكونة من ستة عشر مقاتلا وأطلق عليها اسم "شفيفون" (الأفعى الخبيثة الصغيرة والفتاكة التى يصعب اكتشافها).

روى فؤاد عن نشاط وحدة "شاكيد" فى عرافا قائلا: " قال لى جافيش: لا توجد فى عرافا سوى قوات قليلة، علاوة على عدم خبرة أفرادها والمشاكل الكثيرة هناك. تولَّ قيادة القطاع ونظم الأمور وفقا لما تراه، وابق هناك حتى يتم حل كل المشاكل. وضعت منظومة تأمين فى منطقة التسلل، واعتمدنا فى نشاطنا على الدوريات فى الطرق الخالية من أى خطر، وخاصة على العمليات الليلية وبعد بضعة أيام أصبح الهدوء يسود المنطقة". وتمكن أحد الأكمنة من القضاء على وحدة كوماندوز أردنية أو مصرية كانت فى طريقها من الأردن إلى إيلات، كما كان مقاتلو "شاكيد" يوجهون ضربات للمخربين والمعربين كل ليلة. وقد أطلق على هذه العملية اسم" ابحث ودمّر". وكانت بداية لعمليات "المناطق العازلة".

اجتازت الوحدة التى يقودها باتسى تدريبات تخللها مسيرات ملاحية نهارية وليلة، وطوابير سير لتحديد

الاتجاهات بالبوصلة وغيرها، كما تدربت فى الوحدة البحرية رقم ١٣ على السباحة بالعتاد العسكري. فضلاً عن ذلك تدربت الوحدة على إطلاق النار برشاشات الكلاشينكوف التى زودوها بها كسلاح نمطي، بل لقد تدرب مقاتلو الوحدة على قيادة الدبابة الروسية تي-٥٤ التى غنمها مقاتلو "شفيفون" من المصريين. روى آرييه شيفمان قائلاً: "كانت التدريبات قاسية للغاية، ولكننا استمتعنا بها". بينما قال باتسي: "كانت هذه المجموعة هى الأفضل بين الأفضل، والأكفأ من بين الأكفأ فى وحدة شاكيد. كانوا بمثابة ذؤابة السيف. لقد توغلت وحدة شفيفون إلى عمق الأراضى الأردنية للقيام بعمليات مستخدمة فى ذلك المروحيات والمركبات، أو سيراً على الأقدام".

بعد عدة شهور تم تقسيم "شفيفون" إلى مجموعتين تتكون كل منهما من ستة مقاتلين. وقد تم الدفع بإحدى المجموعتين إلى غزة وبالأخرى إلى العريش.

١١- المناطق العازلة:

أدت شبكة المناطق العازلة، التى كانت بدايتها عملية " ابحث ودمّر"، إلى تحريك الحدود الإسرائيلية - الأردنية حتى جبال أدوم، وسيطر مقاتلو "شاكيد" على كل منطقة عرافا، سواء الإسرائيلية أو الأردنية. كانت مروحيتان من طراز "سيكورسكي" تقلعان يومياً تطاردان المخربين حتى فوق الوديان بين جبال أدوم. روى فؤاد: "كنا نقلع فجراً بمروحيتين، إحداهما تعلو الأخرى، ونقتل كل من نصادفه من المخربين. ذات مرة هبطت إحدى المجموعات من الطائرة المروحية وأوقفت كل المركبات التى كانت تسير على طريق عرافا الأردني، وجمعنا خمسين سيارة كان سائقوها يساعدون فى تمهيد الطريق، وتم التحقيق معهم ثم أطلقنا سراحهم. كانت هذه هى المرة الأولى التى نحصل فيها على تصريح بعبور الحدود إلى مثل هذا العمق. كنا نقضى على كل من نشتبه فى كونه مخرباً فى عرافا، على جانبى نهر الأردن، وأعتقد أننا وجهنا أيضاً ضربات لجنود أردنيين". قال إيلي ملميد: "كنا فى البداية لا ندخل الأردن إلا لعمق يبلغ مائتى متر أو ثلاثمائة، ولكن كل منطقة عرافا أصبحت فيما بعد أرضاً لنا حتى جبال أدوم. كنا نقوم بدورياتنا فى عرافا بالطائرات المروحية وبالمركبات نصف المجنزرة وسيراً على الأقدام. وكانت نقطة انطلاقنا تبدأ من الكيلو ١٠٥، فى مواجهة وادى موسى المؤدى إلى بترا، ونصل إلى مسافة مائة متر من طريق الدوريات الأردني".

خلال فترة عملية " المناطق العازلة" أخلى البدو منطقة عرافا، ولم يبق عند سفوح جبال أدوم سوى ثلاثة مراكز شرطة أردنية بمن فيها من أفراد: بير مدكور، غرندل، وصافي. قال فؤاد:" كنا نمر بالقرب من هذه المراكز، وكان الأردنيون يلزمون الصمت على مضض".

١٢- الإغارة على بور فؤاد:

فى أواخر عام ١٩٦٩ وصلت أنباء تفيد باقتراب أفراد من القوات الخاصة المصرية نحو نقطة المراقبة "بيليكان"، أقصى مواقع الجيش الإسرائيلى من جهة الغرب، بالقرب من البحر فى شبه جزيرة سيناء، وكذلك نحو الموقع "بودابست". وقد توغل ثمانية جنود من "شاكيد" إلى الضفة الشرقية شمال القناة، وهى المنطقة التى كانت لا تزال تحت السيطرة المصرية، وفحصوا منطقة الجسر الموصل بين جانبى بور فؤاد لمعرفة ما إذا كان فى مقدور الدبابات المصرية المرور فى الرمال المتحركة والوصول إلى المواقع الإسرائيلية. كانت هذه أول عملية توغل إلى الأراضى المصرية بعد حرب الأيام الستة. تولى فؤاد قيادة هذه العملية، وانضم إلى مقاتليه مقاتلان من سلاح الهندسة العسكرية(قائد سرية الهندسة فى لواء المظلات يتسحاق مردخاي، وبتسلئيل شنبرج)، وفردان من الوحدة البحرية رقم ١٣ وفرد مدرعات (يتسحاق بن آري). وقد أفادت الاستخبارات بأن راداراً أرضياً يمشط المنطقة ولا توجد به قوات. قطع المقاتلون ثمانية عشر كيلومتراً بصورة سرية، ووصلوا إلى مسافة مائة متر من الجسر، وهنا شاهد فؤاد جندياً مصرياً على مسافة قريبة جداً منه، وهو يمد سلكاً لإعاقة أى متسلل، ونحو عشرين مصرياً من القوات الخاصة وهم يعبرون الجسر ويستعدون لنصب كمين. وروى فؤاد:" أدركت أن الرادار كشفنا، فتخندقنا وانتظرنا. قام الجندى المصرى بزرع لغم إضاءة فى السلك وانضم إلى زملائه. تلقيت أمراً عبر جهاز الاتصال بالعودة فوراً". عادت القوة إلى شاطئ البحر، وبعد عشرين دقيقة لحقت بها زوارق مطاطية ونقلتها إلى روماني.

١٣- وداعاً فؤاد:

فى مطلع السبعينيات ترك فؤاد وحدة "شاكيد" وحل محله المقدم دانى رهف(وولف). قال قائد السرية عاموس ترتمان: "كان فؤاد محبوباً من الجنود. وكان قائداً متميزاً. كان يعرف كل جندى وكل المشاكل الشخصية للجنود، رغم أن عددهم كان يبلغ المئات".

وقال شلومى جرونر: "لقد حوّل فؤاد الوحدة إلى كتيبة منظمة، بعد أن كان يُنظر إليها على أنها عصابة، كما حرص على اختيار أفضل المقاتلين وضمهم إلى الكتيبة. وبفضله تغيرت النظرة إلى شاكيد".

قال فؤاد: "كانت شبه جزيرة سيناء هى ساحة عملياتنا الرئيسية، إلا أننا لم نهمل القطاع الأردني. كنت أحضر فى الصباح وأسمع الجنود يقولون: "هناك قتلى. كيف يمكن التغلب على هذا..؟ كيف يمكن مواصلة الطريق..؟ لقد قتل منهم العشرات ولكننا واصلنا طريقنا".

يلخص فؤاد فترة قيادته للوحدة بقوله: "توليت قيادة وحدة صغيرة كان لها زعيم صغير السن. وقد أصبحت الوحدة الصغيرة كتيبة تسيطر على مساحات شاسعة، بالقرب من القناة وفى عرافا وفى قطاع غزة. لقد طورت "شاكيد" نظرية المطاردات الراجلة والمطاردات باستخدام المركبات المروحيات، وحققت إنجازات. كانت هذه الفترة من أروع فترات حياتى رغم الضغوط".

كان أفراد "شاكيد" يشعرون بأن كفاءتهم غير مستغلة بالشكل اللائق، وكانت عمليات الأمن الجارى والدوريات على امتداد قناة السويس والعمل بالنقاط الحصينة، أقل جذباً لهم من العمليات الخاصة، إلا أن العمليات الخاصة كانت قليلة جداً فى الفترة مابين حرب الأيام الستة وعام ١٩٧٠ . كانت نظرية الوحدة ١٠١ هى صاحبة السيطرة فى الجيش الإسرائيلى آنذاك، وكانت رغبة المقاتلين الأكفاء شديدة فى المشاركة بالإغارات، وقلة منهم هم فقط الذين كانوا يدركون أهمية العمليات الوقائية. لم يكن جميع الجنود والقادة فى وحدات الصفوة الأخرى يشاركون فى العمليات الخاصة إلا أنهم جميعاً كانوا يحظون بالثناء والإشادة. كانت فترات العمليات التى يقوم بها مقاتلو "شاكيد" طويلة، ولكن الأمن الجارى لم يلق التقدير اللائق به.

كان الجيش الإسرائيلى المرابط عند قناة السويس فى حاجة إلى مقاتلين لحماية المناطق المعرضة للخطر، وكانت هذه المهمة صعبة سواء على الجنود النظاميين أو على أفراد الاحتياط. لقد أطلقوا اسم "النمور" على ضباط الاحتياط الذين انتقلوا من وحدات الصفوة وألحقوهم بالنقاط الحصينة لرفع الروح المعنوية للجنود. وكانت "شاكيد" وحدة "نمور".

وثائق

تقرير فينوجراد
(الباب الثالث - الفصل الخامس "٣"): بداية المعركة

ترجمة وإعداد: د. أشرف الشرقاوي

يوم الأحد ١٦ يوليو ٢٠٠٦

- أحداث الليلة:

١٠٣ - خلال الليل واصلت القوات الجوية قصف أهداف بحي الضاحية. وتم قصف هدفين كانا يعملان في إنتاج الصواريخ والتخطيط لقصف إسرائيل بها، كما تم قصف عدة أهداف أخرى في بعلبك. وواصل حزب الله قصف إسرائيل بالصواريخ.

- تقييم الموقف في هيئة الأركان:

١٠٤ - في الساعة السابعة والربع صباحاً اجتمعت هيئة الأركان لتقييم الموقف.

استعرض رئيس العمليات أمام الحضور نتائج القصف الجوي الليلي، وعمليات القوات البرية لدى مداخل جنوب لبنان التي تهدف لشكيل ملامح خط الحدود.

استعرض رئيس وحدة البحوث ورئيس المخابرات العسكرية الصورة في مجال المخابرات.

فيما يتعلق بحزب الله وبلبنان قالا إن جزءاً من خطتنا الإستراتيجية هو الوصول بالدولة اللبنانية إلى ممارسة مسئولياتها. وسيكون من الممكن ملاحظة دلائل على بدء آلية تؤدي لذلك في لبنان.

وصف قائد المنطقة العسكرية الشمالية النشاط الذي جرى على امتداد خط الحدود وإطلاق صواريخ الكاتيوشا. وطرح رئيس العمليات إمكانية القيام بعملية برية محدودة، واستعرض قائد القوات الجوية القصف الليلي الذي جرى لضاحية بيروت.

اختتم رئيس الأركان الجلسة بتأكيد أن مدة العملية العسكرية ليست مفتوحة، ولذلك لابد من تركيز الجهود على النقاط التي نعتقد أننا لن تكون لدينا فرصة أخرى لمهاجمتها عند التوصل إلى أي اتفاق ينظم الأوضاع.

- قصف حيفا بالصواريخ:

١٠٥ . في الساعة التاسعة بعد نحو نصف ساعة من انتهاء هذه الجلسة، وقبل نحو ساعة من انعقاد جلسة الحكومة أطلقت دفعة من صواريخ الكاتيوشا على حيفا. وتسبب القصف في خسائر فادحة في ورشة السكك الحديدية في حيفا السفلى، حيث قتل هناك ثمانية من عمال السكك الحديدية وأصيب عشرات آخرون. وكان الصاروخ الذي سبب أكبر خسائر صاروخ ٢٥ مللي سوري.

- جلسة الحكومة:

١٠٦ - في الساعة العاشرة صباحاً عقدت الحكومة جلستها الأسبوعية.

في بداية الجلسة أصدر رئيس الوزراء بياناً للصحافة كانت العناصر الأساسية فيه:

❖ تعرضت دولة إسرائيل لهجوم من الشمال منذ عدة أيام. وكان هذا الهجوم استمراراً للهجوم الإرهابي الذي جرى من قطاع غزة. وفي كلتا الحالتين كان الهجوم متعمداً وبدأ دون أي سبب واتجه الهجوم في الأساس إلى مدنيين أبرياء داخل الأراضي السيادية لدولة إسرائيل. وفي كلتا الحالتين لم يزعم أي عنصر إقليمي أو دولي أن إسرائيل تحتل أرض طرف آخر.

❖ ليس في استطاعة دولة إسرائيل ولا في نيتها التسليم بهذا الأمر. ليس لدينا ولم تكن لدينا مصلحة في الاعتداء على الشعب اللبناني أو على الفلسطينيين. فنحن نريد أن نعيش حياتنا في هدوء وحسن جوار. وللأسف فقد فسر البعض سعينا للسلام على نحو غير صحيح. وليس لدينا النية للخضوع في مواجهة هذه التهديدات. نحن نعرف أن في انتظارنا اختبارات عديدة. وسيحاول أعداؤنا عرقلة سير الحياة في إسرائيل. ولكنهم سيفشلون.

١٠٧ - بدأ رئيس المخابرات العسكرية الجلسة باستعراض تقرير المخابرات:

❖ وصف رئيس المخابرات مؤامرة إيران وسوريا

وحزب الله وحماس التى تهدف لتقويض دولة إسرائيل، وربما لإنهاء الوجود الأمريكى فى الشرق الأوسط باستخدام الأدوات المناسبة لذلك.

❖ ووصف نظرية عمل حزب الله بعد حادث الاختطاف: وتتمثل فى عدم وجود أى اتصال مع إسرائيل على امتداد الحدود، وإطلاق الصواريخ على إسرائيل طالما استمر القصف الإسرائيلى للبنان. وكان رأيه أن العملية الإسرائيلية على النحو الذى سارت به حتى الآن قد أوضحت لنصر الله أن قواعد اللعبة قد تغيرت. وقد أثبت الهجوم على شبكة الصواريخ الأرض أرض وعلى حى الضاحية لنصر الله أن إسرائيل سوف تعمل بكل قوة حتى لو كان الثمن هو الاستمرار فى قصف الجبهة الداخلية.

❖ وأكد أن المواجهة مع حزب الله لا تقتصر على المجال العسكري، وأن هناك تنافساً للسيطرة على وعى وفكر الشعبين.

❖ حيث أن لبنان حققت ازدهاراً اقتصادياً، ونظراً للنظرة السلبية التى سادت فى العالم للممارسات الإرهابية بعد أحداث ١١ سبتمبر، فإن من الممكن إنهاء المعركة مع حزب الله بنتائج أفضل من التى تحققت فى الحروب السابقة.

❖ هناك عوامل سياسية وعسكرية بالإضافة للضغط الدولى والعربى يمكن لإسرائيل عن طريقها الضغط على حزب الله. "العامل الأول هو الضغط المباشر على حزب الله، حيث لدينا شرعية دولية لمهاجمته بأقصى قدر ممكن من الضراوة وإلحاق خسائر به وإضعافه. والثانى هو الدولة اللبنانية. ونحن نريد أن يكون هناك وجود للدولة على امتداد حدودنا بحيث تكون مسئولة وتعرف كيف تتحمل المسئولية.. والثالث هو العملية البرية التى يمكننا القيام بها بالطبع، ولكننا فى هذه المرحلة لم نبدأ فيها".

بعد ذلك قام رئيس الشاباك ومفتش عام الشرطة وقائد المنطقة الشمالية باستعراض تقديراتهم للموقف بشأن ما يجرى فى السلطة الفلسطينية وبشأن استعدادات الداخل الإسرائيلى للحرب.

١٠٨ – فيما يلى ملخص لما قاله رئيس الأركان:

❖ لابد أن أقول لكم الآن إننا فى حاجة إلى وقت. فهذا الأمر لن ينتهى بضربة واحدة.

❖ إن هدفنا العسكرى هو فى المقام الأول إضعاف حزب الله بكافة أجنحته، سواء السياسى أو العسكري، وإضعاف الدعم الذى يحظى به من السكان الشيعة ولاسيما فى جنوب لبنان. ولا أعتقد أننا نحقق تقدماً فى هذه المجالات وفقاً للخطط الموضوعة ووفقاً لما كنا نعتقده.

❖ حسب نظرتى إلى الأمور فإن العملية العسكرية من المفترض فى نهاية الأمر أن تخدم التحرك السياسى المكمل الذى سيأتى بعدها أو بما يتوازى معها. ووفقاً للسياسة التى وضعتها الحكومة فإننا نعمل من أجل تحقيق أكبر فائدة ممكنة.

❖ فيما يتعلق بالنشاط العسكرى فى المنطقة المجاورة للحدود "ليس لدينا النية للتواجد المادى هناك فى هذه المرحلة بالتأكيد، وتقتصر نيتنا على السيطرة على تلك المنطقة بالقصف النيراني. وحتى نتمكن من هذا فإننا فى حاجة إلى تنظيم كل ما يتعلق بالبنية الأساسية التى تتيح لنا أداء هذه المهمة.

❖ عندما أراجع التحرك الذى جرى بالكامل أعتقد أننا– على مستوى الإنجازات التى تحققت مقارنة بالخطة الموضوعة– نعتبر ملتزمين بالخطط التى وضعناها لأنفسنا... فالقدرات الأساسية لحزب الله موجودة فى جنوب لبنان. والصواريخ قصيرة المدى لا يمكن إطلاقها سوى من المنطقة الواقعة بين نهر الليطانى وحدود دولة إسرائيل، وهذه هى المنطقة التى تهمنا.

❖ ورداً على سؤال الوزير سمحون عما إذا كان استكمال المهمة يتطلب توغل قوات برية فى جنوب لبنان قال رئيس الأركان: "كلا. ولكننى أقول لكم إن دخول قوات برية سيظل لفترة طويلة مطروحاً كأنه ظل فوق رؤوسنا. ولا أقصد ظلاً سلبياً، وإنما أقصد ظلاً يهدد اللبنانيين وحزب الله فى المقام الأول. نحن نبذل كافة الجهود الميدانية حتى لا نضطر إلى دفع قوات برية للبنان. ولكننى أعتقد أنه من غير المعقول أن نعلن أن هذا أمر غير وارد. فهذا أمر ممكن. وقواتنا قادرة على القيام به، ولدينا خطط عمليات فى هذا الصدد بعضها يخطط للاستيلاء على المنطقة التى تنطلق منها الصواريخ بالكامل...

❖ أعتقد أن حزب الله تعرض لضربة قوية للغاية. فى منتهى القوة. وكانت هذه الضربة فى منتهى القوة من الناحية المعنوية فى المقام الأول. ولكن لم تؤد هذه الضربة إلى كسره ولا تحطيمه ولا تفكيكه. والأكثر من ذلك أقول لكم إنه ليس من الممكن تحطيم حركة، حيث سيبقى دائماً فى النهاية من يؤيدون مبادئها من الناحية الأيديولوجية، وحتى لو انتهت كافة الشخصيات التي تتولى القيادة فيها الآن فسوف يأتى آخرون بدلاً منهم...

❖ أعتقد أن فى استطاعتنا بالفعل لو أتيح لنا الوقت الكافى أن نضعف حزب الله بشدة، وان نخلق الظروف التى تسمح لنا فى المستقبل بتنظيم الأمور فى المناطق التى تهمنا بطريقة مختلفة. وأنا لا أرى حتى الآن أى قيد يمنع ذلك. لن نقوم بتتويج ملك جديد هناك، ولن نقوم بتنصيب حكومة أخرى، وإنما سنرتب

الظروف بحيث يكون فى استطاعتنا أن نعيش فى إسرائيل على وجه العموم وفى المناطق الشمالية بصفة خاصة فى ظل قواعد مختلفة. وسواء أطلقوا على هذا الأمر اسم تفاهمات أو ترتيبات أو اتفاقية فإن الاسم لن يحدث فارقاً بالنسبة لي، ولكن النتيجة هى التى ستحدث الفارق. وأعتقد أن النتيجة المطلوبة قابلة للتحقيق من وجهة نظري؛ ولاسيما فيما يتعلق بإضعاف حزب الله. وعلى وجه العموم، حتى لو لم نقل ذلك صراحة فإننا عندما نضعف طرفاً نتسبب بشكل غير مباشر فى تقوية طرف آخر.

١٠٩ – فيما يلى العناصر الأساسية فى حديث وزير الدفاع:

❖ فيما يتعلق بدخول قوات برية إلى لبنان لن تدخل قوات برية للسيطرة على أى أرض هناك. وإذا دخلت القوات البرية لبنان فسيكون ذلك لهدف آخر. ولكنها لن تدخل بهدف السيطرة على الأرض.

❖ "ربما يكون الاختبار الاستراتيجى الأول الذى خططنا له هو أن تكون العودة إلى الحدود فى ظل وضع مختلف. فلن نقبل بموقف يبقى فيه رجال حزب الله فى نفس الخط... وأعتقد أن قرار عدم السماح لهم بالعودة إلى خط النار، وخلق حاجز افتراضى ندافع عنه بالقصف النيرانى إلى أن تأتى قوة أخرى تسيطر على هذا الخط أو قوات دولية نوافق عليها أو قوة من الجيش اللبنانى هو قرار شديد الأهمية، ويجب أن نصر عليه. وهذا القرار يتماشى مع القرارات الدولية بما فى ذلك القرارات الصادرة عن مجلس الأمن.

١١٠ – تناولت وزيرة الخارجية تسيبى ليفنى فى حديثها موقف المجتمع الدولى وأهداف العملية. وكان رأيها أنه "بالنسبة لهذا التحرك بالكامل... حيث أن الإنجاز النهائي لابد أن يكون إنجازاً سياسياً، فلابد أن نتحدث أيضاً عن تنفيذ القرار ١٥٥٩ وعن كيفية التعامل مع السنيورة... إن إسرائيل تقوم بتطهير جنوب لبنان، وخط مواقع حزب الله، وتضعف حزب الله حتى يكون من الممكن أيضاً لرئيس الحكومة اللبنانية أن يمارس سلطاته بناءً على قرار صادر، حتى فى ظل الوضع السياسى الداخلى فى لبنان.

١١١ – فى النهاية تحدث رئيس الوزراء بشكل أساسى عن أن هدف العملية هو منع تكرار الوضع الذى كان سائداً على امتداد خط الحدود. ومنع إطلاق صواريخ الكاتيوشا والقذائف الصاروخية على إسرائيل. وقال إننا "لن ننهى هذه العملية إلا بعد أن نجهض أى إمكانية لتوجيه ضربة من هذا النوع إلينا فى المستقبل. وهذا هو الهدف الرئيسى بالإضافة إلى استعادة أبنائنا.

– لقاء وزيرة الخارجية مع رئيس الوزراء:

١١٢ – بعد جلسة الحكومة فى الساعة الثانية والنصف ظهراً عقد اجتماع بين وزيرة الخارجية ورئيس الوزراء. وخلال اللقاء قدمت وزيرة الخارجية تقريراً عن تفاصيل لقاءاتها مع عناصر خارجية فى الليلة السابقة، وحاولت أن تعرف من رئيس الوزراء موقفه بشأن كيفية انتهاء العملية.

– اجتماع للجنة التوجيه بالأركان العامة:

١١٣ –فى الثانية والنصف بعد الظهر اجتمعت لجنة التوجيه بهيئة الأركان العامة برئاسة رئيس الأركان:

طرح رئيس شعبة التوجيه إمكانية القيام بعملية برية متوسطة لا يمكن اعتبارها غارة ولا يمكن اعتبارها تنفيذاً لخطة "الغيث". وقام بتحليل الفائدة المرجوة من مثل هذه الخطوة على المستوى العسكرى وأهميتها لتحسين صورة الجيش الإسرائيلي. وفى أعقاب ذلك تم بحث إمكانية القيام بعملية برية وأهداف العملية والعناصر المرشحة للمشاركة فيها. وقد أدلى بدلوهم فى هذا الشأن كل من رئيس شعبة العمليات ورئيس فرع العمليات وقائد القوات البرية ورئيس قطاع البحوث ورئيس قطاع التخطيط الاستراتيجى ورئيس المخابرات العسكرية.

عارض رئيس الأركان العملية البرية المقترحة مبرراً ذلك بأنها لن تفيد. ووفقاً لما قاله فإن أى تحرك برى قد يؤدى إلى سقوط جنود قتلى من جنود الجيش الإسرائيلى داخل الأراضى اللبنانية... نظراً لأنها عملية برية. ولو حدث هذا على بعد عشرة كيلومترات أو خمسة عشر كيلومتراً فلن يكون لتفسيرنا لما حدث أى قيمة. حيث ستعتبر هذه عملية برية فى لبنان تمت خارج نطاق التفويض الممنوح لنا من الحكومة. ولن يكون هذا فى صالحنا سواء على الصعيد العالمى أو على الصعيد المحلى فى نظر الجمهور الإسرائيلي. وكان رأيه أن دخول قوات برية فى مناطق معينة– حتى لو كان ذلك على نطاق محدود– سيتسبب فى وقت لاحق فى تقييد قواتنا الجوية والمدفعية خشية قصف قواتنا البرية. وفيما يتعلق باحتلال بلدة بنت جبيل قال: "كم من الوقت سنبقى فيها. إن أى انسحاب لنا منها بعد الاحتلال سيتم تفسيره بشكل ينطوى على مغالطة، حيث سيزعمون أنهم نجحوا فى طرد اليهود من لبنان". وبخلاف هذا فإن الشعب الإسرائيلى لا يحب الدخول إلى لبنان. ومع هذا فإننى لست معارضاً لدخول القوات البرية... فلدينا خطة، وهذه الخطة موجودة، ونحن نعكف على دراستها الآن".

خطاب تليفزيونى لنصر الله:

١١٤ – فى السادسة مساءً أذاعت محطة تليفزيون المنار خطاباً مسجلاً لنصر الله؛ تركز على النقاط التالية:

❖ حزب الله مصر على خوض معركة طويلة ضد إسرائيل، وسوف يستمر فى تقديم مفاجآت مثل عملية قصف الزورق الإسرائيلى "حانيت" وإطلاق الصواريخ على حيفا. "وإذا استمر العدو فى عدوانه بلا حدود وبلا خطوط حمراء فسوف نستمر فى محاربته بلا حدود وبلا خطوط حمراء".

❖ خصص نصر الله أغلب الخطاب للجبهة الداخلية اللبنانية. وأكد أن عمليات حزب الله جرت بعد تفكير متزن وليس نتيجة لتسرع. وأكد أن حزب الله سيواصل الدفاع عن لبنان، ووعد بقيام الحزب بإصلاح كل ما ستخلفه الحرب من دمار.

❖ فيما يتعلق بالدول العربية هاجم نصر الله الدول العربية التى انتقدت الحزب، وهاجم الأداء فى اجتماع الجامعة العربية (الذى انعقد فى اليوم السابق)، وأكد على الطابع الإسلامى المناهض للغرب الذى تتسم به المعركة الحالية فى لبنان.

– قرار مجموعة الثمانية:

١١٥ – بصرف النظر عن الأحداث التى كانت تجرى فى لبنان عقدت مجموعة الثمانية مؤتمرها السنوى فى سان بطرسبرج بروسيا. وفى ضوء الأحداث التى جرت فى غزة ولبنان أصدرت المجموعة بياناً جاء فيه:

❖ اتهام حزب الله بالاعتداء على السيادة الإسرائيلية وقتل واختطاف جنود.

❖ اعتبار الرد الإسرائيلى ممارسة لحق الدفاع عن النفس مع التأكيد على أنها كان عليها أن تحرص على عدم مهاجمة الأبرياء وعدم مهاجمة منشآت البنية التحتية اللبنانية.

❖ وضع شروط لوقف العنف فى المنطقة تمثلت في: إعادة الجنود المختطفين، ووقف القصف الذى تتعرض له إسرائيل، وتنفيذ القرارين ١٥٥٩ و١٦٨٠ من أجل دعم سيادة الحكومة اللبنانية، مع التأكيد على نشر قوات الجيش اللبنانى فى جنوب لبنان ونزع سلاح حزب الله.

١١٦ – فيما يلى تعليق رئيس الوزراء الإسرائيلى على هذا البيان:

"أعتقد أن أصح خيار هو خيار أن تستخدم القوة العسكرية فى الوقت الذى تعرف فيه تماماً كيف تستخدم وتحرك القوة السياسية.... وانظروا ما حدث، فقد اجتمعت مجموعة الثمانية... وكان أول بند تحدث عنه بيانها هو ضرورة إعادة الجنود الإسرائيليين. ثم ألقت التبعة عما حدث على حزب الله. وأخيراً فإن حل هذه المشكلة يتطلب نشر قوات دولية وهو أمر لم يكن مطروحاً حتى الآن. وهكذا نرى أننا نجحنا بهذه الطريقة فى دفع الأمور فى اتجاه حل سياسي. وذلك عن طريق ما فعلناه، وليس عن طريق دفع قوات كبيرة إلى لبنان لتحتل أراضي، فيم قد يؤدى إلى عزلنا عن المجتمع الدولى بكامله. ولذلك أقول إن النظرية التى تحركنا بموجبها هى نظرية أثبت الواقع صحتها".

– نشاط وزارة الخارجية:

١١٧ – فى استجابة لبيان مجموعة الثمانية قامت وزارة الخارجية بتعزيز أنشطتها. واستمراراً للمحاولة السابقة التى قامت بها وزارة الخارجية (بتاريخ ١٤ يوليو) لوضع أساس لحل سياسى للمشكلة، أصدر مكتب مدير عام وزارة الخارجية مسودة وثيقة تحمل عنوان "خطة سياسية لإنهاء الأزمة" وتضمنت إستراتيجية للخروج من الأزمة، تحدد إسرائيل لنفسها بمقتضاها خمسة أهداف:

أ . إعادة الجنود.

ب . إبعاد حزب الله عن جنوب لبنان.

ج. نشر جيش لبنان فى الجنوب بشكل فعلي.

د. تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ .

هـ. منع تهريب الأسلحة لحزب الله عن طريق سوريا وبمساعدتها.

وكانت الأدوات السياسية المطروحة لتحقيق هذه الأهداف هي: تطوير القرار ١٥٥٩، عن طريق نشر قوات متعددة الجنسية لها صلاحيات قتالية فى جنوب لبنان ووضع آلية لتنفيذ القرار ١٥٥٩ . وفى موضع لاحق من الوثيقة وردت تفاصيل بشأن كيفية تحقيق الأهداف العملية (مثل إقامة منطقة عازلة بين حزب الله وبين الحدود، وفرض حظر على إمداد حزب الله بالسلاح)، واستخدام الوسائل الدبلوماسية لتحقيق هذا، ووصف للخيارات المختلفة للتفويض الممنوح للقوات الدولية وتكوينها والدول المشاركة فيها.

وقالت وزيرة الخارجية فى شهادتها أمام اللجنة إن وزارة الخارجية بلورت أوراق عمل فى يومى ١٣ و١٤ يوليو توضح فيها ما تعتبره إسرائيل مخرجاً من الأزمة.

– تقدير موقف:

١١٨ – جرى فى ساعات الظهيرة والمساء تقدير موقف برئاسة رئيس الأركان وتقدير موقف آخر برئاسة وزير الدفاع.

– عمليات أخرى جرت فى ١٦ يوليو:

١١٩ – استعد الجيش الإسرائيلى لتدمير مواقع حزب الله الموجودة بجوار خط الحدود الشمالية.

هاجمت القوات الجوية الإسرائيلية أهدافاً فى صور وبيروت وبعلبك وألقت منشورات تدعو السكان فى سبعة قرى وفى بلدة نبطية إلى ترك بيوتهم.

واصلت القوات البحرية محاصرة السواحل اللبنانية وعاد الزورق الحربى الذى قصفه حزب الله إلى أحد الموانئ الإسرائيلية.

فى يوم ١٦ يوليو عقد أول اجتماع فى سلسلة من الاجتماعات التى عقدها المديرون العموم بوزارات

الحكومة المشاركة فى قيادة الجبهة الداخلية، وسعوا إلى إيجاد حل لمشكلة الفئات السكانية الضعيفة. وتم تعيين العميد احتياط عوزى كيرن ممثلاً لديوان رئيس الوزراء فى المنطقة الشمالية.

فى هذا اليوم تم رصد سقوط ٤٧ صاروخاً قصف بها حزب الله إسرائيل. ولقى ثمانية مدنيين مصرعهم من جراء صاروخ أصاب ورشة للسكك الحديدية فى منطقة شاطئ "شيمن" فى حيفا. وأصيب فى القصف ٩٤ آخرين من بينهم ١٧ جندياً.

يوم الاثنين ١٧ يوليو ٢٠٠٧

- أحداث الليلة السابقة وصباح ١٧ يوليو:

١٢٠ - خلال الليلة التى بين السادس عشر والسابع عشر من يوليو أطلق حزب الله للمرة الأولى الصواريخ على وادى يزرعئيل (مرج بن عامر) (فأصاب منطقة الناصرة وجفعات هائيلا). وواصلت القوات الجوية الإسرائيلية مهاجمتها لأهداف فى حى الضاحية وبعلبك على نطاق أضيق، كما هاجمت مواقع لإطلاق الصواريخ الأرض أرض فى جنوب لبنان. واستمرت أيضاً عملية إزالة مواقع حزب الله على امتداد خط الحدود.

- جلسة استعراض موقف برئاسة رئيس الأركان

١٢١ - فى السابعة والنصف صباحاً عقدت جلسة لاستعراض الموقف برئاسة رئيس الأركان. واستعرض رئيس قطاع البحوث بالمخابرات العسكرية أحداث الليلة السابقة، وقام بتحليل توجهات حزب الله وكذلك قدراته ومستوى أدائه فى إطلاق الصواريخ الأرض أرض التى يصل مداها إلى ١٠٠ كيلومتر، وبالطبع فى إطلاق صواريخ الكاتيوشا. وتلا ذلك تحليل من رئيس المخابرات العسكرية تناول الموقف لدى حزب الله.

واستعرض قائد الجبهة الشمالية العمليات التى تجرى فى المنطقة الحدودية. ووصف قائد القوات الجوية ما جرى من عمليات قصف خلال الليل، وعرض رئيس العمليات اقتراحاته بشأن التحرك فى الأيام التالية.

وفى ختام الجلسة أصدر رئيس المخابرات تعليماته بتنسيق الجهود المخابراتية والعملياتية.

- جلسة لجنة الخارجية والأمن بالكنيست:

١٢٢ - فى الساعة العاشرة صباحاً عقدت جلسة للجنة الخارجية والأمن بالكنيست شارك فيها رئيس الأركان.

وتحدث نائب رئيس قطاع البحوث عن التقدم فى العملية العسكرية، وعن الضربة القاصمة التى تعرض لها حى الضاحية، وعن الدلائل الأولى على وجود صدع فى الدعم الداخلى الذى يحظى به حزب الله فى لبنان.

واستعرض رئيس قطاع العمليات ورئيس الأركان العناصر الأساسية فى خطة إزالة مواقع حزب الله فى المنطقة الحدودية بطول الخط الأزرق واستمرار ضرب مراكز حزب الله.

وفيما يلى ملخص ما قاله رئيس الأركان:

❖ إن الفكرة من وراء العمليات هى إضعاف حزب الله. وقد قررت (الحكومة) ذلك، ولكنها لم تفعل شيئاً فى هذا الشأن. وبالطبع فإننى لست المسئول عن الجانب المكمل وهو الجانب السياسي. ولكن من المؤكد أن الأمر ليس قاصراً على الجيش. فمن المفترض فى الجيش أن يقدم أفضل إطار ممكن، لمن يريد أخذ هذا الإطار وتحويله بعد ذلك إلى إنجاز سياسي.

❖ وأعتقد أننا فى هذا الشأن- كما هو الحال فى أشياء أخرى- نتجاوب جيداً مع القيادة السياسية. فقد حددت لنا القيادة السياسية مساحة للعمل فيها بقدر أو بآخر، ونحن نتحرك فى هذه المساحة.

❖ إذا شئنا الحديث عن مقاييس النجاح، فإن عدد الصواريخ التى يجرى إطلاقها هو أحد هذه المقاييس. والشيء الثانى الذى يمكن أن نقيس النجاح الذى تحقق بموجبه هو؛ على من وعلى أى شيء يطلقون الصواريخ، وأعنى بذلك ما مدى بعدهم عن خط الحدود... لأنه لا شك أن ابتعادهم فى اتجاه الشمال سيقلل تأثيرهم على جزء من المنطقة. وأعتقد أن قتل أفراد حزب الله، قتل هؤلاء المخربين، هو مقياس آخر. لأن القوة النظامية لدى منظمة حزب الله هى قوة صغيرة جداً. وهذه المنظمة قائمة على قوة احتياط. ولكن إجمالى عدد أفرادها لا يتجاوز بضعة آلاف الإرهابيين... والشيء الرابع هو توجيه ضربة قاصمة لشبكاتهم الإستراتيجية، والشبكة الإستراتيجية لديهم هى شبكة الصواريخ الأرض أرض بعيدة المدى.

❖ بالنسبة للعملية البرية فإن مركز الثقل فى عمليات الجيش الإسرائيلى قائم على القوات البرية والقوات الجوية... وكما تعلمون فإننا لم ندخل لبنان حتى الآن بقوات برية. أقول حتى الآن وأضع خطاً تحت حتى الآن، لأننى أعتقد أن كلمة حتى الآن لابد أن تستمر قدر الإمكان. فالدخول بقوات برية هو البديل الأخير لدينا. وقبل آن نلجأ لهذا البديل لابد أن تحدث أشياء معقدة للغاية، حتى أوصى باللجوء لمثل هذا الإجراء... وحتى لا يراودكم الشك فإننا نبنى قدرتنا على القيام بعملية برية، لأننا لا نستطيع كجيش أن نترك هذا الخيار دون أن نجهز له، ولذلك فقد جهزنا له..

- مشاورات عسكرية:

١٢٣ - فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً- وقبل خطاب رئيس الوزراء أمام الكنيست- جرت مشاورات عسكرية محدودة فى القدس.

– **اجتماع هيئة الأركان:**

١٢٤ – فى الساعة الرابعة بعد الظهر انعقد الاجتماع اليومى لهيئة الأركان لتقدير الموقف اليومي.

– **خطاب رئيس الوزراء أمام الكنيست:**

فيما يلى العناصر الأساسية التى تضمنها خطاب رئيس الوزراء:

❖ ربط رئيس الوزراء بين جبهتى غزة ولبنان ذاكراً أننا فى كلتا الجبهتين لا نواجه نزاعاً إقليمياً. ووصف المعركة ضد "التنظيمات الإرهابية التى تعمل من غزة ومن لبنان. وهى منظمات ليست سوى مقاول من الباطن يعمل بتصريح وبإيحاء وبتشجيع وبتمويل من أنظمة تدعم الإرهاب وتعارض السلام، فى محور الشر الممتد بين طهران ودمشق".

❖ إن المسئولية السياسية تقع على الحكومات عن كل ما يجرى فى أراضيها.

❖ هناك عناصر إرهابية عنيفة متطرفة تعكر صفو المنطقة كلها وتعرض استقرارها للخطر. وهذه العناصر الإرهابية الهدامة تعرض المنطقة التى نعيش فيها للخطر. وتقتضى المصلحة الإقليمية والدولية أيضاً التصدى لهذه العناصر ووقف نشاطها. وها نحن نرى أن أغلبية المجتمع الدولى تؤيد صراعنا ضد المنظمات الإرهابية وتؤيد مساعينا لإزالة هذا التهديد من الشرق الأوسط.

❖ ونحن نعتزم القيام بذلك. وسوف نواصل العمل بكل ما أوتينا من قوة حتى نحقق ذلك.

❖ وسوف نقاتل فى لبنان حتى تنفيذ الشروط التى وضعها المجتمع الدولى فى وقت سابق، والتى عبر عنها بوضوح أمس مؤتمر مجموعة الدول الثمانية الرائدة فى العالم، وتتمثل فيما يلي:

❖ إعادة الرهائن "إيهود جولدفيسر" و"إلداد ريجف".

❖ الوقف التام للقصف.

❖ نشر الجيش اللبنانى فى كافة مناطق جنوب لبنان.

❖ إخراج حزب الله من جنوب لبنان من خلال تنفيذ قرار الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩ .

❖ لن نوقف عملياتنا. وسنفتش فى كل مكان. وسنضرب كل إرهابى يساعد فى الهجوم على مواطنى دولة إسرائيل. وسندمر البنية التحتية للإرهاب كلها، فى كل مكان. وسوف نستمر فى ذلك حتى يقوم حزب الله وحماس بتنفيذ تلك الإجراءات المبدئية الأساسية العادلة المطلوبة منهما، والتى تطالبهما بها كافة العناصر المتحضرة. ولن توافق إسرائيل على أن تعيش فى ظل تهديد الصواريخ لمواطنيها.

❖ بالنسبة لإعادة الجنود المختطفين قال رئيس الوزراء ما يلي: "سوف نستعيدهم بطريقة لا تجعل من الممكن تكرار عمليات الاختطاف".

❖ أكد رئيس الوزراء أن إسرائيل تسعى للسلام، ولكنها على استعداد للقتال من أجل حريتها واستقلالها عندما تكون هناك حاجة لذلك. وأثنى على الجيش وعلى تماسك الجبهة الداخلية الذى أتاح لنا أن نقاتل.

١٢٥ – رداً على سؤال من اللجنة – أثناء شهادته أمامها – بشأن هذا الكلام، قال رئيس الوزراء:

"هناك أشياء تقال لأنها لابد أن تقال. وهذا لا يعنى بالضرورة أننا سوف نصل إلى لحظة نقرر فيها ما إذا كان استمرار القتال فى مصلحتنا أم لا بناء على توقع أن يأتى أحدهم ويقول لي: اسمع، سوف تضطر للحديث أمام لجنة تحقيق وذكر السبب الذى جعلك تقول فى يوم ١٧ إننا لن نتوقف عن القتال حتى نحقق كافة أهدافنا. هناك تحركات معقدة لها أكثر من مستوى. لقد كنا نخوض معركة سياسية ومعركة إعلامية، وكنا نحاول رفع معنويات الجمهور الإسرائيلى فى الجبهة الداخلية، فقد كان هذا الجمهور فى ملاجئ تحت القصف. وكان لدينا جنود مختطفون لابد أن أزرع لديهم الأمل. وقد كان هذا أيضاً جزء من تقييمى للأمور. وأعنى بذلك أننى كان لدى اعتبارات عديدة. كذلك فقد كنت أريد إرسال تلميحات للساحة الدولية، وأن أقول للعالم: تعالوا هنا يا رفاق. لأنكم إذا لم تسارعوا فى تحريك العملية السياسية لن أتوقف حتى أحرك العملية السياسية".

١٢٦ – أعرب الكنيست عن تأييده لتحركات الحكومة بأغلبية كبيرة. واقتصرت المعارضة على المجموعات البرلمانية للأحزاب العربية.

– **النشاط العسكرى الذى شهده يوم ١٧ يوليو:**

١٢٧ – فى ذلك اليوم تركز النشاط العسكرى فى المنطقة الشمالية على عمليات فى المنطقة الملاصقة للحدود. وشهد هذا اليوم بداية هدم مواقع حزب الله، وإعادة رسم ملامح خط الحدود فى الشمال.

واصلت القوات الجوية مهاجمة أهداف فى بيروت وبعلبك، كما هاجمت مواقع رادارات بحرية تابعة للجيش اللبناني.

واصلت القوات البحرية فرض الحصار على السواحل اللبنانية.

فى هذا اليوم تم رصد سقوط ٩٢ صاروخاً أطلقها حزب الله على إسرائيل، وكان من بين الأماكن التى تعرضت للقصف حيفا وصفد ومجدال هاعيميك وعفولا. وأصيب من جراء القصف ثمانية وعشرون من المدنيين.



شهادات

الكشف عن بعض أسرار دولة إسرائيل

بقلم: يوسى ميلمان
هاآرتس ٢٠٠٧/١١/١

بسبب وجود مخاوف من اندلاع حرب مع سوريا وإيران، تصبح فيها إسرائيل هدفاً لهجوم صاروخى غير تقليدي، صدق مؤخراً الجيش الأمريكى على تقديم منحة بحثية تقدر بحوالى ١٠ مليون دولار لعلماء، وأطباء، وشركات إسرائيلية، من أجل تطوير أدوية ووسائل مضادة لمواجهة المواد القتالية الكيماوية. ولكن الشكوى التى قدمت منذ بضعة أسابيع لمراقب الدولة، ميخا لندشتراوس، تزيد من احتمالية أن يكون الدكتور أفيجدور شيفرمان مدير المعهد البيولوجى فى "نس تسيونا"، والمسئول عن تطوير وسائل مضادة للحرب الكيماوية والبيولوجية، هو الذى يحاول منع تحويل الأموال من الولايات المتحدة لإسرائيل. فقد أظهر التحقيق الذى أجرته صحيفة "هاآرتس" أن الخبراء الذين يعرفون هذه القضية يؤيدون ما ورد فى هذه الشكوى.

وتنضم هذه الشكوى إلى سلسلة الشكاوى الطويلة التى قدمها موظفون من المعهد البيولوجى ضد شيفرمان خلال الأعوام الماضية إلى كل من مراقب الدولة، وجهاز خدمات الدولة، وأعضاء كنيست.

يحاول شيفرمان منذ سنوات، وحتى الآن، دون نجاح، تطوير مصل مضاد للأنثراكس (الجمرة الخبيثة) فى المعهد البيولوجى اعتماداً على جرثومة ضعيفة. وقد عمل شيفرمان كمستشار لشركة كندية، تم بيعها لشركة أمريكية تعمل فى هذا المجال. ونظراً لوجد شبهات حول تعارض المصالح واستخدام أسرار الدولة، قدم موظفو المعهد شكوى ضده منذ عام تم إحالتها إلى قسم التحقيقات بجهاز خدمات الدولة. وقد أثار التحقيق وجود شبهات حول ارتكاب مخالفات انضباط صارخة. وكانت التوصية هى إجراء محاكمة تأديبية لشيفرمان. ومنذ ذلك الحين، وعلى مدار أشهر عديدة، يتخبط المحامى أساف روزنبرج، المسئول عن الانضباط فى جهاز خدمات الدولة، فيما إذا كان يتعين عليه محاكمته أم لا.

وفى القضية الحالية، التى بدأت منذ عدة أشهر، اقترح الجيش الأمريكى - عن طريق "وكالة الأمن لتقليل المخاطر - DTRA") على سلاح الأطباء وعلى المعهد البيولوجى تقديم طلبات للحصول على منح بحثية، حيث تقوم الوكالة الأمريكية بتطوير أدوية وأمصال مضادة لأسلحة الدمار الشامل. وبالتنسيق مع سلاح الأطباء والمعهد البيولوجي، قدم باحثون وثمانى شركات إسرائيلية طلبات للحصول على هذه المنحة: أربعة كانت فى مجال الحرب البيولوجية، وأربعة فى مجال الحرب الكيماوية.

شيفرمان، الذى كان مسئولاً عن القسم البيولوجى فى معهد نس تسيونا لسنوات عديدة، توقع بسبب علاقاته وشهرته، أن تحظى اقتراحاته البحثية فى المعهد، وفى مجال البيولوجيا، على منحة. ولكن تم الموافقة على أربعة اقتراحات بحثية فى مجال الحرب الكيماوية، واقتراح واحد فقط للدكتور تامار كيدر. أما الثلاثة الآخرين الذى حظوا بالمنحة فكانوا البروفيسور ميخال شوارتس، الخبيرة فى مجال علم الأعصاب من معهد فايتسمان عن اقتراحها البحثى الذى أعدته بشأن غاز الأعصاب؛ والبروفيسور فيفيان تيخنبرج، الخبير فى مجال علم الأعصاب من معهد فايتسمان والذى تناول فى بحثه الصلة بين غاز الأعصاب وتأثيره على الذاكرة؛ وطاقم من بنك الدم فى مستشفى شيبا، معنى بتضميد الجراح الناجمة عن الإصابة بالغازات.

كان من المقرر أن ترسل (DTRA) إخطاراً هذا الشهر إلى كل فرد استحق الحصول على المنحة لتأكيد أحقيته متضمناً توجيهات حول كيفية البدء فى إجراءات البحث، إضافة إلى مليون دولار تقريباً لكل فرد على مدار عام، مع إمكانية مد الفترة لعامين. وفى ظل تقليص ميزانيات البحث والتطوير فى إسرائيل، فإن منحة كهذه تعد مثل هواء التنفس لعدد من الباحثين والشركات. بل ومن شأنها أن تحسم مصيرهم سلباً أو إيجاباً.

وبسبب تعطيل وصول التصديقات والأموال، اتضح للفائزين الأربعة أن المعهد البيولوجي، الذى تربطه علاقة بالجيش الأمريكي، يضع عراقيل فى طريقهم. وباءت كل محاولاتهم لمعرفة أسباب هذا التعطيل بالفشل. وقد أثار هذا الأمر دهشتهم، خاصة أن أبحاث شيفرمان عن الجمرة الخبيثة سبق أن حظيت بمنحة أمريكية تقدر بخمسة مليون دولار.

وقد بعث أحد موظفى المعهد بخطاب لمراقب الدولة قال فيه إنه "إزاء المخاطر التى تتربص بنا، واستناداً إلى التقارير الأجنبية الصادرة بشأن ما حدث فى سوريا، والتى أفادت بانفجار رؤوس كيماوية تحتوى على غاز السرين، وغاز الخردل وغاز vx، كان من المتوقع أن تكون هناك معاملة جيدة للمهتمين بهذا النوع من المخاطر، وليست معاملة تفرق بين الأقسام المعنية بالمخاطر الكيماوية والأقسام البيولوجية. وقد أخطأ مدير المعهد البيولوجى فى أداء مهام منصبه فى ظل الثقة التى تمنحها له دولة إسرائيل".

يلعب عنصر الوقت فى هذه القضية دوراً هاماً. لذا، فإنه إلى جانب مراقب الدولة، التى سيستغرق تحقيقه وقتاً طويلاً، فإنه من الأحرى أن يدلى المسئول المباشر عن شيفرمان، وهو مسئول كبير فى وزارة الدفاع، برأيه فى هذه القضية. وبالمناسبة، نظم شيفرمان أول أمس حفل وداع كبير للمسئول السابق. وقد أجريت مراسم الحفل فى ساحة المعهد البيولوجى بمشاركة حوالي ١٠٠ فرد، كان من بينهم عضو الكنيست إفرايم سينيه، نائب وزير الدفاع سابقاً، والذى ألقى قصيدة تكريماً للمسئول السابق. وبلغت تكلفة الحفل عشرات الآلاف من الشيكلات.

ولم يجب المعهد البيولوجى فى "نس تسيونا" ولا مكتب شيفرمان على الاتصالات الهاتفية التى أجريناها والبريد الالكترونى الذى أرسلته صحيفة "هاآرتس". كما رفض البروفيسور شوارتس والبروفيسور تيخنبرج ومستشفى شيبا التعليق على ذلك.

❖ عمل زعيرا المرفوض:

رغم التعتيم الشديد الذى تفرضه شرطة لندن على التحقيق الذى يجرى فى ملابسات وفاة عميل الموساد الدكتور أشرف مروان، ذكرت مؤخراً كل وسائل الإعلام البريطانية أن الشبهة الرئيسية فى ملابسات الوفاة هى القتل وليست الانتحار. وهذا أيضاً ما قالته عائلة رجل الأعمال المصرى الثري، الذى كان يعيش فى لندن منذ سنة ١٩٨١ . وقالت زوجته منى، ابنة الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر، فى عدة لقاءات، أن عملاء إسرائيليين قتلوا زوجها ثأراً من خداعه لإسرائيل وبقائه موال لوطنه.

ومع ذلك، فإن التفسير الأكثر معقولية هو أن مروان، الذى كان مستشاراً للرئيس أنور السادات، قتله عملاء المخابرات المصرية، للثأر من تجسسه لحساب إسرائيل، خاصة وأنه حذر فى اللقاء الذى جمعه ورئيس الموساد تسفى زامير من نشوب حرب عيد الغفران (أكتوبر ٧٣) فى السادس من أكتوبر. وقد ازدادت الشكوك حول قتله فى أعقاب الشهادة التى أدلى بها شريك أعماله المجري، الذى قال إنه شاهد مروان وهو يسقط من شرفة منزله، وأنه شاهد بعد لحظات رجلين يقفان فى الشرفة نظرا لأسفل ثم اختفيا.

وقد يكون اتجاه التحقيقات التى أجريت فى لندن هو الذى أثر على مركز التراث الاستخباراتى فى إسرائيل وجعله يصدر بيان استنكار فى حق إيلى زعيرا، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) أثناء حرب أكتوبر. يضم هذا المركز آلاف من الأعضاء السابقين فى أجهزة المخابرات، وهو عبارة عن جمعية تهدف إلى الحفاظ على تاريخ المخابرات. وإضافة إلى عمله كنادى للأعضاء، فإن هذا المركز له ميثاق شرف ووثيقة خاصة بالأعراف الأخلاقية فيما يتعلق بكل ما حدث ويحدث فى المخابرات.

ومن منطلق هذه المكانة، كان يُنتظر وجود رد على هذه القضية بأى مقولة، ولاسيما بعدما أقر قاضى المحكمة العليا (متقاعد) تيودور أور، فى حكم التحكيم الصادر قبل عام ونصف، أن زعيرا كشف النقاب عن هوية أشرف مروان كعميل للموساد. وقال زعيرا إن مروان كان عميلاً مزدوجاً، وطلب تقليل حجم مسئوليته عن القصور الاستخباراتى خلال الحرب، حسبما أقرت لجنة أجرانات.

فى يوليو ٢٠٠٧، طلب تسفى زامير، ويوسى لنجوتسكى وعاموس جلبوع من اللجنة الإدارية لمركز التراث الاستخباراتي، برئاسة رئيس الموساد السابق إفرايم هاليفي، استبعاد زعيرا من الجمعية، أو على الأقل استنكار ما فعله. وفى الجلسة التى عقدت فى ٢٦ يوليو تنصلت اللجنة الإدارية من هذا المطلب. وجاء فى البند التاسع لجدول أعمال اللجنة الإدارية أنه سيتم الانتظار حتى "انتهاء الإجراءات القانونية" التى مازالت مستمرة بين زامير وزعيرا، وتحديداً انتظار قرار المستشار القانونى للحكومة مينى مَزوز، فيما إذا كان سيأمر الشرطة بالتحقيق مع زعيرا بتهمة كشفه أسرار البلاد أم لا.

لم يوافق زامير على قرار اللجنة الإدارية فى نفس الجلسة، وطلب أن يدلى المركز برأيه فى القضية الأساسية دون علاقة بالإجراءات القانونية. وقد اقتنعت اللجنة الإدارية وشكلت لجنة لصياغة مشروع قرار، وكان من بين أعضائها إفرايم هاليفي، وشلومو جازيت ونحمان طل. وفى صيغة القرار، لم يذكر

زعيـرا، ولكنهم تطرقـوا إلى البند التـاسع فى جـدول الأعمال. وتفرض الآن سرية تامة على الصيغة الدقيقة للقرار، وإذا صدقت عليه اللجنة الإدارية، سيتم إرساله إلى أعضاء الجمعية. وبوجه عام، فإن الصيغة أظهرت استتكار واضح "للعمل المرفوض" الذى ارتكبه رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية سابقاً وكشف فيه عن هوية عميل.

وقد نشرت صيغة مشروع قانون الرقابة فى الطبعة الجديدة لصحيفة المركز. وقد بلورت تلك الصيغة لجنة تكونت من القاضى (متقاعد) إلياهو فينوجراد، والبروفيسور آسا كاشير والبروفيسور جبريئيل شيلو. وجاء فى هذا السياق أن "هدف القانون هو حماية عملاء أجهزة المخابرات الإسرائيلية من كشف هويتهم. وهذا الأمر يشكل حماية لحياتهم، ولحريتهم ولقدرتهم على تأدية دورهم لصالح خدمة الدولة". ومن يكشف "عن عمد ودون صلاحية معلومات مصنفة على أنها سرية، وبشكل يتيح الكشف عن هوية العميل، يُحكَم عليه بالسجن حتى عشرة سنوات".

ويستند مشروع القانون إلى القانون الفيدرالى فى الولايات المتحدة الأمريكية.. وقد حظى بتأييد من عضو الكنيست جدعون ساعر والوزيرة روحاما أفراهام، وهو مطروح الآن على وزير الدفاع إيهود باراك. وإذا تمت الموافقة عليه، فإن هذا الاقتراح سيحل محل النظام الحالى الذى تعمل فيه الرقابة العسكرية بمقتضى الطوارئ.

❖ إهمال الأمن القومي:

من المقرر أن يقدم رئيس مجلس الأمن القومى "إيلى مزراحي" استقالته من منصبه نهاية الشهر الجاري، ولكن مكتب رئيس الوزراء يجد صعوبة فى إيجاد بديل له، رغم تأكيد كثير من لجان الفحص والخبراء على ضرورة دعم مجلس الأمن القومي، كأحد الدروس المستفادة من حرب لبنان الثانية. وقد توجه مكتب رئيس الوزراء إلى عدة قادة سابقين بالجيش الإسرائيلى وآخرين فى جهاز الأمن، ولكنهم رفضوا. وفى المقابل، عرض قادة آخرين فى جهاز الأمن أنفسهم، ولكن تم رفضهم لأنهم غير مناسبين.

وربما تكون إحدى الأسباب الرئيسية لعدم فاعلية واحد من المناصب الهامة فى إسرائيل هو أنه لم يعد مؤثراً، خاصة مع تولى إيهود أولمرت رئاسة الوزراء. فعلى عكس الماضي، قرر أولمرت إدراج رئيس مجلس الأمن القومى تحت إمرة يورام توروفيتش، رئيس مكتب رئيس الوزراء. وبهذا الشكل، فإنه جمد صلاحيات هذا المنصب الذى شغله فى الماضى دافيد عفري، وعوزى ديان، وجيورا آيلاند وإفرايم هاليفي.

يعتبر مجلس الأمن القومى منذ إقامته قبل حوالى عشرة سنوات، الابن الاستثنائى للإدارة العامة. فقد كانت لديه كثير من اللوائح وترصد له كثير من الميزانيات وكان أعضائه يصدروا توصيات، لكن تأثيره على اتخاذ القرارات ظل ضئيل للغاية، ولم يستمع عدد من رؤساء الدولة إلى النصائح التى كان يقدمها. فقد اعتقد وزراء الدفاع – بما فيهم الحالى إيهود باراك – أنه جهة لا لزوم منها. ولم يتعاون معه الجيش الإسرائيلي، والموساد، والشاباك ولجنة الطاقة الذرية.

شغل إيلان مزراحي، نائب رئيس الموساد سابقاً، هذا المنصب لمدة عام ونصف. وقد بدأ مهامه فى ظل وضع لا يحتمل: فبعد مرور عدة أسابيع على تعيينه، وقبل أن يعرف المهام الملقاة على عاتقه، نشبت حرب لبنان الثانية. وفى أحاديث صحفية أدلى بها لوسائل الإعلام بعد إعلانه تقديمه استقالته قبل عدة أسابيع، أشاد مزراحى بالتعاون والثقة التى كانت بينه وبين رئيس الوزراء. وكان تعليله لتقديم الاستقالة أنه وجد نفسه فى مهمة لا يرغب فيها. وكان مزراحى يهتم خلال الأشهر الماضية بالانتهاء من التجديدات فى مبنى المجلس. من نقل المكاتب وتوفير عمالة زائدة ورصد مزيد من الميزانيات وإقامة غرفة طوارئ فى مكتب رئيس الوزراء.

وقد أكد مكتب رئيس الوزراء أنهم لم يجدوا بعد مرشح مناسب لهذا المنصب.

العميل الإسرائيلى فى الأرجنتين

هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٧
بقلم: روعى بيت ليفي

الفرسان الثلاثة فى كتاب "مارسيلو بيرماخر" هم يساريون يهود، وأعضاء فى تنظيم "مونتونروس" السرى فى الأرجنتين، ويتبين الآن أن أحدهم كان عميلا إسرائيليا.

هناك قصة يحب الأديب والروائى الأرجنتينى مارسيلو بيرماخر أن يحكيها كثيرا: "عندما كنت تلميذا فى أحد المدارس الثانوية اليهودية فى الأرجنتين. نسيت أن أستعد لامتحان مادة التاريخ اليهودي. وكان أحد أسئلة الامتحان: ماذا يعنى أن تكون يهوديا..؟. وقررت حينها أن أجيب على السؤال بسؤال مثله، حيث كتبت فى الإجابة: ماذا يعنى أن تكون يهوديا..؟. كان أستاذى سعيدا جدا بإجابتي، ووصفها بأنها "خاطرة عبقرية" مشيرا إلى أنها تدل على فهم عميق للتاريخ اليهودى الذى يدور كله حول طرح الشكوك. وقد أعطانى الأستاذ الدرجة النهائية.

"وفى غضون بضعة أيام، أصبحت التلميذ النجيب فى الفصل. ولكن المشكلة بدأت فى الامتحان التالي- امتحان مادة الجغرافيا. فعندما طلب منى تسمية عشرة أنهار فى القارة الأوروبية، قررت استغلال نشوة النجاح فى الامتحان السابق، وأجبت مرة أخرى بنفس السؤال: ماذا يعنى أن تكون يهوديا..؟.

"وفى امتحان الفيزياء، عندما طلبوا منى شرح قانون الجاذبية، لم أتردد وأجبت بسؤالى الأبدي: ماذا يعنى أن تكون يهوديا..؟. وفى امتحان الكيمياء، أجبت على سؤال: اكتب ما تعرفه عن الجدول الدوري..؟ مستخدما نفس سؤالي: ماذا يعنى أن تكون يهوديا..؟.

"غنى عن البيان أننى تحولت فى غضون بضعة أيام من عبقرى الفصل إلى أحمق المدرسة كلها. ولكن بعد ذلك بسنوات، لفت شخص ما نظرى إلى أن معظم الكتب والروايات التى أكتبها، تطرح نفس السؤال تقريبا: ماذا يعنى أن تكون يهوديا..؟. ولكننى تيقنت مع مرور السنين أنه لا يمكن الاكتفاء بجملة واحدة، وإلا سيشعر القراء والمشاهدون بأننا نخدعهم. ومنذ ذلك الحين، كرست حياتى كلها تقريبا لتوسيع نطاق هذا السؤال، ولكن الواقع يقول دائما إنه لا توجد أبدا إجابة واحدة قاطعة. من لديه إجابات، عليه أن يكتب مقالات أو أن يرشح نفسه للانتخابات، أما من لديه تساؤلات وشكوك ومخاوف، فعليه أن يؤلف كتباً".

❖ رباعى رومانسي:

بيرماخر- البالغ من العمر ٤١ عاما، والذى يزور إسرائيل كضيف على "معهد سيرفانتس لثقافة أسبانيا وأمريكا اللاتينية"- يقص هذه القصة بحماسة شديدة. وبعد انتهائها، يتوقف لقياس تأثيرها على المستمعين الدوريين، والذين كانوا فى هذه الحالة رواد أحد المقاهى فى تل أبيب، وهو المكان الذى أجرينا فيه المقابلة.

كتاب "الفرسان الثلاثة" هو الكتاب الأول لبيرماخر والذى ترجم من الأسبانية إلى العبرية على أيدى يعاريت تاوبر بن يعقوف، وصدر عن دار نشر "عقريت". كما ترجمت بعض أعمال بيرماخر - الذى ينتمى لأسرة من المهاجرين جاءوا إلى الأرجنتين قبل الحرب العالمية الثانية من رومانيا، وبولندا، وليتوانيا وسوريا - إلى عدة لغات منها، الرومانية، الليتوانية، الإنجليزية، الألمانية، الإيطالية، الهولندية، البرتغالية والكرواتية. ولكنه يقسم أن الترجمة إلى العبرية هى أكثر ما يسعده، ويقول: "فى أى مكان، أؤمن أن هذه هى لغتى الحقيقية. ورغم أننى عشت كل حياتى فى الأرجنتين، فإننى لا أشعر بأن الأسبانية هى لغتى الحقيقية. لدى ارتباط باللغة العبرية عميق جيدا وقديم جدا". ويضيف مبتسما: "مشكلتى الوحيدة مع اللغة العبرية هى أننى لا أتحدثها".

تقدم رواية "الفرسان الثلاثة" نسخة منقحة من الروايات البوليسية الأمريكية المشوقة لريموند شاندلر أو داشيل هاميت - التى عادة ما يكون البطل فيها شخص متمرد؛ مسلح؛ ومدمن للكحوليات ويحب الحوارات المقتضبة والحادة، والذى تقوده الأحداث رغما عنه إلى قضية مليئة بالإثارة والغموض. ورغم أن خافير موسان، بطل رواية بيرماخر، يعشق الويسكى فعلا، إلا أنه ليس متمرداً، وإنما صحفى غير طموح ينجح دائماً فى الهروب بهدوء من أروقة مبنى الصحيفة التى يعمل فيها حتى لا يتم تكليفه بأى عمل، إلى أن يقتحم حياته إلياس تراوم، وهو إسرائيلى من أصل أرجنتيني، عاد إلى بيونس آيرس بعد ٢٠ عاما لإنهاء بعض المصالح.

وبالتدريج، تزيح الرواية البوليسية مكانها لرواية أخرى تماما، ألا وهى تدهور العلاقات بين مربع رومانسى يضم ثلاثة نشطاء من اليسار المتطرف فى الأرجنتين إبان عقد السبعينيات، وفتاة أصبحت بمر السنين من أشهر الشخصيات فى المشهد السياسى فى الأرجنتين. هذا هو السبق الصحفى المثير الذى يقدمه بيرماخر لقارئيه، وهو نفس القصة التى لن يستطع موسان- صحفى ذكى ولكنه صاحب ضمير- أن يكتبها أبدا.

موسان، المنشغل دائما بالدخول فى علاقات غرامية مع النساء، وبالمخاوف غير الجدية من "القتلة" الذين يتربصون بالشعب اليهودى - بدءً من الحصار الذى تعرضت له قلعة متسادا (❖) وانتهاءً بأوروبا النازية - ويقيس حياته والقصة التى يسمعها من تراوم بنفس الأدوات التى تميز سكان بيونس آيرس (أبناء الميناء، كما يطلقون على أنفسهم، بما تنطوى عليه هذه التسمية من تقدير وتحقير): الدهاء، وحكمة الشارع؛ وروح الدعابة والتهكم. وهو يستعين فى ذلك أيضا بالكثير جدا من روح الدعابة اليهودية، والتى يستخدمها بيرماخر بدقة متناهية فى معظم إبداعاته الأدبية.

تدور غالبية أحداث رواية "الفرسان الثلاثة" فى "الحى ١١" فى مدينة بيونس آيرس، وهو الحى الذى وُلد وتربى فيه بيرماخر نفسه، والذى يحافظ على الذهاب إليه كل يوم ليمارس الكتابة من مكتبه الموجود هناك، حتى بعد انتقاله للعيش فى حى أرقى من أحياء المدينة. يقول بيرماخر: "شوارع الحى (١١) تحفل بمتاجر صغيرة يمتلكها المهاجرين اليهود والكرواتيين، ومنازل جميلة وأخرى قبيحة، ومطاعم بيتزا محلية وبارات قديمة، هذه الأشياء هى التى تجعل قلب بيونس آيرس ينبض".

❖ يهود يحملون بنادق:

تتناول قصة "الفرسان الثلاثة" حياة اليهود الأرجنتينيين الذين شاركوا فى عقد السبعينيات فى

حرب العصابات فى الأرجنتين. إذ أن "الفرسان الثلاثة"، كما يؤكد أعضاء الجالية اليهودية فى بيونس آيرس، هم ثلاثة أصدقاء يهود، من الشباب الواعد، انضموا إلى حركة "مونتونروس" - وهى تنظيم سرى يسارى حارب من أجل إعادة الجنرال خوان دومينجو بيرون إلى السلطة لفرض نظام "الاشتراكية القومية فى الأرجنتين".

وقد قام التنظيم بتنفيذ عمليات إرهابية عديدة، من بينها عمليات اختطاف وسطو. وكان التنظيم يحظى فى البداية بدعم الجنرال بيرون، ولكن بدءً من عام ١٩٧٤، بعد عودته إلى السلطة، بدأت قوات الأمن والجناح اليمينى فى الحركة البيرونية، فى ملاحقة أعضاء التنظيم. وبعد وفاة الجنرال بيرون، أمرت أرملته إيزابيل، التى حلت محله فى الحكم، بالقضاء على الإرهاب: حيث تعرض معظم قيادات التنظيم للإعدام أو النفي. وفى عام ١٩٧٦، عندما اعتلت الطغمة العسكرية سدة الحكم، تم شن حرب علنية ضد التنظيم، أسفرت عن قتل واختطاف آلاف من أعضاء تنظيم "مونتونروس". وفى عام ١٩٧٩، تم القضاء نهائيا على التنظيم.

فى الثامنة مساء، بدأ بيرماخر يقص على الحاضرين القلائل فى معهد سرفانتس - معظمهم من العجائز المهاجرين من الأرجنتين وأورجواى - قصة الدافع الذى دفعه لكتابة هذه القصة. وقال: "لقد قابلت عدة أشخاص من اليهود أعضاء تنظيم "مونتونروس"، وذلك أثناء زيارتى لإسرائيل فى سن السادسة عشر فى إطار برنامج "تافوز" الذى كانت تشرف عليه الوكالة اليهودية. كانوا ينزلون حينها فى فندق فى "كفار همكابيا"، بعد فرارهم إلى إسرائيل فى اللحظة الأخيرة هربا من المذابح التى كانت تستهدف أعضاء التنظيم فى الأرجنتين. مقابلة هؤلاء الأشخاص كانت بمثابة تجربة رائعة. لم أفهم حينها كيف يعقل أن ينضم شباب يهود إلى تنظيم عنيف ومتطرف كهذا. كيف يستطيع شباب يهود، ممن ينحدرون بصفة عامة من "أسر طيبة"، أن يسمحوا لأنفسهم بحمل سلاح لكى يحاربوا من أجل حرية شعب من الأغيار، غالبيته العظمى تكن لليهود الكراهية المقيتة.

"أدركت بعد بضع سنوات أن الإجابة الوحيدة قد تكون أن معظم اليهود يشعرون بعقدة الخلاص. فنحن نعتقد أن دورنا هو إنقاذ العالم، وهو ما قد يوقعنا فى مواقف عبثية. لقد قرأت فى الآونة الأخيرة كتاب "قطار النصر" للأديبة الأرجنتينية اليهودية، كرستينا تسوكر، والذى يتناول قصة أخيها ريكاردو الذى انضم إلى تنظيم "مونتونروس". وفى إطار التدريبات التى اجتازها، تلقى ريكاردو تدريبات فى معسكر تابع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان، حيث اضطر هناك لإخفاء هويته اليهودية حتى لا يتعرض للقتل على أيدى مدربيه الفلسطينيين- إخوانه فى السلاح. ولكن يشاء القدر أن يُقتل عام ١٩٧٩ على أيدى الشرطة الأرجنتينية ولم يتم العثور على جثته أبدا. وقد اعترف أبيه- الذى توفى منذ ثلاث سنوات- أن كل ما كان يتمناه هو أن يكتب كلمة عزاء على شاهد قبر ابنه- الملحد الثوري".

❖ يهوديان قتلى:

هناك قصة تاريخية أخرى، تتردد أصدائها من فوق صفحات كتاب بيرماخر- والتى وردت بتوسع أيضا فى كتاب الصحفى الأرجنتينى خورخا لناتا، "من الحب ما قتل"- وهى قصة الرفاق اليهود فى "جيش العصابات الشعبي"، وهو تنظيم سرى كان ينشط فى الأرجنتين فى عقد الستينيات، مستلهما روح الثورة الكوبية. وقد أسس هذا التنظيم خورخا ماستي، أول صحفى يجرى حديثا مع فيدل كاسترو وتشيه جيفارا فى جبال سييرا مايسترا فى خمسينيات القرن الماضي.

وفى عام ١٩٦٢، كلف جيفارا ماستى بإقامة خلية سرية فى الأرجنتين لمقاومة الديكتاتورية العسكرية التى كانت تحكم الدولة. نجح ماستى فى تجنيد ٣٠ مقاتلا وقام بتجميعهم فى الجبال القريبة من مدينة سالتا، شمالى الأرجنتين. وكان من المقرر أن يلحق بهم جيفارا بعد أن يرتبوا أوضاعهم هناك، ولكن بسبب التغيرات الجوهرية التى شهدتها الظروف السياسية فى الأرجنتين، والتى أتاحت إجراء انتخابات ديموقراطية، غيّر جيفارا خططه وقرر البقاء فى كوبا. ظل ماستى ورجاله فى الجبال، دون دعم أو خطط عمل جادة. وقد قامت قوات الجيش بملاحقتهم بعد سطوهم على عدة متاجر أغذية لتوفير احتياجاتهم من الأطعمة.

يقول بيرماخر: "كان هناك شابان يهوديان ضمن هذا التنظيم العصابي: بوبى روتفيلد، طالب من بيونس آيرس؛ وبرناردو جروسفيلد، موظف فى أحد البنوك. ومن الغريب أن الشخصين الوحيدين اللذين أعدمهما "جيش العصابات الشعبي" كانا هذين المقاتلين اليهوديين، وذلك لأنهما عاقا، حسب المزاعم، هروب باقى رفاقهما: حيث كان روتفيلد يعانى من الربو كما كانت قدمه مسطحة (flat foot). أما جروسفيلد فقد دخل فى حالة من الاكتئاب المرضي. وقد أعدم الاثنان رميا بالرصاص على أيدى رفاقهما. فهل من قبيل الصدفة أن المقاتلان اليهوديان هما تحديدا اللذين يقتلا..؟ قد يكون. ليس لدى إجابات على ذلك، فما يشغلنى فى الأساس هى علامات الاستفهام".

وهكذا أيضا نجد أن اثنين من الأبطال المفقودين فى كتاب بيرماخر- الفارسان اليهوديان، جيدو وبنخامين- يموتان بطريقة عنيفة. حيث يلقى الأول

مصرعه فى مواجهة مسلحة فى متنزه بتريسيوس- الرئة الخضراء لبيونس آيرس- بينما يتم اختطاف الثانى من بيته ويجدونه قتيلا.

ومع ذلك، نجد أن رواية بيرماخر لا تتوقف كثيرا عند نشاطهما فى التنظيم السرى أو موتهما، حيث فضل التركيز على آلام موسان بعد فراقه زوجته وعلى علاقة الأبوة التى يطورها مع تراوم، وقصة الحب الكبيرة التى كانت تجمع الفرسان الثلاثة. ونجد أيضا أن الدراما السياسية الكبيرة للأرجنتين فى عقد السبعينيات تلازم الرواية كالظل الثقيل، وإن كانت لا تملئ صفحاتها.

يقول بيرماخر: "اعتقدت أن ذلك قد يسرق الانتباه من البنية العاطفية للرواية. قصة الحب والألم هى التى شغلتنى أكثر من أى شئ آخر فى هذه الرواية. السياسة والحروب تمران، ولا يتبقى سوى المشاعر الإنسانية- الحب والموت والخيانة. أعتقد أننى كنت سأكتب الآن كتابا أطول عن اليهود الأعضاء فى تنظيم مونتونروس، ولكن يبدو أن هذه القصة ستضطر لانتظار كاتب آخر. لا شك أننى كنت سأصبح سعيدا بكتابة سيناريو عن هذه القصة، التى تصلح لأن تكون فيلما متميزا، ولكن يبدو أنه من الصعب العثور على شركة لإنتاج فيلم كهذا. ويبدو أن الجمهور أيضاً فى الأرجنتين قد مل الأفلام التى تتناول حقبة الحرب القذرة والديكتاتورية".

❖ إسرائيلى لثلاثة أشهر:

تراوم- الفارس الثالث الذى عاد إلى الأرجنتين لزيارة قبور رفاقه- يكشف فى حديثه مع موسان عن سر أخفاه طيلة السنين، وهو أنه خان رفاقه وأنه كان موفدا من قبل جهاز الأمن الإسرائيلى للإشراف على نشاطات الشباب اليهود فى تنظيم مونتونروس. وقد حرص بيرماخر على عدم كتابة اسم "الموساد" صراحة، رغم أنه حسب قوله "كان من الواضح لكل من قرأ الرواية أن الحديث يدور تحديدا عن الموساد. وقد فعلت ذلك لسببين: الأول أدبي، كى لا أجعل الكتاب قصة تجسس. ففور ظهور كلمة الموساد أو الـ"سي. آي.إيه"، سيصنف الكتاب على أنه رواية بوليسية تدور عن الجواسيس والمحققين، وهو الشيء الذى توخيت عدم الوقوع فيه.

"أما السبب الثانى فهو عدم رغبتى فى المساس بصورة دولة إسرائيل. فلم يخطر ببالى أبدا أن أقدم إسرائيل بصورة سلبية، حتى وإن كان ذلك يخدم قصتى ويحقق لى النجاح والشهرة. لم أشأ أن يقول من يقرأ الكتاب: ها هو يهودى يقول إن الموساد كان مسئولا عن النشاطات السياسية السرية فى الأرجنتين.. ها هو دليل على آن اليهود يتدخلون فى شئوننا. ومن ناحية أخرى، لم أشأ أن أقول إن الموساد تعاون مع جنرالات الطغمة العسكرية، ولذا فضلت عدم ذكر اسم الموساد صراحة، لأن هذا لا يتفق مع الأخلاق اليهودية".

كثيرا ما شغلت مسألة الأخلاق اليهودية بيرماخر كثيرا. وأحيانا يشعر بحنين لا مثيل له لدولة إسرائيل. وهو يقول إنه لو ترك الأرجنتين، لما كان يستطيع العيش سوى فى تل أبيب: "فى الواقع، عشت هنا ثلاثة أشهر، وهذه أطول فترة قضيتها خارج بيونس آيرس. عندما كان عمرى ٤ سنوات، انفصل والداي، واصطحبتني أمي، أنا وأخي، إلى هنا- تل أبيب. وقد كانت هذه فترة قصيرة جدا على طفل فى مثل سنى لكى يكون شعورا وعاطفة تجاه دولة أخرى. ولكننى عندما أسير فى شوارع تل أبيب، أشعر كأننى فى وطني. ربما لهذا السبب، أشعر بالتزام للدفاع عن إسرائيل فى كل المحافل".

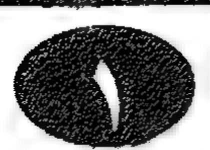
وبالفعل، ينشر بيرماخر بشكل دائم مقالات مؤيدة لدولة إسرائيل فى وسائل إعلام رئيسية فى الأرجنتين، مثل صحيفة "pagina 12"، وصحيفة "لا ناسيون"، وموقع الإنترنت "ليبراتيد ديجتيل"، وفى الصحف التى تصدرها الطائفة اليهودية.

فى منتصف الليل، وبينما الشوارع خاوية وهادئة، يحكى بيرماخر قصة أخرى مأخوذة من كتاب "الفرسان الثلاثة": "عندما كنت طفلا، كنا نقضى الإجازة الصيفية فى بلدة مار ديل بلاتا الساحلية. وذات مرة، كنت أتنزه على شاطئ البحر وابتعدت عن والداي، اللذين بحثا عنى لساعات طويلة على طول الشاطئ وداخل البحر. حينها قالت أمي: أريد رؤية جثته على الأقل.. ليعديها البحر لي. عندما عاد والداى إلى الفندق ورأتنى أمي- كنت قد وصلت إلى شاطئ آخر وأعادنى المنقذ إلى الفندق- أطلقت أمى صرخة شقت عنان السماء، لم أسمع طيلة حياتى صرخة مثلها. احتضنتنى أمى وقبل جدى الأرض حمداً لعودتي.

"فى غداة اليوم التالي، قلت لجدى ونحن على شاطئ البحر: جميعهم قالوا إننى قد ضعت، ولكنى لم أضع وإنما اكتشفت مكانا جديدا. تطلع إلى جدى وقال: لم تكتشف مكانا جديدا، وإنما كنت على وشك الضياع. فسألته: وما الفرق بين الضياع واكتشاف مكان جديد..؟. أعتقد أن الفرق فى كيفية العودة، هكذا أجابنى جدي، الذى وصل إلى الأرجنتين عام ١٩٣٩ بعد أن فقد فى بولندا أسرته الأولى أثناء أحداث النازي".

(❖) متسادا: اسم قلعة تقع على جبل يطل على البحر الميت، وقد اشتهرت بعد الحدث الدرامى المثير الذى أدى إلى انتحار ٩٥٢ يهوديا رفضوا الاستسلام للقوات الرومانية التى حاصرت القلعة خمسة أشهر أثناء التمرد اليهودى الذى وقع عام ٧٠ ميلادية.

◆ افتتاحيات الصحف ◆



معركة زائدة ونقد متسرع

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/١٠/٣١

ردود الفعل على العملية التى قامت بها الشرطة فى "بقعين" تلقائية للغاية ومتوقعة سلفاً، سواء بسبب الخوف الدائم من اندلاع العنف فى القطاع العربى أو بسبب أن الشرطة، وخاصة لواء الشمال، يتذكرها الناس، من خلال استنتاجات لجنة "أور"، بوصفها من تستخدم قوة غير متناسبة عندما تتعامل مع عرب إسرائيل.

ربما تكون الأسئلة المطروحة حول ما إذا كان للشرطة جدول أولويات فى فرض القانون أم لا، أو متى تشن حملة اعتقالات بقوة زائدة مثل تلك التى وقعت أول أمس فى "بقعين" – ربما تكون أسئلة مزعجة. فالآن، يوجد فى "بيت شيمش" عنف يومى يشارك فيه كثيرون، ويشتمل على الإضرار بالممتلكات، وإلقاء الحجارة وحرق السيارات، ولم تبد الشرطة بعد مبادرة مؤثرة ضد مثيرى الشغب من "الحريديم". أيضاً لا تشن الشرطة حملات مماثلة ضد مستعمرين يتلفون ممتلكات عربية، ولم يقم رجال الشرطة حتى الآن بالإغارة على النوادى الليلية فى تل أبيب، الموبوءة بالعنف والمخدرات.

وثمة سؤال فى حد ذاته هو: هل إتلاف محطة هوائى للهاتف المحمول يمكن أن يكون سبباً لفرض القانون بشكل مبالغ فيه..؟! ربما يكون المواطنون محقين فى تخوفهم من الإشعاع، وربما يصيبهم العَرَض المشترك لمستهلكى الاتصال المحمول فى أنحاء الدولة، وأنهم لا يوافقون على العيش فى كنف محطات إرسال، وربما تكون "بقعين" المسحورة هى فى واقع الأمر بلدة عنيفة، نظراً لأن هذا ليس أول صدام بين الشرطة، وعناصر عنيفة يحدث فيها، كما يقول سكانها – لكن كل هذا فى النهاية لا يبرر رد الفعل العنيف ضد أفراد من الشرطة أتوا لاعتقال مشتبه بهم بحرق الهوائيات.

الادعاءات الموجهة ضد الشرطة، والقائلة بأنها قد أتت إلى القرية بقوة كبيرة للغاية وتشكل تهديداً، كلها ادعاءات باطلة. فليس من المفترض أن يؤدى دخول أفراد من الشرطة إلى قرية سكانها من الدروز، والمسيحيين واليهود إلى تحصن ملثمين سلفاً فى الأزقة وفوق أسطح البيوت. لا يتعلق الأمر بمظاهرة تم تفريغها بالرصاص الحى بدلاً من استخدام وسائل أخرى غير قاتلة، مثلما حدث فى أكتوبر ٢٠٠٠، وإنما بمحاولة لاعتقال مشتبه بهم. هذه عملية شرطية روتينية، تطلّب تنفيذها ٢٠٠ شرطي، نظراً لأن الشرطة وجدت صعوبة، منذ عدة أيام قبل ذلك، فى اعتقال الأشخاص بقوة أقل.

إن موجة ردود الفعل الغاضبة ضد الشرطة بقدر ما كانت شبه تلقائية، بقدر ما حدثت قبل أن تتضح الحقائق. يطالب أعضاء الكنيست العرب ليس بأقل من لجنة تحقيق رسمية، وإقالة قائد اللواء – رغم أن معظم المصابين من أفراد الشرطة – وتسرع ممثلين من الدروز فى الجزم بأن الحلف بين الدروز واليهود يوشك أن ينتهي.

إن الحساسية تجاه مشاعر الأقليات لا يمكن لها أن تلغى عمليات فرض القانون. وثمة مناطق عديدة فى البلاد تخشى الشرطة من دخولها بسبب العلم بأن عنفاً مماثلاً سيندلع. ينبغى على من يريد العيش فى دولة قانون أن يساعد الشرطة، وألا يقبل بلامبالاة حقيقة أن مواطنى "بقعين" قد سمحوا لأنفسهم بمهاجمة أفراد من الشرطة دخلوا القرية، وكأن الأمر يتعلق بدخول عدو.. وألا يبقى أيضاً غير مبال تجاه حقيقة أن شرطية أدت مهمتها أخذت كرهينة من أجل إطلاق سراح مشتبه بهم.

٢

ينبغى أن يستمر النقاش

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٩

أخيراً بدأ النقاش الجوهرى حول وضع المحكمة العليا بالنسبة للكنيست، بأسئلة مهمة: مَنْ يدافع عن حقوق الإنسان والمواطن فى إسرائيل..؟ وما هو الفصل الجوهرى بين السلطات..؟ وما هى الديموقراطية الدستورية مقارنة بالديموقراطية البرلمانية..؟.

لقد هبت، فى الفترة الأخيرة، رياح خبيثة كلها كراهية وتحد للتشريع المتعلق بالهيئة القضائية وللنقاش حولها منذ أنْ عُيِّن "دانيئيل فريدمان" وزيراً للعدل.. فلم ينجح النقاش الجوهرى فى تجاوز الصعيد الشخصي، وبدت كل كلمة تفوه بها "فريدمان" وكأنها محاولة لتقويض وضع "دوريت بينيش" (الرئيسة الحالية للمحكمة العليا). لم يفهم "فريدمان"، أو لم يرغب فى أن يفهم، بأن مهمته الأولى هى توفير الدعم الجماهيرى لرئيسة المحكمة العليا التى عُينت منذ فترة، وأن الهجوم عليها من شأنه آن يدمر تماماً ثقة الجمهور فى الهيئة القضائية برمتها.

فى مؤتمر توزيع جوائز الفنون والعلوم والثقافة، أول أمس فى القدس، أضفى "أهارون باراك" (الرئيس السابق للمحكمة العليا) على هذا النقاش المهم الوزن العام الذى يستحقه، عندما خصص له خطابه.. فقد عرض "باراك"، فى كلمته، الخلاف بشكل صاف وبمعزل عن الخصومة الشخصية، إلا أن "فريدمان" وصف النقاش بأنه كمن يدور بين من يقولون "هناك قضاة فى القدس"، ويقولون "هناك أيضاً مشرعون فى القدس".

لكن هذا العرض الساذج فى حقيقة الأمر غير وجيه. لا يريد "باراك" أن ينتقص من الصلاحية التشريعية للكنيست، وإنما يطالب بألا تنتقص الكنيست من صلاحيات المحكمة فى التقاضي، وألا يقرر تشكيل لجنة لتعيين القضاة ذات طابع سياسي، ستجعل بالضرورة محكمة العدل العليا أكثر تسييساً. كما يطالب بأن تحترم الكنيست التفسير الدستورى للمحكمة العليا بروح قوانين الأساس التى سنّتها الكنيست ذاته من أجل حماية حقوق الإنسان والمواطن منه.

تقول المدرسة التى يمثلها "فريدمان"، إن المحكمة العليا قد فسَّرت بشكل مستفيض للغاية صلاحياتها وقوانين الأساس، وبذا انتقصت من قوة الكنيست، وعلى الكنيست أن تسترد جزءاً من القوة التى أُخذت منها من خلال تشريع مناسب.

السؤال هو ما إذا كان يتعين على إسرائيل أن تكون ديموقراطية برلمانية على غرار انجلترا، أو ديموقراطية دستورية مثل دول أخرى، سؤال مشروع، خاصة عشية سن تشريع ما. ينبغى على "فريدمان"، الذى يزعم بأن "الثورة الدستورية" التى حدثت فى بداية التسعينيات قد تمت على عجل، أن يتحاشى الآن التسرع فى سن قوانين تجعل النقاش غير ذى صلة. لقد فعل "باراك" كرئيس سابق للمحكمة العليا ما تعجز "بينيش" عن فعله كرئيسة حالية، حيث تُفهم كل كلمة تتفوه بها فى قضايا التشريع على أنها تدخل سياسي، كما طالب فى واقع الأمر بشكل مفاجئ بإجراء النقاش العام قبل أن تسن الكنيست قوانين يندم عليها الجميع.

لذا، ينبغى أن يجرى النقاش العام بين ساسة وأكاديميين، بل وكل الجمهور، بمن فى ذلك قضاة متقاعدين. إن عضو الكنيست "ميخائيل إيتان"، الذى يمثل مدرسة ما، ليس بأقل ديموقراطية من "أوفير بينيس" الذى يمثل مدرسة أخرى، وكلاهما حريص على حقوق المواطن، وعلى الطابع الديموقراطي.



العرض السينمائى الأخير

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/١١/١١

قررت إدارة المركز التجارى "رامات أفيف"، الذى تديره شركة "أفريكا - يسرائيل"، عدم تمديد العقد مع شبكة دور السينما "ليف"، التى عملت لعشر سنوات فى المركز التجاري، فى نهاية هذا العام، حيث من المقرر أن يُفتتح متجر للأدوات المنزلية وآخر للأزياء تابعين لشركتين عالميتين بدلاً من دور السينما.

يتعلق الأمر للوهلة الأولى بقرار تجارى بحت: سيحصل المركز التجارى على رسوم إيجار أعلى خمسة أضعاف تقريباً مما كانوا يحصلون عليه حتى الآن. هذا بالطبع حقهم الكامل، لكن ثمة تداعيات مجتمعية وثقافية أيضاً من الطراز الأول لقرار "أفريكا - يسرائيل" إبعاد دور السينما عن المركز التجاري. لقد عرضت شبكة دور السينما "ليف" أفلاماً نوعية فى دور عرضها وعقدت فيها حتى نشاطاً ثقافياً وفنياً أشمل. الآن ستبقى جميع أحياء ما وراء نهر اليركون (العوجة) بتل أبيب بدون دار للسينما. بعد إغلاق معظم دور السينما القديمة فى تل أبيب، كما فى مدن أخرى، والتى كانت ذات شكل وطابع خاصين، واستبدالها بمجمعات من الصالات السينمائية، يظهر الآن اتجاه يتمثل فى إزاحة دور السينما من المراكز التجارية.

لقد حلت صيحة المراكز التجارية فى السنوات الماضية محل المحلات فى شوارع المدينة، بل وفى جميع أنحاء البلاد. فالآلاف يتدفقون إليها، للتسوق والتسكع وتزجية الوقت. وإبعاد دور السينما منها سيجتث البؤرة الثقافية الوحيدة التى كانت لا تزال بها. كما أن نقل دور السينما إلى أطراف المدن، حيث المجمعات الضخمة، على غرار "مدينة السينما" التى فى مفترق "جليلوت"، يبعد هذا الترفيه الشعبى عمن لا يملكون سيارات.

ربما يكون ثمة مغزى آخر لإبعاد دور السينما من المركز التجارى "رامات أفيف"، هو هوية ملاك المركز، حيث يعد "ليف ليفايف" اليوم الإسرائيلى الأكثر ثراءً. فكل ماسة ثالثة يتم إنتاجها فى العالم، هكذا نشر، تؤول إليه (يقصد أنه رجل ثرى ليس فى حاجة إلى المبلغ الذى ستدفعه الشركتان العالميتان حتى لو كان خمسة أضعاف المبلغ الذى كانت تدفعه دور السينما).. "ليفايف" ليس مجرد شخص ثرى، وإنما تحديداً شخص يحرص على التبرع للمجتمع: ١٠٪ من أرباحه مخصصة للتبرع، طبقاً لما نشر عنه. يجب أن نحييه على ذلك، خاصة إذا علمنا أن جل تبرعاته وجهها لشئون التعليم: فقد أقام، عن طريق جمعية "أور أفنير حباد"، شبكة مؤسسات تعليمية متشعبة فى أنحاء الاتحاد السوفيتى السابق، وعمل فى إسرائيل أيضاً على إضافة دروس فى اليهودية فى المدارس الحكومية على حسابه.

إننا نتوقع من شخص كـ"ليفايف" على وجه التحديد، يرى فى التعليم غاية ولا يتنكر لواجبه فى التبرع للمجتمع، أن ينظر إلى إزاحة دور السينما وتحويلها إلى مزيد من المتاجر الفخمة باعتبارها خطوة فى الاتجاه الخاطئ. فدار السينما هى مؤسسة ثقافية، لا تقل أهمية عن معهد دينى يهودى جديد فى مدينة روسية. إنها تحول المركز التجارى من ساحة للتسكع والاستهلاك وحسب، إلى هدف للاستهلاك الثقافى المهم أيضاً. إن متجرى الأدوات المنزلية والأزياء بدلاً من شبكة "ليف" هما بشارة سيئة لمرتادى السينما بشكل عام.

من حقنا، بل وينبغى أن نوجه نداءً إلى "ليفايف" بأن يعيد النظر فى الصفقة التى حاكها رجاله، حتى وإن كان الأمر سيدر عليه دخلاً أقل كثيراً، يستطيع "ليفايف" أن يحتمل ذلك.

٤

دينٌ لا يمحوه مال

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/١١/١٢

يطالب وزير شئون المتقاعدين، "رافى إيتان"، باسم الحكومة الإسرائيلية، "بفتح سقف اتفاق السداد (التعويضات) مع ألمانيا، نظراً لأن مئات الملايين التى دُفعت لإسرائيل فى الخمسينيات لم تضع فى الاعتبار متوسط الأعمار الطويلة للناجين من المحرقة، وهجرة ١٧٥ ألف ناج من الاتحاد السوفيتى السابق إلى البلاد".

كل هذه التفسيرات المالية المستمدة من قاموس دعاوى الضرر، محرجة ومثيرة للنفور. إن دولة إسرائيل ليست محامى الناجين من المحرقة فى مواجهة ألمانيا، وإنما هى من ينبغى أن يهتم بأمن ورغد كل مواطنيها ومُسنّيها، ممن ولدوا هنا، وممن نجوا من النازيين وممن هاجروا منذ أمد غير بعيد. كان من المتوقع أن تضطر الدولة فى إطار موجة الهجرة من رابطة الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتى إلى الاهتمام أيضاً بالناجين من الحرب باعتبارها دولة تستوعب أوتوماتيكياً كل يهودى راغب فى طرق أبوابها بغض النظر عن سنه أو عن وضعه الصحي.. إن هذه المهمة ليست فوق طاقة إسرائيل "المزدهرة اقتصادياً"، وهى تستطيع أداءها دون التسول.

لقد ضخ اتفاق السداد مع ألمانيا، الذى تم توقيعه عام ١٩٥٢، للدولة، بالإضافة إلى التعويضات التى حصل عليها الناجون، ملايين الدولارات، التى بلغ إجماليها فى العقد الأول بالمليارات، كتعويض جماعي ساعد فى إقامة دولة اليهود. أثار الاتفاق خلافاً شديداً بين "مناحم بيجين" و"دافيد بن جوريون"، وجاء مصطلح "السداد" ليكون توافقياً، وليؤكد أن الأمر لا يتعلق بتعويض عن أضرار لأنه لا يمكن تعويض شعب عن إبادته. كانت الأموال التى حصلت عليها إسرائيل آنذاك من ألمانيا هى ترياق الحياة للدولة فى سنواتها الأولى، لكن أى أموال أخرى ستحصل عليها اليوم الدولة - التى تتباهى، بحق، بالنمو الاقتصادي، وبالناتج القومى الكبير، وبالمؤسسات الصحية وبمؤسسات الخدمة الاجتماعية - ستكون بمثابة كماليات.

لقد عمل زعماء ألمانيا - الغربية أولاً ثم الاتحادية بعد ذلك - منذ بداية الخمسينيات، على دعم أمن إسرائيل. فقد أدركت ألمانيا أنها لن تبرئ ساحتها فقط من خلال التعويض المالى للناجين من المحرقة، وإنما عليها أن تعمل أيضاً من أجل تجنيب دولة إسرائيل محرقة أخرى. ساعدت ألمانيا وتساعد إسرائيل بسخاء، وقد زودتها بسلاح برى وبحري، بما فى ذلك مساعدتها فى بناء قوتها الاستراتيجية. واليوم تتجند "إنجيلا ميريكل" لإحباط البرنامج النووى الإيراني، وهو جهد إذا ترجم إلى عقوبات اقتصادية، فإنه سيكلف الاقتصاد الألمانى أكثر بكثير من أى تعويض جديد يُعطى للناجين.. ومن ثم، يجب فى هذه الآونة، بوجه خاص، التعفف عن جميع الصدقات منها.

منذ شهور تردد المطلب المخزى لإسرائيليين من أبناء الجيل الثانى للمحرقة، بأن تمول ألمانيا لهم العلاج النفسي، وما جعله أكثر خزياً هو تحوله إلى مطلب رسمى للحكومة الإسرائيلية بالحصول على تعويضات جديدة.

صحيح لو كان قد أُخذ بالموقف المبدئى لـ"بيجين" ضد اتفاق "السداد" (التعويضات) فى الخمسينيات، لكان ذلك قد سبَّب ضرراً بليغاً للدولة، التى كانت آنذاك تفتقر إلى أية وسيلة وجودية، إلا أن هذا الموقف ينبغى أن نتبناه الآن، باعتباره صحيحاً اليوم.

٥

تهديد حقيقى فى الملاعب

هاآرتس ١٢/١١/٢٠٠٧

ينضم إلقاء القنبلة الصوتية أول أمس فى صالة "ملحا" بالقدس، والذى أدى إلى إصابة فرد أمن إصابة بالغة وإلى توقف مباراة كرة السلة بين "هبوعيل يروشاليم" و"هبوعيل حولون"، إلى ظواهر أخرى شبه مميتة فى الملاعب الرياضية الإسرائيلية. ومن حسن الحظ فقط أنه لم يكن هناك ضحايا فى الأرواح حتى الآن.

إن الرياضة فى إسرائيل ليست بمعزل عن المجتمع الذى تجرى فيه، وفى ظل عدم وجود ردع وعقوبة غليظة، فإنها تعد عاملا مساعدا لتحولات اجتماعية خطيرة. إن الظروف التى تجرى فيها مناسبة رياضية فى إسرائيل توحى كأنها تدعو من يريدون العمل بشكل عنيف إلى استغلال الأرضية الملائمة للعمل. فمستوى فرض القانون والرقابة فى الملاعب مُزر، ولم تفلح الشرطة الإسرائيلية، المسئولة عن النظام فى الملاعب، فى ملاحظة التطرف والسمات الجديدة للعناصر الإجرامية الفاعلة فى الرياضة. ولا يبدو أنها أعدت نفسها للعمل أو غيَّرت شيئاً من نمط عملها بحيث تستطيع ضمان حفظ حقيقى للنظام العام.

وفى حين أقامت الشرطة فى أماكن أخرى من العالم، فى بريطانيا على سبيل المثال، قوات خاصة تتركز خبرتها فى متابعة المناسبات الرياضية، فإن المناسبة الرياضية فى إسرائيل هى واحدة من عديد من المناسبات الأخرى. وثمة خلل لدى الاستخبارات، يتمثل فى أن فهم العناصر المشاركة فى مثل هذه المناسبات أبعد من أن يكون كافياً، وأن العنف فى كل مرة يكون نتاج استخدام قوة مفرطة من جانب حماة القانون على وجه التحديد. وما تزال السلطة القضائية أيضاً تتعامل مع مجرمى الرياضة بشكل مختلف عن العناصر الإجرامية الأخرى. فبعد أن أجيزت، على وجه التحديد، قوانين تتيح محاربة الظاهرة بشكل أكثر فعالية، تظهر المحاكم تسامحاً لا محل له.

وقد اشتكى عضو الكنيست "أفشالوم فيلان"، الذى ترأس لجنة لمنع العنف فى الكنيست، أكثر من مرة، من الاستسهال المريع الذى تخلى بموجبه المحاكم ساحة من قبضت عليه الشرطة فى أحداث عنف داخل الملاعب الرياضية وجلبته للمثول أمامها، حتى حوَّل مبدأ الباب الدوَّار التهديد بالحبس إلى نكتة: فلم يحاكم "ياقير إيلوز"، مشجع "هبوعيل تل أبيب" الذى اقتحم أرض الملعب فى الدِّربى الأخير بالموسم الماضي، حتى الآن على فعلته المنكرة، ولم يتم التعرف حتى الآن على المتسببين فى إصابة "آدهم شبيطة"، مشجع "هبوعيل تل أبيب"، إصابة بالغة.. كما يسخر مشجعو "بيتار يروشاليم" - الذين يهتفون ضد لاعبين من ذوى البشرة السوداء ويصيحون الموت للعرب - عندما يسمعون أن من الممكن تقديمهم للمحاكمة.

إن محاربة العنف فى الوسط الرياضى مآلها الفشل، مادام لم ينضم إلى الكفاح كل المشتغلين فى الحقل الرياضي، والهيئات التعليمية، وهيئات فرض القانون والقضاء، ومادام لا يتم تنفيذ عقوبة غليظة رادعة.

٦

منبوذون..؟

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/١١/١٤

يوجد الاحتجاج ضد تطوع شبان عرب في الخدمة المدنية، للأسف الشديد، جميع أعضاء الكنيست العرب. لقد ألفت فرقة "راب" عربية أغنية ضد الخدمة، وعُقدت مؤتمرات، وعُلّقت لافتات، وقال عضو الكنيست "جمال زحالقة" إن من سيتطوع سيكون "منبوذاً" في نظر إخوته.

صحيح من الممكن أن نتفهم رفض التعاون مع مؤسسة تميز ضد العرب منذ قيام الدولة، إلا أن من يريد دفع المساواة بين المواطنين اليهود والعرب بطيب خاطر لا يمكن أن يؤيد هذا الموقف الانعزالي. من الصعب أن يكون المرء عربياً في دولة تخصص أراضي الصندوق القومي لليهود فقط، وترفض فيها تجمعات طائفية مرشحين عربا، ويسن برلمانها قانوناً للمواطنة، يمنع جمع شمل الأسر بين العرب الإسرائيليين وأزواجهم من الفلسطينيين. لكن الكفاح المشترك للراغبين في المساواة ينبغي أن يطالب بالمزيد من أسرَلة العرب، في حين تطالب الزعامة العربية بمزيد من الفلسطنة، وتفسِّر معارضتها للخدمة المدنية بالخوف من محاولة جعل الشباب العرب أكثر إسرائيلية.

إن الخدمة المدنية هي محاولة لتحسين فرص انخراط الشباب العرب في المجتمع، وربما ما يؤكد ذلك أن الأمر لا يتعلق بفرض خدمة وطنية إلزامية، ولذا أقيمت إدارة الخدمة المدنية خارج نطاق الهيئة الأمنية. من الممكن تفهم ظنون زعماء الجمهور العربي، ولكن من الصعب القبول بتحريض جارف كذلك الذي صدر عنهم. إن من شأن الحملة التي يتم شنها ضد المتطوعين للخدمة المدنية أن تُفسَّر على أنها اعتراض على حياة المواطنة المشتركة، حتى وإن كانت غير متساوية.

لا يتعلق الأمر بخدمة عسكرية من الباب الخلفي، كما يحاول أن يزعم زعماء الجمهور العربي، وإنما ببديل يقترح على كل من هو معفى من الخدمة العسكرية، لأي سبب كان، أن يختار النشاط التطوعي لمدة عام.. لم تفرض الخدمة على أحد، وستفيد المتطوع أكثر مما تفيد الدولة. وهي فرصة بالنسبة للشباب (يقصد الشباب العرب) في سن الـ١٨ للخروج من القوقعة التي ولدوا بداخلها، ولاستشعار المساواة بقدر ما مع الذين يخدمون في جيش الدفاع الإسرائيلي، وللحصول على امتيازات في الجامعات يتمتع بها حتى الآن الجنود المسرحون من الخدمة فقط.

لقد كان واضحاً منذ البداية أن "الحريديم" لن يسعدوا بالقيام بنشاط تطوعي في المجتمع العلماني، ولذا عُرض عليهم أداء خدمة مدنية بين طوائفهم. ولكن يتعذر فهم رغبة العرب في الانغلاق بشكل أقل، رغم أنهم يستخدمون حجة مماثلة لتلك التي يستخدمها "الحريديم"، ألا وهي التخوف من أسرلة الشباب، أي التخوف من إمكانية انخراطهم أكثر من اللازم في المجتمع الإسرائيلي وفقدهم لهويتهم القومية (يقصد أن العرب لا يجب أن يكون لديهم نفس الحجة). كنا نتوقع أن يُنظر إلى الخدمة المدنية بين العرب، على وجه التحديد، على أنها أداة مساعدة للترقي الشخصي، ولاختراق الأسوار، ولتعزيز المساواة.

ربما تخشى الزعامة السياسية العربية، التي تتخوف من أن تفقد شبابها لصالح (الهوية) "الإسرائيلية"، من أن تفقدهم كناخبين، ولكنها بتعاملها الصاخب والمحرض ضد من يتطوع للخدمة المدنية تعمل في حقيقة الأمر ضد جمهورها، وتشجع أحزاباً مثل "إسرائيل بيتنا"- الذي يزعم أن العرب الإسرائيليين لن يكونوا إسرائيليين أبداً- على تعزيز وجهة نظره.



حزب ضروري

افتتاحية هاآرتس ١٨/١١/٢٠٠٧

عبّر نجاح حزب المتقاعدين فى الانتخابات عن الشعور بأن الأحزاب الكبرى أهملت مصالح الناخبين كبار السن، وعن أن حزباً، يوجد المتقاعدون فى بؤرة برنامجه، سيهتم بهم حقاً. تنبع الحاجة إلى مثل هذا الحزب ضمن أمور أخرى من الارتفاع فى متوسط العمر، حيث يأخذ جمهور المتقاعدين فى التزايد، ومعه مشاكله واحتياجاته الخاصة.

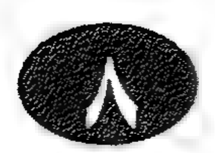
لكن نظرة جمهور الناخبين الإسرائيلى لأحزاب جديدة تذكرنا بعض الشيء بنظرته للمشاهير. فهو يقيمها، ويرعاها، ويعلق عليها آمالاً غير واقعية، ثم يخيب أمله فيها ويهجرها. هكذا تعامل مع حزب "شينوي"، الذى حصل على ١٥ مقعداً، ثم ألقى به إلى مزبلة التاريخ. هذا، على الرغم من أن "شينوي"، حينما جاء كحزب جديد، أقصى "الحريديم" (الأصوليون اليهود)، عن الائتلاف الحكومى، وأدى إلى استقطاعات بالغة من ميزانياتهم. أيضاً تبدل الانتشاء المبالغ فيه من نجاح حزب المتقاعدين فى الانتخابات بمناخ من خيبة أمل مفرطة فى الآونة الأخيرة. يساهم فى ذلك بالطبع أيضاً خصوم سياسيون يريدون الحصول على أصوات المتقاعدين. لا يكتفى المنتقدون، بمن فيهم رجل المتقاعدين عضو الكنيست، "موشيه شاروني"، بزيادة الميزانيات للمسنين وللناجين من المحرقة، وينتظرون زيادات فورية بمليارات "الشواكل" (بالطبع بدون الاستقطاع فى المقابل من ميزانيات سلة الصحة أو التعليم أو الأمن).

ليس صحيحاً أنه لا يوجد ما يمكن محاسبة المتقاعدين عليه. فهناك الكثير من الانتقاد لوزير الصحة "يعقوف بنيزرى"، من داخل حزبه أيضاً، بزعم أن سياسته تضر، ضمن أمور أخرى، بالفقراء وغير القادرين، وبأنه يخضع أمام وزارة المالية. ولكن هناك الكثير من النقد تجاه أداء وزراء آخرين، أقل سناً، ولا أحد يشطب حزبهم بسبب ذلك.

إن إحدى المراحل نحو تصفية أحزاب جديدة هى مرحلة الدسائس والانقسامات التى تجعل الجمهور ينفر منها. هذه المرحلة بدأت لدى المتقاعدين مع إقالة "موشيه شاروني" قبل بضعة أسابيع من رئاسة الكتلة، ومن رئاسة لجنة العمل والرفاه الاجتماعي، ومع تهديداته بإقامة كتلة مستقلة. هذا التمزق إذا لم يلتئم، يمكن أن يكون بداية النهاية لحزب المتقاعدين، مثلما حدث فى الماضى لأحزاب مثل "داش" و"تسوميت"، و"يسرائيل بعالياه" وحزب الوسط. ربما يتمثل النجاح الرئيسى للحزب فى أن موضوع المتقاعدين مدرج دائماً على جدول الأعمال العام. يساهم فى ذلك الوعى بأن هناك فى الائتلاف من سيأخذ فى الاعتبار دائماً مصلحة المتقاعدين، وبأن هناك أعضاء كنيست هذا هو شغلهم الشاغل، وبأن هناك وزارة هذا هو كل هدفها.

إن حقيقة أن هناك فى الكنيست من يمثلون جيل المتقاعدين لهى ثورة مباركة. وحضورهم فى اللقاءات الإعلامية مبارك بذات الدرجة. من المهم جداً ألا تتلاشى هذه التغييرات فى المنظومة السياسية الإسرائيلية وألا يختفى حزب المتقاعدين.

المسئولية عن ذلك تقع بالطبع فى المقام الأول على ممثلى المتقاعدين أنفسهم. فمن المهم أن يسارعوا، ضمن أشياء أخرى، بالتخلى عن مسيرة التدمير الذاتى، وعن الحروب الداخلية، قبل فوات الأوان.



مخزون لا ينضب من الأسرى

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٢٢

لماذا تطلق إسرائيل سراح ٤٤٠ أسيراً فلسطينياً على وجه التحديد قبيل مؤتمر "أنابوليس"، وليس ٥٠٠ أو ٣٠٠، أو ٢٠٠٠، كما توقعت الولايات المتحدة الأمريكية..؟!.

لقد تولد انطباع بأن أحداً لا يعبأ بالخطر الأمنى الكامن فى إطلاق سراح أسرى (باستثناء الساسة الراغبين فى استثمار ذلك سياسياً) وبأن كل المساومة تدور حول مسألة كم أسير "من المجدى تبذيرهم" فى هذه المناسبة، أو غيرها. هذا التلاعب الدائم بمصير آدميين - نحو ١٠ آلاف شخص - مسجونين فى إسرائيل، بغض النظر عن فترة السجن التى حكم بها عليهم، يشوه شكل إسرائيل كدولة قانون. إذا كان يوجد فى كل لحظة مخزون من المرشحين لإطلاق سراحهم، فمن المنطقى أن نفترض بأنه كان من الممكن إطلاق سراحهم منذ فترة بعيدة.

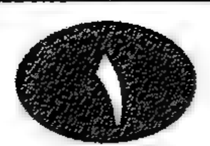
لقد تولد انطباع بأن أبواب السجون باتت تعمل بطريقة دوَّارة: فى الليل يتم اعتقال عشرات من المطلوبين، وفى الصباح يتقرر إطلاق سراح بضع مئات، بشرط ألا ينضب احتياطى الأسرى، وأن يكون فى المستطاع دائماً العثور على بضع عشرات مرشحين لإطلاق سراحهم على الفور. أيضاً المسار الذى يتحول فيه الفلسطينيون إلى أسرى لا يماثل ما هو معمول به فى المسار الجنائى المعتاد. فهم يُختطفون فى الليل من بيوتهم أو من شوارع المدن فى الضفة والقطاع، ثم تجرى بعد ذلك لبعضهم محاكمة، ثمة شك فى أن الأدلة بها تصمد فى الاختبار الجنائى الصارم المتبع فى البلاد. وعندما لا تتوافر أدلة، فإنه يتم اعتقال أشخاص بلا محاكمة لفترة اعتقال يتم تمديدها حسب الحاجة.

النموذج البارز فى هذا الصدد هم أعضاء البرلمان الفلسطينى المنتمون لـ"حماس" الذين تم اختطافهم بعد وقوع "جلعاد شاليط" فى الأسر.

لقد جعل الـ٩٨٠٠ أسير أمنى الذين تم نقلهم فى السنوات الماضية إلى سلطة السجون، بعد أن كان بعضهم فى معسكرات اعتقال تابعة للجيش، السجون مكدسة ومكتظة بشكل لا نظير له فى العالم الغربي. فى التسعينيات أطلقت إسرائيل سراح نحو ١٠ آلاف أسير فى إطار اتفاقيات "أوسلو"، لكن السجون امتلأت مرة أخري ويوجد بها اليوم ١٠ آلاف أسير فلسطيني. واستعداداً لمؤتمر "أنابوليس"، كانت هناك بعض جولات إطلاق سراح للأسرى: ٢٥٠ أسيراً قبيل لقاء شرم الشيخ، و٩٠ فى عيد الفطر، والآن ٤٤٠ آخرون قبيل "أنابوليس" فى الأسبوع القادم.

يخلق الباب الدوَّار شعوراً بأن هناك تفاهماً ضمنياً متبادلاً بين الحكومة وهيئة القضاء العسكرية، وبأن القضاة أيضاً يعرفون أن العقوبة التى قضوا بها هى فقط أساس للتفاوض، وبأن المسجونين هم مخزون للمساومة. مقابل الأسير الواحد (يقصد الأسير الإسرائيلي) يتم إطلاق سراح الآلاف، وفى مقابل مؤتمر "أنابوليس" بضع مئات فقط، وبمناسبة العيد بضع عشرات.

إن حبس أسرى بغرض المساومة هو تشويه لقواعد تحقيق الحكم والعدل. وإذا كان هناك فى السجن آلاف من الأسرى لا يشكلون خطراً أمنياً، فإنه كان من المحبذ إطلاق سراحهم ليس بالقطارة، وليس قبيل مناسبات، وإنما بأسرع وقت ممكن. عندما يقول "إيهود أولمرت" إن البادرة الأسهل بالنسبة لإسرائيل هى إطلاق سراح أسرى، فإنه يتولد انطباع بأنهم مسجونون من أجل هذا الغرض فقط.. هذه علة حبس إشكالية للغاية.



مؤتمر أنابوليس للسلام

إذا لم يكن أنابوليس.. فماذا إذن؟

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/١١/٧

يعتقد عضو الكنيست "جدعون ساعر"، المتحدث الفصيح للغاية باسم حزب الليكود، بعد سيطرة "حماس" على غزة، أنه كان يتعين على إسرائيل أن تدرك أي شَرَك وقعت فيه و"أن تفر بجلدها"، بدلاً من الدخول في جولة محادثات جديدة في "أنابوليس".

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إلى أين يريد الليكود لإسرائيل أن تفر..؟ ليس لليكود أي مقترح لحل النزاع مع الفلسطينيين، وهو يكتفي منذ ٤٠ عاماً بتفريغ أشرعة كل اتفاق من الرياح. وربما، من هذه الناحية، ثمة تماثل، ليس بالمستغرب، بين تصريحات كل من "خالد مشعل" و"ساعر"، فكل واحد منهما يرى في التنازل للطرف الثاني فخاً، ومن ثم كل واحد منهما يفضل الوضع الراهن على تسوية تاريخية.

إن الليكود لم يرسم قط حدود الدولة كما يتصورها. وقد استهدف المشروع الاستيطاني طمس الحدود السابقة وعرقلة تحديد خط حدودي جديد. وبدلاً من تقسيم الأرض إلى دولتين لشعبين، فإن اليمين يقترح انتظار المسيح. التخوف هو ألا يطول اليوم الذي يطلب فيه العالم من إسرائيل أن تمنح سكان المناطق (الفلسطينية المحتلة) حقوق المواطنة، إذا لم تكن على استعداد للانسحاب منها.. إن من شأن من لا يرغب في دولتين لشعبين، أن يضع موعداً لقرب نهاية دولة اليهود.

في "أنابوليس" يوجد شريك لإسرائيل. ربما يكون ضعيفاً. وربما يمثل شريحة فقط من الشعب الفلسطيني، ولكن في النهاية يوجد في الطرف الثاني من تتفق رؤيته مع رؤية معظم الجمهور في إسرائيل، ومن يعارض استخدام الإرهاب كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية، ومستعد للتنازل عن جانب من تطلعاته الأصيلة من أجل التوصل إلى اتفاق.. لذا، نقول إن رفض التفاوض مع "محمود عباس" و"سلام فياض" أشبه بالبصق في وجه المعتدلين. وإذا كان ثمة فرصة ما لتعزيز المعتدلين في الشارع الفلسطيني، فإنها لن تتأتى إلا من خلال تحقيق إنجازات فقط.

إن من لا يرضى بـ"فتح"، سيحصل على "حماس"، وكما قالت وزيرة الخارجية الأمريكية، سيحصل في نهاية المطاف على "القاعدة" في الضفة.

إن الزعم بأن "إيهود أولمرت" "غيَّر جلده"، نظراً لأنه كان في الماضي مؤيداً لانسحاب أحادي الجانب، ليس بمثابة إهانة وإنما إطراء. إذ ينبغي على السياسي أن يوائم أفعاله مع واقع متغير. لم يكن الانسحاب أحادي الجانب، أيديولوجياً في يوم من الأيام، وإنما حل لغرض معين، ومحاولة لتقليص الاحتلال بقدر ما يمكن في ظل غياب شريك لاتفاق. أما الآن فقد تغير الواقع السياسي الفلسطيني، جانب منه للأسوأ وجانب للأفضل. ويمثل مؤتمر "أنابوليس" فرصة لتحقيق اتفاق مع مَنْ هو مستعد للتوقيع عليه، وللأمل في أن يسير كل الشعب الفلسطيني خلفه.

إن التنازلات "المسماة مؤلمة" معروفة للجميع. وهي في حقيقة الأمر ليست مؤلمة، فإسرائيل ستضطر للانسحاب من المستعمرات المتناثرة في وسط السكان الفلسطينيين، والتي لم يكن لها مبرر قط أو غاية، وذلك من أجل خلق حدود فعلية. والسؤال فقط هو ما إذا كان هناك من يقدر على تنفيذ هذا الانسحاب أم لا..؟!.

شعبة الاستخبارات العسكرية: "فرص نجاح مؤتمر أنابوليس منعدمة"

هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٧
بقلم: عاموس هرئيل

تشير تقديرات شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) إلى أن فشل المؤتمر الإقليمي المزمع انعقاده فى أنابوليس نهاية هذا الشهر من شأنه أن يؤدى إلى استقالة محمود عباس (أبو مازن) من منصب رئيس السلطة الفلسطينية. وحسب التقارير التى أوردتها صحيفة هاآرتس قبل عدة أسابيع، فإن تقديرات الاستخبارات العسكرية فيما يتعلق بفرص نجاح المؤتمر كانت تشاؤمية للغاية، حتى أن ضباطاً فى الشعبة قالوا مؤخراً إنها منعدمة تماماً.

وكان رئيس الوزراء إيهود أولمرت قد أعلن أمس أن موعد المؤتمر المزمع انعقاده فى الولايات المتحدة سيكون فى الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر. وأشار إلى أن دعوات المشاركة فى المؤتمر لم ترسل بعد، وأن إسرائيل مهتمة بمشاركة سوريا فى هذا الحدث.

وتقول دوائر مسئولة فى الجيش الإسرائيلى أن العائق الرئيسى أمام الطرفين فى المؤتمر، والذى يشكل خلافاً، يدور حول وفاء الفلسطينيين بما طلب منهم فى إطار المرحلة الأولى من خريطة الطريق، التى نشرتها الإدارة الأمريكية عام ٢٠٠٢، فيما يتعلق بالالتزام بالتصدى لبنية الإرهاب. فعلى حد قول السلطة، إنها أوفت بالتزاماتها فى هذا الخصوص، وهى ليست مسئولة عن إطلاق صواريخ القسام على النقب الغربي، لأن الهجمات تأتى من قطاع غزة الذى لم يعد يخضع لسيطرة السلطة منذ أن سيطرت عليه حماس. وبالنسبة لعباس فإن مؤتمر أنابوليس يعتبر الفرصة الأخيرة لإحياء المسيرة السياسية، ولذلك فإن فشل المؤتمر قد يؤدى به إلى الاستقالة من منصبه، الأمر الذى سيخلق فراغاً كبيراً بين صفوف النخبة الفلسطينية وسيزيد من تأثير حماس فى ظل غياب شخصية مقبولة بما فيه الكفاية بالنسبة لفتح لتحل محل أبو مازن.

وتشير تقديرات شعبة الاستخبارات العسكرية إلى أن الدوائر المحيطة بعباس منعزلة عن قيادات المناطق (الفلسطينية) التابعة لفتح ويصعب عليها فرض سيطرتها على الأجهزة الأمنية وعلى الفصائل السياسية. وضعف سيطرة النخبة فى السلطة على ما يحدث فى المناطق (الفلسطينية) سيجعل من الصعب الوفاء بالتزاماتها فى إطار المسيرة السياسية إذا ما شهدت تقدماً. كما وصف ضباط فى الشعبة قيادة السلطة الفلسطينية بـ"حكومة دافعى الرواتب" التى تركز دورها فى الأساس على توزيع الأموال لموظفى السلطة ورجال الأجهزة الأمنية.

فى مقابل ذلك، تشير الدوائر فى الجيش الإسرائيلى بشكل إيجابى إلى التنسيق الأمنى الجديد الذى شهد فى الآونة الأخيرة تقدماً بين الشاباك وأجهزة الأمن الوقائى والمخابرات العامة الفلسطينية. ففى هذا الإطار، تتناقل الأجهزة الأمنية من الجانبين معلومات استخباراتية مهمة بالنسبة لإسرائيل كما تقوم أحياناً بإحباط عمليات تخريبية.

وقد أعربت قيادات سابقة رفيعة المستوى فى الجيش الإسرائيلي، كانت قد شاركت فى محادثات كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠، عن قلقها من نقطة أخرى مرتبطة بمؤتمر أنابوليس.. فعلى حد قولهم، أن الطاقم الإسرائيلى فى المحادثات يعانى من عدم الخبرة النسبى فى الاتصالات مع الفلسطينيين، فى حين أن المفاوضين من جانب السلطة لديهم سنوات طويلة من الخبرة فى المحادثات مع إسرائيل.

وفى سياق حديثه أمس الأول عن النتائج المحتملة للمفاوضات فى أنابوليس، قال الرئيس بيريس: "إن فشل المؤتمر يعتبر كارثة".

مؤتمر أنابوليس فرصة لا يجب إضاعتها

بقلم: سفى كروبسكى ونير يَهَف
المصدر: موقع walla
٢٠٠٧/١١/٩

"السلطة الفلسطينية تنظر لمؤتمر أنابوليس على أنه فرصة تاريخية لا يجب إضاعتها، سواء للفلسطينيين أو لإسرائيل".. هذا ما قاله بالأمس – الخميس – وزير الشئون الخارجية الفلسطينية، رياض المالكي، فى مؤتمر عقد فى مركز بيريس للسلام فى جامعة تل أبيب. وقد أحصى المالكى ست قضايا، إذا توصل الطرفان لاتفاق حولها سيكون بالإمكان توقيع اتفاقية سلام تؤدى لإنهاء الصراع، هى: الحدود، واللاجئين، والقدس، والمستعمرات، والأمن، والمياه.

كما ذكر المالكى ثلاث قضايا تثير قلق الفلسطينيين:الأولى هى الطريق لأنابوليس، حيث تساءل قائلاً: "هل يتحدثون عن وثيقة..؟ وإذا كانت، فمن أى نوع..؟. الفلسطينيون يتحدثون عن وثيقة محددة وإسرائيل تتحدث عن إعلان". النقطة الثانية هى الأعمال التى يجب تنفيذها على أرض الواقع.. وعلى حد قول المالكي، فإن الفلسطينيين يقومون بدورهم فى المرحلة الأولى من خطة خريطة الطريق، بينما لا يقوم الإسرائيليون بدورهم. وأضاف: "على سبيل المثال، لا يجمدون بناء المستعمرات، بل على العكس، يواصلون توسيعها، وهذا لا يمنح ثقة". النقطة الثالثة هى خطتهم لما بعد مؤتمر أنابوليس. فمن الأهمية بمكان بذل جهود بعد المؤتمر، ويجب علينا ألا ننسى أن المؤتمر هو مجرد نقطة البداية، وليس النهاية. يجب على الفلسطينيين أن يشعروا بأنهم يحصلون على مكاسب من مسيرة السلام.

وقد ناقش المالكى أيضاً السبيل لإقامة دولتين، وقال إن إسرائيل لن تكون آمنة تماماً إلا إذا أصبح للفلسطينيين دولة مستقلة. وقال: "إسرائيل تقول دائماً إنها تريد الأمن أولاً، ثم ستمنح الفلسطينيين دولة، إلا أن هذين الأمرين ينبغى أن يتحققا معاً. فعندما تسمح إسرائيل للفلسطينيين بإقامة دولة، ستحقق الأمان التام".

وأضاف مشترك فلسطينى آخر فى المؤتمر، وهو وزير شئون الأسرى فى السلطة الفلسطينية، هشام عبد الرازق، أن كل الفصائل الفلسطينية، باستثناء الجهاد الإسلامي، مستعدون لحل دولتين لشعبين، على حدود ٦٧ . وعلى حد قوله، فإن "اتفاق أوسلو كان أكبر منا، أكبر من الجانب الفلسطيني، وكذلك من الجانب الإسرائيلي".

❖ **"فشل المفاوضات سيزيد من قوة المتطرفين":**

كما شارك فى المؤتمر الوزير عامى أيالون، الذى قال: "إننا نتعامل اليوم مع أفضل شريك فلسطيني". وعلى حد قوله، فإنه "يجب وضع تصور للعام المقبل، طالما هناك إدارة أمريكية متعاطفة، ويجب أن نتوصل خلال فترة ولايتها لاتفاق مبادئ دائمة". وأضاف أيالون: "الوقت لا يسير فى صالحنا. ليس بسبب المشكلة الديموجرافية، وإنما بسبب اليأس الذى أصبح يتملك الطرفين (الإسرائيلى والفلسطيني)".

مع ذلك، أبدى أيالون خشيته من الإفراط فى التفاؤل عند التعامل مع قضايا جوهرية، وقال إن "الخطوط الحمراء واضحة تماماً: فاللاجئون لن يعودوا، الكتل الاستيطانية ستظل فى أيدينا فى إطار تبادل الأراضي، وستكون القدس عاصمة إسرائيل ذات أغلبية يهودية".

وقد تطرق أيالون للفشل المحتمل لمؤتمر أنابوليس، وقال إن هذا الفشل سيؤدى إلى صعود أطراف شائكة: "يجب على دولة إسرائيل دعم عناصر معتدلة عن طريق إضعاف العناصر الراديكالية، حيث إن مخاوف حركة حماس من عملية سياسية (يقصد عملية سياسية ناجحة من خلال نجاح مؤتمر أنابوليس) تفوق بصورة كبيرة مخاوفها من عملية عسكرية".

هكذا استنفذنا مؤتمر أنابوليس

هاآرتس ٢٠٠٧/١١/١٧
بقلم: يوسى فيرتر

كيف استطاع أفيجدور ليبرمان وإيلى يشاي، سوياً، وأيضاً كل منهما على حدة، تضييق الخناق على رئيس الوزراء، حتى استطاعا أن يحوِّلا مؤتمر أنابوليس من حدث هام فى حياة الشرق الأوسط إلى مجرد "لقاء" آخر (يقصد مثل باقى اللقاءات التى انعقدت من قبل دون جدوى)..؟!.

قال شخص ما لأفيجدور ليبرمان هذا الأسبوع بعد وضوح الرؤية إن مؤتمر أنابوليس تقزم وتم تشويهه وأفرِّغ من كل القضايا الجوهرية الهامة: "حسنا. لقد نجحت فى إخضاع رئيس الحكومة". فاحتج ليبرمان ولمعت عيناه بنظرة لعينة قائلاً: "كيف أخضعته..؟! إن كل ما فعلته هو مساعدته على بلورة أفكاره".. "بلورة الأفكار" هذه كانت المرحلة التى مر بها أولمرت فى الشهور الأخيرة على يد شريكيه فى الائتلاف، ليبرمان ويشاي، وكانت مكثفة للغاية، ومنسقة فى جزء منها، وعلى ما يبدو كانت فعالة. ولقد احتفل الرجلان هذا الأسبوع، كل منهما على طريقته الخاصة، بانتصارهما.

بمفارقة كبيرة، سيصبح "بيان أنابوليس" بالنسبة لهما مكسباً مزدوجاً، إذ سيظلان على كراسيهما مع كل النعيم المترتب على ذلك، وسيتاح أمامهما فرصة التوجه لناخبيهم بصدر منتفخ والتباهى بعملية الاغتيال المستهدف التى نفذاها فى حق المؤتمر، والذى حتى صدور عددنا هذا لم توجه بطاقات الدعوة الرسمية له. مما أشاع فى أوساط اليمين النكتة التالية: لماذا لم توجه

بعد بطاقات الدعوة للمؤتمر..؟ لأن الدعوة للعرس توجه قبل شهرين من الموعد، فيما الدعوة للجنازة توجه قبل يوم واحد فقط.

لقد تكون لدى كل من تحدث إلى ليبرمان خلال الأيام الأخيرة انطباع بأنه يسجل لنفسه النصيب الأكبر من إنجاز تحويل أنابوليس من حدث هام فى حياة الشرق الأوسط إلى "لقاء" مدته بضع ساعات يفترض به أن "يحرك" - ومرة أخرى يحرك فحسب - المفاوضات المتواصلة نحو التسوية الدائمة.

ويتحدث ليبرمان فى أحاديث مغلقة عن أسلوبه فى العمل منذ أن دخل هذا المؤتمر حياتنا بضجة كبيرة.. فقد تعنت ليبرمان، سواء أثناء أحاديثه مع أولمرت، وتونى بلير، وكونداليزا رايس ودافيد وولش، وحتى أثناء جلسات الحكومة، بشأن وجوب اشتراط كل خطوة بتنفيذ المرحلة "أ" من "خريطة الطريق"، والتى مفادها قضاء السلطة الفلسطينية على البنى التحتية للإرهاب. نعم..!! ليبرمان تحديداً، الذى صوّت ضد خريطة الطريق، عاد ليرى فيها اليوم "ذخيرة كبيرة"، لأنه يدرك أن المرحلة "أ" لن تنفذ أبداً، وأن الفلسطينيين لن يحاربوا الإرهاب إطلاقاً، وأن إسرائيل ستظل فى حل من تنفيذ أية خطوة. كما أنه هو من منع أولمرت من التعهد بإخلاء بؤر استعمارية غير شرعية، بدعوى أن ذلك يضر "بالمناعة القومية". وهو أيضاً من طرح للمرة الأولى شرط اعتراف السلطة الفلسطينية بإسرائيل كدولة يهودية، الأمر الذى من الصعب الموافقة عليه. وهو كذلك من أحبط الفكرة الذكية لوزيرة الخارجية تسيبى ليفنى، والتى بموجبها يتقرر البدء بـ"مفاوضات مشروطة": أى أن تقوم إسرائيل والفلسطينيين بإجراء مفاوضات، ويتوصلون لاتفاقات، على أن تنفيذ ما يتم التوصل إليه يظل مشروطاً بتنفيذ الفلسطينيين المرحلة الأولى من خريطة الطريق. وقال ليبرمان إن هذا السيناريو لم يعد قائماً، لأنه فى اللحظة التى نتفق فيها على شيء، سيقف العالم فوق رؤوسنا مطالباً بالشروع فى إخلاء مستعمرات.

بعد عام من انضمام ليبرمان المفاجئ إلى حكومة أولمرت الجريحة والمتعثرة من جراء حرب لبنان الثانية، يتضح أن الخطر الاستراتيجى الأساسى الذى يحاربه وزير التهديدات الاستراتيجية ويسعى للإجهاز عليه، هو مؤتمر أنابوليس. والآن يستعد ليبرمان لـ"المعركة الأخيرة": فهو يسعى لتمرير قرار، خلال جلسة الحكومة الأسبوع المقبل، والتى يفترض أن تكون آخر جلسة قبل أنابوليس، يقضى بعدم الدخول فى أى مفاوضات قبل أن يعترف الفلسطينيون بإسرائيل كدولة يهودية. هذه هى الضربة الأخيرة، والقيد الأخير الذى يسعى ليبرمان لتقييد أولمرت من خلاله قبل خروجه إلى أنابوليس. ومع هذه الحمولة الزائدة، هناك شك فى قدرة طائرة رئيس الوزراء على الإقلاع. كما أنه من المشكوك فيه أن تكون هناك ثمة جدوى لمؤتمر يبدو فاشلاً قبل انعقاده. ويقول المقربون من ليبرمان: "ليذهب رئيس الوزراء، ويطلق تصريحات ويلقى خطابات، ولكن ذلك لن يؤدى إلى مفاوضات". كما يقول المسئولون فى مكتب وزير التهديدات الاستراتيجية: "من حسن الحظ أننا فى الحكومة. فقد كانت الصورة ستبدو مغايرة لولا وجودنا فيها".

❖ القدس فقط:

حضر إيلى يشاى مساء يوم الاثنين الماضى "ندوة" فى كفار سابا بمناسبة صدور كتاب "نيران ضد قواتنا" للصحفى عامير رابوبورت، والذى يتناول حرب لبنان الثانية. وفى حوالى الساعة العاشرة مساء، توقفت قرب سيارة يشاى الحكومية ماركة "مازدا ٦" رمادية اللون، وظلت أبواب السيارة موصدة طوال عشرين دقيقة تقريباً، إلى أن خرج يشاى مسرعاً من الندوة. وعندئذ، فتحت أبواب السيارة الـ"مازدا" وخرج من السيارة البرلمانية رئيس كتلة الليكود فى الكنيست، عضو الكنيست جدعون ساعر، وتسلل إلى سيارة يشاى وانطلق الرجلان فى السيارة نحو الظلمة دون مساعدين، حيث لم يكن معهما سوى السائق وحارس أمن.

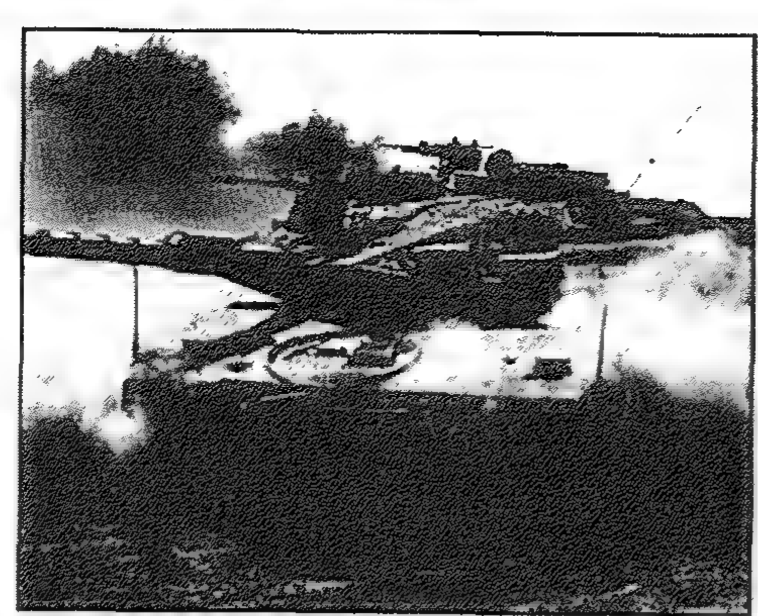
وفى رحلة السيارة هذه، نشأ التعاون بين شاس والليكود، والذى تجلى أمس الأول فى الكنيست فى التصويت على مشروع القانون الذى قدمه ساعر، والذى بموجبه يتطلب أى تغيير فى حدود القدس أغلبية قوامها ٨٠ عضو كنيست. ومن المشكوك فيه أنه كانت هناك حاجة لهذا التسلل الليلي. لم تكن هناك فرصة لأولمرت وائتلافه حيال ذلك. ففى هذا الكنيست، كما فى دورات الكنيست السابقة، أى مشروع قانون أو مبادرة أو عريضة تتعلق بـ"القدس"، حتى لو كانت تتعلق بحى عربى ناء أو بمخيم لاجئين لم تطأه قدم إسرائيلية، يحظى بأغلبية برلمانية متحمسة. ولذلك، فإن قانون ساعر، الذى لا غاية له سوى إظهار مساوئ أولمرت الائتلافية قبيل أنابوليس، يكسب بطبيعة الحال تأييد "إسرائيل بيتنا"، وكذلك أعضاء كنيست من كاديما وحزب المتقاعدين. يا له من ائتلاف ودود..!!.

إذا كان ليبرمان فى لعبة لى الذراع عشية أنابوليس هو الضابط الشرير الذى أجرى عشرات المقابلات الصحفية وهدد بإجراء انتخابات مبكرة، فقد اختار يشاى المسار الهادئ، حيث رفض تشكيل جبهة معارضة مع ليبرمان. ونقل رسائله التهديدية لأولمرت فى أحاديث ثنائية على انفراد وعن طريق الصحافة الحريدية، وعبر تسريبات كانت تتم عموماً باسم "مسئولين كبار فى شاس"، وفى أحيان نادرة باسمه.

سيناريو ما بعد أنابوليس: "حرب مصغرة على قطاع غزة"

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/١١/١٨
بقلم: حانان جرينبرج

المعادلة التى تطرحها الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بسيطة، ولكنها مقلقة: كلما ابتعد موعد المواجهة فى قطاع غزة، كلما زاد عدد المصابين لدى الجانب الإسرائيلي، خاصة فى ظل العبوات الناسفة المطمورة، والصواريخ التى تغطى جنوب أشدود.. ولذلك، فإن فشل مؤتمر أنابوليس قد يعطى "الضوء الأخضر" لتنفيذ عملية عسكرية واسعة. كيف ستبدو هذه العملية..؟ يتحدث المسئولون فى الجيش الإسرائيلى عن مواجهة فى حجم عملية الليطانى فى جنوب لبنان عام ١٩٧٨، وحرب لبنان الأخيرة.



لم يعد خافياً على أحد أن المسئولين فى الأجهزة الأمنية الإسرائيلية لا يعلقون آمالاً كبيرة على مؤتمر أنابوليس. وتعتقد مصادر أمنية رفيعة المستوى أن فشل المؤتمر قد يعطى الضوء الأخضر للكوادر السياسية فى قيادة الجيش الإسرائيلى بتنفيذ عملية عسكرية واسعة النطاق فى قطاع غزة. ويتوجس المسئولون بالجيش خيفة من وصول حماس إلى مرحلة النضوج العسكرى (العملياتي)، مما سيؤدى إلى انسياق إسرائيل وراء مواجهة قد تكون أكثر تعقيداً، وإلى تضاؤل فرص إحراز نجاحاً حقيقياً. ولذا، يقولون فى الأجهزة الأمنية الإسرائيلية إن الوقت ليس فى صالحنا فيما يتعلق بالجبهة الجنوبية، والمعادلة المطروحة بسيطة ولكنها مقلقة: كلما ابتعد موعد المواجهة فى قطاع غزة، كلما زاد عدد المصابين الإسرائيليين.

خلال جولته التفقدية فى مستعمرة "نتيف هعسراه"، اليوم (الأحد ٢٠٠٧/١١/١٨)، أعلن الوزير آفى ديختر أنه "من غير المستبعد" تنفيذ عملية فى غزة. ويعتقد ضباط كبار بالجيش الإسرائيلى أن مشكلة غزة هى إحدى أكثر المشكلات المعقدة التى واجهها الجيش الإسرائيلى خلال السنوات الأخيرة. صحيح أن هناك عدة حلول عسكرية مطروحة. ولكن أصحابها أيضاً يدركون جيداً عشرات الاعتبارات الأخرى التى يتم بحثها طوال الوقت، والتى جعلت العملية العسكرية فى وضع الانتظار.

وبالفعل، تم تناول ما يحدث داخل القطاع بإسهاب. وترجح التكهنات السائدة فى هذا الشأن أن حماس على بعد سنتين أو ثلاث سنوات على أقصى تقدير من امتلاك قدرات تضاهى قدرات حزب الله. وبالنسبة لكل المهتمين بهذا المجال، لا يوجد أدنى شك فى أن مدى الصواريخ الفلسطينية التى تطلق من القطاع - الذى كان يبلغ حتى خمس سنوات ماضية ٢ كم ووصل الآن إلى ١٢ كم - سيصل إلى عشرين كيلومتر ليهدد جنوب مدينة أشدود. وقد تردد تعبير "سيناريو آخر" كثيراً خلال المناقشات الأمنية التى تناولت ماذا سيحدث عندما تمتلك حماس تلك الصواريخ المتطورة، سواء أطلقوا عليها "كاتيوشا" أو أى اسم آخر.

وقد استعرض الجنرال آفى مزراحي، رئيس شعبة الإمدادات اللوجستية فى الجيش الإسرائيلي، والمتوقع أن يصبح قريباً قائداً للقوات البرية، خلال مؤتمر اللطرون الأسبوع الماضى - استعرض نموذجاً آخر لما يحدث داخل قطاع غزة، حيث قال: "إنهم يحفرون حفراً عميقة فى الطرق الرئيسية، ويزرعون فيها عبوات ناسفة شديدة الانفجار، ثم يعيدون رصف الطريق بما يحول دون معرفة أنهم حفروا فى هذه الأماكن". كما لم يحمل لنا أنباء سارة فيما يتعلق بأعداد الانتحاريين والسيارات المفخخة، بل وأكد أن الإيرانيين متورطين بشدة فى هذه الأنشطة.

❖ مجرد بداية:

عودة إلى "السيناريو الآخر".. ترى مصادر أمنية أن هذا الواقع سيكون غير محتمل، ولن يمكن المرور على ما يحدث داخل القطاع مرور الكرام والانتظار حتى تمتلك حماس مئات الصواريخ طويلة المدى. ويعترفون فى الأجهزة الأمنية (بعدما ينحون اللغة الدبلوماسية جانباً) أن المصريين لا يفعلون شيئاً تقريباً لوقف عمليات التهريب الكثيرة التى تتم عن طريق محور فيلادلفي. لذلك، فإن القيام بعملية عسكرية واسعة النطاق لن يكون موضوعاً مثيراً للتساؤلات. وتعترف المصادر ذاتها بشأن العمليات محددة الهدف التى تجرى حالياً قائلة: "صحيح أنها تمنع وقوع عمليات فلسطينية على المدى

القصير، إلا أنها لا تمس، ولو من بعيد، بصناعة الإرهاب المزدهرة حالياً فى القطاع. وإطلاق صواريخ القسام وقذائف الهاون - أيا كانت درجة إزعاجها - هى مجرد بداية".

وفى تلك الأثناء، يبدو أن حماس تتعمد "ألا تكسر قواعد اللعبة"، حيث تحافظ على مستوى معين من الإرهاب، وتعمل على نار هادئة. كما أن إسرائيل من جانبها ترد بشكل مركز ومحدد، وتضرب خلايا إطلاق الصواريخ، وأحياناً أيضاً ما تفعل ذلك باستخدام "قنابل موقوتة"، ولكنها تمتنع عن تصعيد الأوضاع. هذا بناءً على تعليمات واضحة صادرة عن القيادة السياسية بالامتناع عن التصعيد.

ولكن حتى متى سيستمر الوضع الراهن الهش..؟ ليس واضحاً. تقريباً، لا يوجد مؤيدين لفكرة القيام بعملية عسكرية فقط كرد على عملية إرهابية مروعة، حيث يعتقد المسئولون بالأجهزة الأمنية الذين استخلصوا درساً من الحرب الأخيرة فى لبنان أن تنفيذ عملية عسكرية فى القريب العاجل من شأنه تحقيق نتائج، حيث سيكون المصابون بشكل أساسى من جنود الجيش الإسرائيلى فقط، فى مقابل تنفيذ عملية فى المستقبل البعيد قد تسفر عن سقوط مزيد من المصابين بين الجنود، ولكنها ستدخل أيضاً الكثير من المدنيين فى مرمى إطلاق النار. بتعبير آخر، من يخشى أن تؤدى عملية فى غزة فى هذا الوقت إلى سقوط مصابين إسرائيليين، قد يجد نفسه خلال عام ونصف أمام عملية من نوع آخر، وذات فرص نجاح أقل وعدد مصابين أكثر.

ولكن كيف ستبدو عملية واسعة فى غزة..؟ تمتنع قيادات الجيش الإسرائيلى عن الإدلاء بأية تفاصيل، ولكنهم يتحدثون عن حرب صغيرة (مينى حرب)، بحجم يتراوح بين عملية الليطانى وحرب لبنان الثانية. ويمكن الآن ملاحظة التجهيزات والتدريبات الجارية على الأرض: قوات احتياط وجنود نظاميين غفيرة ستنتشر داخل القطاع، وبعضها سيكلف بأداء المهام الخاصة. والهدف هو تحقيق إنجازات ملموسة خلال أقل من شهر. ويتحدثون عن سقوط أعداد كبيرة من المصابين والخسائر من الجانب الفلسطيني، بما فيها مواقع عسكرية ومخازن ومعامل وكل ما يمكن تدميره. ومع انتهاء العملية، من المتوقع أن ينشأ واقع جديد فى قطاع غزة، سيكون بمثابة معادلة جديدة، حيث لن تضطر حماس لترميم صفوفها بعد الخسائر الفادحة فى الأرواح والممتلكات فحسب، وإنما أيضاً سيتغير الوضع لصالح إسرائيل. ومن هذه الناحية، يتمنون فى الجيش الإسرائيلى وضع حركة حماس فى وضع آخر يتيح أمام القيادة السياسية مساحة أوسع للمناورة.

من الأفضل البقاء فى الوطن

هاآرتس ٢٠٠٧/١١/١٩

بقلم: يوسى بيلين

كل متعلم قيادة سيارات مبتدئ يتعلم القاعدة التي مفادها أنه ممنوع دخول المفترق إذا كنت لا تعرف مسبقاً كيف ستخرج منه. ورئيس الوزراء إيهود أولمرت يأخذ إسرائيل إلى مفترق أنابوليس، وإذا لم يكن لديه التصميم على مواصلة الطريق من هناك إلى الأمام، على طريق إنهاء النزاع، فمن الأفضل له أن يتراجع من الآن ويظل فى الوطن.

عدم التطرق إلى القضايا الجوهرية فى أنابوليس سيبقينا عالقين عند المفترق، ومعرضين للمتطرفين من الجانبين. وسوف يتكرر العَرَضُ المرضى المعروف: تقترب اللحظة الحاسمة، وتلوح فرصة فى الأفق لإحراز دفعة حقيقية فى المسيرة السياسية نحو سلام تاريخي، ولكن عندها يصاب الطرفان بالشلل.

لقد قالوا لنا إن القضايا الجوهرية - القدس واللاجئين والحدود - ستطرح على جدول الأعمال، ولكننا لن نبحثها.. سنتحدث فقط عن الإفراج عن سجناء وإزالة حواجز وعن خريطة الطريق..!!.

لقد مرت سبع سنوات منذ اللقاء الرسمى الأخير، فى إطار مفاوضات السلام، بين ممثلى حكومة إسرائيل وممثلى منظمة التحرير الفلسطينية. والمؤتمر المزمع عقده - مهما قللوا من حجم التوقعات بشأنه - ليس مؤتمراً آخر فى سلسلة مؤتمرات، إنما لقاء تاريخي، الفشل فيه معناه نصراً كبيراً لحماس، ونهاية المشوار السياسى لمحمود عباس، وربما يؤدى أيضاً إلى اندلاع موجة عنف جديدة.

غير أنه اتضح فجأة أنه لكى ينجح هذا المؤتمر، يجب على الأطراف تغيير بعضاً من شعاراتها بحل وسط سياسي. إنهم يتصورون أن الأسهل لهم العودة إلى الحضن الدافئ لـ"خطوات بناء الثقة" بدلاً من التعاطى مع ضرورة التوصل إلى حلول وسط تاريخية. وذلك رغم أن الجميع يعرفون أن خطوات بناء الثقة منيت بفشل ذريع فى الماضي. ولم تؤد إلا إلى تصعيد العداء والشعور بأن نوايا الطرف الآخر غير سليمة، وأن الحلول الوسط

التاريخية اللازمة لم تعد قادرة على أن تسقط أحد من كرسيه - ويقال ذلك بهذا الشكل أو ذاك من قبل صناع القرار ذاتهم.

يستطيع الزعماء الثلاثة التغلب على ضعفهم عن طريق المؤتمر الوشيك. لديهم القليل جداً ليخسروه، والكثير جداً ليربحوه. فبعد أن جربوا كل شيء، ودفعنا جميعاً ثمناً لا لزوم له، هاهم يعودون إلى عام ٢٠٠٠، ولكنهم بمقدورهم السعي لمواصلة الطريق من هناك. الرئيس جورج بوش جرب نشر الديموقراطية والاستعداد لإدراج حماس في السياسة الفلسطينية وفشل. وأولمرت جرب الخيار أحادي الجانب في غزة وفشل. وأبو مازن جرب حكومة الوحدة الوطنية مع إسماعيل هنية وفشل.

ربما تكون هذه اللحظة هي اللحظة الحاسمة بالنسبة لهم. اللحظة التي يقولون فيها ما يعرفونه منذ زمن بعيد. يمكنهم أن يتفقوا في أنابوليس على مبادئ التسوية الدائمة (رؤية بوش، خطة كلينتون، مبادرة جنيف وخطة أيالون - نسيبه)، وفور ذلك الشروع في المفاوضات التي ستجرى على مدى بضعة أشهر وتنتهي في أقرب وقت ممكن، في عام ٢٠٠٨ .

من الجدير عندئذ اشتراط تنفيذ الاتفاق بالقدرة الأمنية الفلسطينية على تطبيقه، ولهذا الغرض يمكن نشر قوة متعددة الجنسيات لدى الجانب الفلسطيني. وقد أفادت الاستطلاعات الأخيرة بأن الجمهور الإسرائيلي - غالبية الجمهور إن لم يكن بأكمله - لديه استعداد لتسوية دائمة حسب المبادئ المذكورة عاليه. ولدى أولمرت أغلبية برلمانية مضمونة لم يكن لها مثيل في الماضي، فأكثر من ٦٥ عضو كنيست سيؤيدون الاتفاق الذي سيتوصل إليه. وحتى لو فقد تأييد حزبي يسرائيل بيتينو وشاس، فإن الكنيست سيؤيده.

يجب أن نعي جيداً حقيقة أخرى مهمة، وهي أنه العودة إلى أنابوليس عام ٢٠٠٩ لن تكون ممكنة، فثمة رئيس أمريكي جديد لن يبدأ مشواره السياسي بمؤتمر شرق أوسطي. أبو مازن سينهي ولايته في يناير ٢٠٠٩ . والشيء الذي لن يحدث الآن، لن يحدث في المستقبل القريب. وإهدار الفرصة التي يتيحها مؤتمر أنابوليس سيكون خطئاً جسيماً. إذا لم يجرى في هذا المؤتمر حواراً جاداً حول القضايا الجوهرية، وإذا لم يخلص إلى تعليمات واضحة بشأن استمرار المفاوضات، فمن الأفضل البقاء في الوطن ومحاولة الوصول إلى إنجازات حقيقية عبر المباحثات الثنائية التي بدأت قبل بضعة أشهر.

على أي حال، إذا كنا نريد حقاً حل هذا المشكلة اللعينة، فإننا لا نحتاج شركاء لتحقيق ذلك.

شاس لبوش: "أطلق سراح بولارد بمناسبة مؤتمر أنابوليس"

بقلم: آريك بندر
المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٧/١١/١٩

بعث أعضاء كتلة شاس بخطاب خاص للرئيس الأمريكي، يتوسلون فيه من أجل إطلاق سراح الجاسوس الإسرائيلي جوناثان بولارد لما في ذلك من تحقيق "مصلحة مشتركة، ألا وهي دفع المسيرة السلمية في المنطقة".

فإلى جانب الاتصالات المكثفة التي تُجرى استعداداً لمؤتمر أنابوليس، قرر أعضاء حركة شاس استغلال هذا الحدث لدفع قضية أخرى وإطلاق سراح جوناثان بولارد المحتجز في الولايات المتحدة منذ أكثر من عشرين عاماً. وقد دعا أعضاء الكتلة في الخطاب الذي بعثوا به للرئيس بوش إلى إطلاق سراح الجاسوس الإسرائيلي، وقد جاء في الخطاب: "لقد حان الوقت لإطلاق سراحه، يمكنك فعل ذلك".

وقد وقَّع على الخطاب الوزير إيلي يشاي نائب رئيس الوزراء ورئيس كتلة شاس، وآريئيل أتياس وزير الاتصالات وعضو كتلة شاس، وجميع أعضاء الحزب الحريدي. وقد جاء في الخطاب الذي بعث به أعضاء حزب شاس: "نحن نناشدك اليوم أن تفعل كل ما في وسعك لتحقيق العدالة. لقد قضى بولارد في السجن فترة أطول من الآخرين الذين أدينوا بنفس الجريمة".

وقد ذكر يشاي وزملاؤه الرئيس بوش بأنه خلال آخر دورتين في الكنيست، بعث إليه الكثير من أعضاء الكنيست بخطابات بشأن الموضوع، وكانت تحتوي في الأساس على طلبات لإطلاق سراح بولارد على خلفية إنسانية. وجاء في الخطاب أيضاً أن "جوناثان بولارد قضى حتى الآن ٢٢ عاماً في السجن في ظروف مجحفة

أثرت بشكل كبير على وضعه الصحي، وقد أعرب بولارد مراراً وتكراراً عن أسفه عما ارتكبه وطلب الصفح، ولذا، فبعد هذا الوقت الطويل ينبغي أن تطغى الرحمة والعفو على أى شعور آخر".

ويشير الموقعون على الخطاب إلى أنهم يرون بعين الأهمية طلبهم "كبادرة ذات معنى" استعداداً للتوصل إلى سلام إقليمي. وقالوا: "إن هذا هدف مشترك للولايات المتحدة وإسرائيل".

❖ **"مجرم خطير":**

يبذل ناخبو الجمهور فى إسرائيل، خاصة اليمين السياسي، جهداً كبيراً لطرح قضية بولارد على الخطاب الموجه للجمهور بشكل دائم. وكان عضو الكنيست زفولون أورليف قد دعا منذ نحو عشرة أيام مراقب الدولة إلى التطرق إلى قضية بولارد فى تقريره الذى نشر اليوم. وقد حكى أورليف أنه طلب من المراقب التحدث مع جميع رؤساء الوزراء الذين كانوا متورطين فى القضية ويمكنهم الإدلاء بشهادتهم. وأوضح قائلاً: "إننى أرغب فى أن أعرف ما إذا كانت الحكومة الإسرائيلية تفعل كل ما فى وسعها علناً وفى الخفاء من أجل إطلاق سراح بولارد أم لا".

وتجدر الإشارة إلى أن ريتشارد جونز، سفير الولايات المتحدة فى إسرائيل، قد أوضح مؤخراً أن إطلاق سراح الجاسوس الإسرائيلى "غير ممكن".

وقد ذكرت لجنة التضامن مع بولارد، تعليقاً على تصريحات السفير، أن "عقوبة الإعدام لا تنفذ إلا ضد من يتجسس لصالح دولة معادية للولايات المتحدة. أما فى الحالات التى كان يتم فيها التجسس لصالح دولة صديقة للولايات المتحدة، فإنه لا توجد ولو حالة واحدة تلقى أحد فيها عقوبة كالتى حصل عليها بولارد، والتى وصلت مدتها إلى ٢٢ عاماً، وإنما كانت تتراوح متوسط مدة العقوبة فى مثل هذه الحالات ما بين عامين إلى أربعة أعوام فقط".

السلام ليس لعبة

بقلم: عكيفا إلدار
هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٢٠

خرج الساسة الأجانب، الذين التقوا ورئيس الوزراء، بانطباع فحواه أن إيهود أولمرت استوعب أن التسوية مع الفلسطينيين هى مصلحة إسرائيلية من الدرجة الأولى. ونشطاء السلام الإسرائيليون يخرجون من منزله بإحساس أنه لو لم يكن مرتبطاً بفرع الليكود الكبير فى كاديما، وشركاء مثل أفيجدور ليبرمان وإيلى يشاي، كان أولمرت سيعود من أنابوليس ومعه إطار لاتفاق سلام. حتى من يدّعون أنهم يواصلون السير على طريق رابين من حزب العمل، بمن فيهم الرئيس شمعون بيريس، لا يشمرون عن سواعدهم لمساندته.. ورغم ذلك، فقد أسفرت إحدى تلك اللقاءات عن إعلان التأييد الرائع لرئيس الوزراء، والذى نُشر أمس فى "هاآرتس" من قبل "مجلس مبادرات السلام".

ولكن كيف يتماشى هذا مع مطالبة إسرائيل باعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بها كدولة يهودية..؟ لماذا سقط أولمرت فى تلك الحفرة العميقة بدلاً من تجاوز العقبات فى الطريق إلى أنابوليس. هل يؤمن حقاً بأن محمود عباس يمكنه، بل ويجب عليه، أن يتخلى عن هذه الورقة قبيل بدء المفاوضات حول القضايا الجوهرية..؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل رئيس الوزراء مستعد لأن يعرض عليه إنجازاً حقيقياً، أم أنه يتوقع أن يحصل على ذلك مقابل موافقة إسرائيلية على استئناف المفاوضات من النقطة التى توقفت عندها، قبل أكثر من سبع سنوات..؟ هذا يذكرنا بمطالبة سوريا مسبقاً بقطع علاقاتها مع إيران، وطرد خالد مشعل من دمشق، مقابل الاستعداد الإسرائيلى للحديث معها، فى ظل تشجيع الاستيطان اليهودى فى هضبة الجولان.

لقد كتب البروفيسور "يحزقئيل درور" مؤخراً بأن اشتراط المفاوضات بمطالب على غرار وقف دعم سوريا لمنظمات الإرهاب لا تصبح مبررة إلا عندما يكون هناك أساس للاعتقاد بأن الطرف الآخر سيستجيب للشرط، أو عندما تشجع المفاوضات، دون تنفيذ الشرط، أنشطة معادية لإسرائيل: "وفى ظل غياب تأكيدات لمثل هذه الآراء. من الأفضل عدم وضع شروط مسبقة، وإنما توجيه المفاوضات نفسها نحو تنفيذ الشروط، أو كبديل لإجراء مفاوضات بطرق غير رسمية". كما وقع درور أيضاً أدنى الجملة التالية: "الحكومة كلها، وكل واحد من أعضائها، اتخذوا قراراً بتنفيذ عملية عسكرية قوية فورية (يقصد حرب لبنان الثانية)، بتعجل ودون أن تعرض عليهم بيانات وتقديرات توضح التبعات والتداعيات المترتبة على قرارهم... الحكومة، وكل واحد من أعضائها، لم تعمل بعد تفكير عميق، ولم تتوخ الحذر ولا المسئولية كما يتوجب منها" (صفحة ١٢٤ فى التقرير المرحلى للجنة فينوجراد).

والحوار مع مصادر مضطلعة بالاستعدادات لمؤتمر أنابوليس، توضح أن القرار بتسلق الشجرة العالية

للاعتراف الفلسطيني بدولة يهودية كشرط مسبق للمفاوضات، قد اتخذ بنفس السرعة التى أصدر بها أولمرت وحكومته قراره بشأن العملية العسكرية الواسعة فى لبنان. فهم لم يطلبوا تقديرات بشأن فرص استجابة الفلسطينيين لهذا المطلب، ولو حتى كان الثمن هو فشل المؤتمر. لقد تم إعلان الطلب دون أى بحث لتداعيات الفشل على المعسكر الفلسطيني الذى يؤيد حل الدولتين.

كان خالد مشعل قد أعلن أنه فى الوقت الذى سيتناول فيه الزعماء العرب المعتدلون طعامهم على مائدة جورج بوش، ستذكر حماس المسلمين بأطفال غزة الذين يعيشون على الخبز والماء. ماذا سيحدث بعد شهر، أو شهرين، عندما يتبين أن ليبرمان ويشاى يقصدان ما يهددان به..؟ هل يأخذ أولمرت بالحسبان إمكانية أن تتلقى إسرائيل ضربتين موجعتين إذا ما انصرفت الحكومة عن المفاوضات، أو حُلت فى ذروتها..؟ حيث ستفقد الشريك الفلسطيني، والذى ربما يكون الأخير، لتسوية الدولتين، بل وستنقلب الآية أمام العالم الذى سينظر إليها على أنها ليست شريكاً لاتفاق سلام، يقوم على أساس الإجماع الدولى، وعلى مبادئ مبادرة السلام العربية.

إن المفاوضات السياسية، مثل شن الحرب، ليست لعبة صبيانية. وفى ضوء مقولة كارل فوند كلاوزفتس بأن الحرب ليست إلا استمراراً للسياسة بأشكال أخرى، يمكن القول بأن فشل السياسة من شأنه أن يؤدى إلى اندلاع حرب بأشكال أخرى. ومثلما فى الحرب، يجب على الزعيم، قبل مضيه قدماً فى مسيرة سياسية، أن يخطط مسبقاً لكيفية الخروج منها.

إذا لم يكن أولمرت يؤمن بقدرته السياسية على تحقيق خطوة مصيرية، بمعايير بن جوريونية، على حد تعبيره، يجب عليه أن يكون مستعداً للتوجه فى أقرب وقت ممكن إلى الجمهور، ومطالبته بأن يقرر فى أى دولة يرغب العيش.

أهمية مؤتمر أنابوليس

بقلم: شموئيل كوبر
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/١١/٢١

بعد لقائه والرئيس المصري، حسنى مبارك، قال أولمرت أمس فى شرم الشيخ، إن المفاوضات لن تترك أى موضوع ينغص عليهم وعلينا حياتنا" أى أن المفاوضات ستشمل كل القضايا الجوهرية.

تتعارض تلك التصريحات مع تكهنات كل المحللين السياسيين فى إسرائيل، الذين يعرضون مؤتمر أنابوليس على أنه حدث عديم القيمة السياسية. ويتجاهل المحللون حقيقة أن الإدارة الأمريكية وضعت مكانتها على كفة الميزان مقابل إقامة ونجاح هذا المؤتمر. ويتجاهلون أن كونداليزا رايس أجرت صولات وجولات من الزيارات المتواصلة للمنطقة لضمان نجاح المؤتمر من وجهة النظر الأمريكية. كما يتجاهلون حقيقة أن الولايات المتحدة لن تكبد نفسها عناء دعوة ٤٠ دولة للمشاركة فى مؤتمر تنظمه بنفسها، إلا إذا كان هدفها هو جعله حدثاً مؤثراً.

فى الواقع، يبدو أن الأمريكيين لديهم وثيقة من المقرر أن يوقع عليها الطرفان. وما يحدث فعلياً الآن هو ضغط أمريكى على الجانبين للتوقيع على هذه الوثيقة. بتعبير آخر، ربما يمكن أن نطلق على ما يوشك أن يحدث فى أنابوليس، اتفاق مفروض على الطرفين من جانب الولايات المتحدة الأمريكية.

وفيما يتعلق بأولمرت وأبو مازن، يبدو أنهما وافقا على اتفاق مبادئ كهذا، ودور الأمريكيين الآن هو ممارسة ضغط لترويج هذه الوثيقة كاتفاق مشترك فى أنابوليس، رغم المعارضة الشرسة التى من المتوقع أن يتعرض لها الزعيمان من الداخل، الأمر الذى ربما يردعهما عن التوقيع عليها.

عن أى وثيقة يجرى الحديث..؟ فى يوم ٢٠٠٧/٩/١١ نشرت على الموقع الإلكترونى تسوفار http:// (www.tsofar.com) وثيقة نشرتها فى نفس اليوم وكالة الأنباء الفلسطينية "معا"، والتى اعتبرها مسئولو الوكالة سبقاً صحفياً حصرياً.

تحمل الوثيقة تاريخ ٢٠٠٧/٨/٢٧ وتشمل النقاط الثمانى الأساسية لاتفاق المبادئ بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية قبيل مؤتمر أنابوليس.. وتأتى صيغتها على النحو التالي:

"يتعين على إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية الدخول فوراً فى مسيرة، مع نهايتها سيعلن عن إقامة دولتين - إسرائيل وفلسطين - يعيشان جنباً إلى جنب، وكذلك بلورة وثيقة مبادئ والوصول إلى تفاهمات على النحو التالي:

١- تنهى إسرائيل احتلال الضفة الغربية خلال فترة زمنية متفق عليها، بحيث يتم تنفيذ الانسحاب والإخلاء تدريجياً وعلى عدة مراحل. وتسليم كل منطقة يتم إخلاؤها إلى السلطة الفلسطينية التى ستتولى إحلال القانون والنظام فيها. والحرص على وجود نظام فى

قطاع غزة لديه استعداد لأن يكون شريكاً في عملية السلام، وهذا سيتيح تنفيذ رؤية إسرائيل بأن قطاع غزة والضفة الغربية يمثلان وحدة سياسية واحدة.

٢- إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح، ترتكز حدودها الدائمة على حدود ١٩٦٧، بحيث تلبى الحدود المرسومة بدقة متناهية الاحتياجات الأمنية والواقع الديموجرافي والظروف الإنسانية. وسيصبح من الممكن تنفيذ تبادل أراضي بنسبة (١:١)، سواء للحفاظ على الكتل الاستيطانية تحت السيادة الإسرائيلية أو لضمان وحدة الدولة الفلسطينية وفرص ازدهارها اقتصادياً.

٣- تقام دولتان في القدس (المقصود عاصمتان)، واحدة لإسرائيل والأخرى لفلسطين، بحيث تصبح الأحياء اليهودية تحت السيادة الإسرائيلية، والأحياء العربية تحت سيادة فلسطينية. وبين السلطتين المحليتين سيكون هناك تعاون يسمح بنسيج حياة طبيعي لكل السكان.

٤- اتخاذ تدابير خاصة للحفاظ على حرية الانتقال لكافة الأماكن المقدسة لأبناء الديانات المختلفة، وتطبيق نظام خاص للحفاظ على حرية دخول أبناء الشعبين الأماكن المقدسة داخل البلدة القديمة بالقدس.

٥- توصيف فلسطين بأنها البيت القومي للشعب الفلسطيني، في مقابل توصيف إسرائيل بالبيت القومي للشعب اليهودي.

٦- إيجاد حل مناسب ومتفق عليه لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، مع مراعاة المعاناة التي عانوها، والاعتراف بها، وإدراك أن مباشرة الحق في تقرير المصير يعد أساساً لحل المشكلة.

٧- يعلن الطرفان عن استعدادهما لإنهاء الصراع والعمل على حشد تأييد جماهيري - بقدر المستطاع - لهذا الاتفاق، بحيث يعمل الطرفان، بكل قوتهما، معاً وكلٌ على حدة، ضد أي مظاهر عنف وإرهاب موجه من أراضي إحدى الدولتين لنظيرتها.

٨- يعتبر الطرفان هذا الاتفاق بمثابة تنفيذ فعلي لمبادرة السلام التي دعت إليها جامعة الدول العربية، ومطالبة الدول الأعضاء بالجامعة العربية باتخاذ خطوات عملية لتطبيق المبادرة كاملة. كما يدعو الطرفان الدول والهيئات التي تمثلها الرباعية الدولية والمجتمع الدولي، إلى المشاركة والمساعدة بكافة السبل والوسائل، من أجل الدفع بالاتفاق القائم على تلك المبادئ وتنفيذه.

ومن الأهمية بمكان بلورة وثيقة ترتكز على المبادئ المذكورة عاليه قبل المؤتمر الدولي في نوفمبر، بحيث تعرض تلك الوثيقة خلال المؤتمر وتدعّم بقرارات دولية بعده.

وبعد المؤتمر مباشرة. وفيما يتوازى مع المفاوضات للوصول إلى اتفاق مفصل، تبدأ إسرائيل في حشد قوات من أجل إخلاء مستعمرات من أراضي الضفة الغربية، بحيث تنتهي إسرائيل من مراحل الإخلاء مع الانتهاء من المفاوضات.

وقد كتبت أن النقاط الأساسية الواردة في هذه الوثيقة هي:

❖ يتفق الطرفان على إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح، في حين تحافظ إسرائيل على الكتل الاستيطانية الأساسية، وفي المقابل تعوض الفلسطينيين بمناطق أخرى بنسبة (١:١).

❖ تسليم الأحياء العربية في القدس الشرقية إلى الدولة الفلسطينية المزمعة.

❖ يتنازل الفلسطينيون عن حق العودة إلى إسرائيل، ويتم تحقيق ذلك فقط داخل حدود الدولة الفلسطينية.

❖ يتفق الطرفان على مبادئ الاتفاق قبيل مؤتمر السلام الدولي في نوفمبر الحالي.

❖ فور انتهاء المؤتمر تبدأ إسرائيل إخلاء مستعمرات.

❖ عرض الاتفاق على استفتاء عام سواء في إسرائيل أو في السلطة الفلسطينية.

وهكذا، وخلافاً لإجماع المحللين في إسرائيل بأن مؤتمر أنابوليس سيكون حدثاً عديم المضمون والمغزى، لازلت مُصِرًا على رأيي بأن الوثيقة السابقة من شأنها أن تنشر في بيان مشترك بين الطرفين.

وقد جاءت شبكة البي. بي. سي بأدلة على كلامي بقولها: "من المفترض أن يكون الهدف الأساسي لمؤتمر أنابوليس هو إصدار بيان مشترك حول اتفاق دائم بين إسرائيل والفلسطينيين. رئيس طاقم المفاوضات الفلسطيني، صائب عريقات، قال إن الطرفين سيواصلان جهودهما يوم الاثنين (٢٠٠٧/١١/١٩) في محاولة للاتفاق على الصيغة. كما يقول خبراء إنه دون بيان إسرائيلي - فلسطيني مشترك، ستكون فرصة نجاح المؤتمر ضعيفة".

وتعقيباً على تصريحات أولمرت أمس: "أتمنى بشدة أن نتمكن من التوصل إلى اتفاق خلال عام ٢٠٠٨"، كتبت البي.بي.سي أن أولمرت يتوقع الوصول إلى اتفاق سلام إسرائيلي - فلسطيني قبيل انتهاء فترة ولاية الرئيس جورج بوش في يناير ٢٠٠٩ .

وهذا التفسير منطقي، لأنه إذا كان هناك اتفاق أمريكي مفروض، فمن الأفضل أن يتم ذلك تحت رعاية بوش. الرئيس الأمريكي الأكثر تضامناً مع إسرائيل على الإطلاق. وبتقصي المرشحين لانتخابات الرئاسة الأمريكية يبدو من غير المتوقع أن يبدي أحد منهم تفهماً لاحتياجات إسرائيل، مثل الرئيس الحالي.. الأفضل إذاً إنهاء الأمر مع الفلسطينيين الآن.

المشكلة الرئيسية من جانب إسرائيل هى موقف الشركاء فى الائتلاف، شاس وإسرائيل بيتنا، اللذان من شأنهما جعل أولمرت دون أغلبية ائتلافية، إذا عرض هو وأبو مازن الاتفاق المذكور عاليه. فى هذه الحالة، سيصبح وضع أولمرت مماثلاً لوضع إيهود باراك فى حينه (يقصد فى مفاوضات كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠)، عندما تعجل فى التوصل إلى اتفاق دون حشد أغلبية برلمانية.

إلا أن أولمرت، على ما يبدو، سيفضل خوض الانتخابات بينما فى صدارة برنامجه الانتخابى اتفاق موقع عليه من قِبل أبو مازن ومدعوم من قِبل بوش والجامعة العربية ومعظم دول العالم. عندئذ ستزيد فرصته فى التغلب على نتنياهو.. هذا بالطبع إذا لم يضطر للاستقالة عقب التقرير النهائى لفينوجراد، الذى تفيد التكهنات التى وردت على الموقع الإلكترونى "تسوفار"، بأنه قد يُتهم بأنه أرسل عشرات الجنود للموت فى عملية عديمة الجدوى عسكرياً بهدف تحقيق مكاسب سياسية.

المشكلة الأساسية من جانب الفلسطينيين، هى ضعف أبو مازن. وعلى ما يبدو، يتمنى الأمريكيون التغلب على ذلك عن طريق إعطاء الضوء الأخضر للجيش الإسرائيلى لاحتلال قطاع غزة بعد مؤتمر السلام فى أنابوليس دون مراعاة الخسائر والأضرار التى ستلحق بالمدنيين هناك، وتطهير القطاع من حماس ومن البنية التحتية للإرهاب. وخلال عدة أشهر حتى سنة، يتم نشر قوات تحالف عسكرى دولية ذات جدوى. وكذلك نشر قوات كهذه فى المناطق التى سيقوم الجيش الإسرائيلى بإخلائها فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، أملاً فى أن تتمكن تلك القوات من تحقيق استقرار لنظام حكومة فياض، والقضاء على الإرهاب القادم من هناك.

ما هى فرص نجاح المؤتمر..؟ نعتقد أنها ضعيفة. والبديل..؟! لا يوجد.. ولكن ألا يستحق هذا على الأقل المحاولة.

باراك وشبهة تخريب

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/١١/٢١

يكثر وزير الدفاع، "إيهود باراك"، من القول فى الأيام الأخيرة، بأنه "يصلى من أجل نجاح مؤتمر أنابوليس". حسن أن "باراك" يتوكل على الله ويضع ثقته فيه، وحسن أكثر أنه يأمل فى نجاح المؤتمر، ولكن يجب أن نتوقع من وزير الدفاع ما هو أكثر من الصلاة. لقد صمت "باراك" طوال شهور عديدة صمتاً مريعاً. نكاد لا نشعر بنشاطه كوزير للدفاع، والانطباع هو أنه يجد صعوبة فى وضع بصمته، رغم خبرته الأمنية العريضة.

فى الآونة الأخيرة، كسر "باراك" صمته، إلا أن التصريحات التى أدلى بها أيضاً لم تنجح فى إقناعنا بأن الأمر يتعلق بزعيم الحزب الثانى من حيث الحجم، والذى من المفترض أن يقود خطاً سياسياً وأمنياً واضحاً، يميزه عن سائر الأحزاب. فى ذات الوقت، تصاعدت من مكتبه أصوات عبَّرت عن تشاؤم وعن تخاذل إزاء فرص نجاح المؤتمر، الذى سيشارك فيه "باراك" نفسه. وفى يوم الأحد من هذا الأسبوع، عندما تحدث خلال النقاش السياسى للجنة المركزية لحزبه، تعزز أكثر وأكثر الانطباع بأنه لا يؤمن بفرص نجاح المؤتمر: فقد خصص لـ"أنابوليس" بضع جُمل مبهمة فقط. كما تزعم شائعة تسربت من جلسة الحكومة أول أمس بأن "باراك" تحدث مدافعاً عن المستعمرين، بمن فى ذلك أولئك الموجودون فى البؤر الاستيطانية غير القانونية.



من حق وزير الدفاع ألا يؤمن بفرص المؤتمر، ولكن لا ينبغى له بأى شكل من الأشكال أن يُخرِّب فرصه، طالما أنه ينتمى إلى حكومة جعلت العمل على إنجاح المؤتمر هدفاً لها. بل ومن الممكن أن يكون لوزير الدفاع تأثير بعيد المدى على ما يحدث على الأرض قبيل المؤتمر.. فكان بوسعه، على سبيل المثال، أن يصدر أوامره بتخفيف القبضة العسكرية الملحوظة على الفلسطينيين، كعلامة على صدق نوايا إسرائيل فى التقدم نحو السلام، وكان بوسعه إطلاق أكبر عدد ممكن من الأسرى، والفتح الحقيقى، وليس المفبرك، للحواجز، وتقليص الاعتقالات بالجملة ومنح تصاريح عمل فى إسرائيل - كل هذه الأمور كان من شأنها أن تشير إلى بدء صفحة جديدة.. لكن "باراك" لم يفعل أى شيء من كل هذا.

ليس عبثاً أن زملاء "باراك" فى زعامة حزب العمل يشكون من تصرفاته، فقد قال الوزير "عامى أيالون": "نحن صامتون ونترك الساحة لضغوط اليمين". وآخرون اشتكوا من الخطر السلبى لحزبهم، بأنه كان ينبغى أن يكون حزب العمل مجموعة التأثير الأهم فى الحكومة من أجل أى تقدم سياسي. من أجل هذا بالضبط اختاره الناخبين.

"سنقلب كل حجر بحثاً عن السلام" قال "باراك" هذا الأسبوع، محاولاً استرجاع أيامه المجيدة فى "كامب ديفيد (الثانية)"، حين واتته الجرأة لطرح جميع القضايا الجوهرية الحقيقية للنقاش. أما الآن، فيبدو أن "باراك" يريد قلب كل حجر من أجل إحباط فرصة السلام. إن "باراك" تكتنفه الآن شبهة ثقيلة: هل هو على استعداد لقلب كل حجر من أجل السلام عندما يكون رئس حكومة فقط..؟ وهل هو غير مستعد للمساعدة فى التقدم، وربما حتى تخريب التقدم، فقط لأنه لا يجلس على كرسى القيادة..؟!.

مسودة البيان المشترك للجانبين الفلسطيني والإسرائيلي

هاآرتس ٢٢/١١/٢٠٠٧
بقلم: عاميرا هس

نشرت صحيفة "هاآرتس" اليوم مسودة البيان المشترك بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، والذى من المقرر عرضه أمام مؤتمر أنابوليس الدولى الأسبوع المقبل. وقد عُرضت المسودة على طاقمى المفاوضات من الجانبين خلال لقائهما فى السابع عشر من الشهر الجارى فى القدس. ولا تزال معظم الوثيقة فى مرحلة الصياغة، فى حين أن أجزاء منها تحظى بموافقة الجانبين. ويتركز لب الخلاف بين الجانبين حول تعريف إسرائيل كدولة يهودية، والتعامل مع القدس الشرقية كعاصمة للدولة الفلسطينية؛ والجدول الزمنى لانتهاء المفاوضات؛ وطريقة تطبيق خريطة الطريق واتفاق الحل الدائم. ويطالب الفلسطينيون بالتوصل إلى اتفاق فى غضون ثمانية أشهر. وقد جاء فى المسودة أن رئيسى طاقمى المفاوضات - تسيبى ليفنى وأحمد قريع (أبو علاء) - سيستكملان بحث البنود المتعلقة بالقضايا الجوهرية: القدس والحدود واللاجئين. ولم ترد فى المسودة مطالب فلسطينية تتعلق بتجميد الاستيطان أو الجدار العازل أو إزالة الحواجز، كما لم يتطرق الفلسطينيون إلى الأوضاع فى قطاع غزة.

شارك فى المداولات من الجانب الإسرائيلى شالوم تورجمان، المستشار السياسى لرئيس الحكومة، وطال بيكر، المستشار السياسى لوزيرة الخارجية. ومثل الفلسطينيون الدكتور صائب عريقات، رئيس طاقم المفاوضات فى منظمة التحرير الفلسطينية، وزينة صالحي.

وتتعلق الخلافات أيضاً بتعريف الورقة المشتركة، إذ يطلق الفلسطينيون عليها اسم "الوثيقة المشتركة" فيما يطلق عليها الإسرائيليون اسم "البيان المشترك". وتتكون الوثيقة من مقدمة وأربعة فصول: المفاوضات، خريطة الطريق، دور المجتمع الدولي، وآلية المتابعة والمراقبة، وأخيرا الخلاصة مع ملحق باقتراحات كل جانب بشأن صياغة البنود.

وليس من الواضح ما هى التعديلات التى أُدخلت على مسودة "الورقة المشتركة" منذ السابع عشر من نوفمبر، ولكن تفيد التقديرات فى إسرائيل والسلطة الفلسطينية إلى أنه لم يطرأ تغيير يذكر ولا توجد بوادر تشير إلى أن الطرفين تجاوزا نقاط الخلاف، ولم تستبعد المصادر الإسرائيلية أن ينتهى مؤتمر أنابوليس دون بيان مشترك.

ويعترض الفلسطينيون فى المقدمة على الصياغة الإسرائيلية التى جاء فيها أن حق تقرير المصير مكفول "لكل شعب فى مناطقه"، وأن "إسرائيل هى وطن الشعب اليهودي، وفلسطين هى وطن الشعب الفلسطيني"، وذلك خوفا من استخدام هذا التعريف كذريعة لنقل مواطنى إسرائيل العرب إلى مناطق الدولة الفلسطينية. فى حين طالبت إسرائيل فى المقدمة بوقف الإرهاب و"التعهد بإطلاق سراح جلعاد شاليط"، إلا أن الفلسطينيين يعترضون على ذكر كلمة "إرهاب" ويقترحون الصياغة التالية: "وضع حد للتحريض، والتطرف والإرهاب والعنف". وأعربوا عن أنهم غير مستعدين للتطرق إلى قضية شاليط.

نقطة خلاف أخرى تتعلق بالجدول الزمنى لانتهاء المفاوضات بعد مؤتمر أنابوليس. ويقترح الفلسطينيون أن يتوصل الطرفان إلى اتفاق خلال ثمانية شهور من يوم انعقاد مؤتمر أنابوليس، أو حتى موعد أقصاه انتهاء ولاية الرئيس الأمريكى جورج بوش (يناير ٢٠٠٩). إلا أن الصياغة الإسرائيلية المقابلة تعترض على إدراج جدول زمنى وتقول بوضوح: "لا يوجد اتفاق حول الجدول

الزمني"، مكتفية بالإشارة إلى ما قاله رئيس الوزراء إيهود أولمرت أمام منتدى سابان مطلع الشهر الجاري، بأنه "يمكن التوصل إلى اتفاق حتى نهاية ولاية الرئيس بوش".

ويطالب الفلسطينيون فى المسودة بأن تكون المفاوضات على أساس قرارات واتفاقات سابقة، بينما يصر الإسرائيليون على أن المفاوضات هى التى "توجه الاتفاقات". ويرى الجانب الفلسطينى أن هذا فرق جوهرى سيتيح لإسرائيل التهرب من الاتفاقات السابقة.

ويطالب الفلسطينيون بأن تعتمد المفاوضات على مبادرة السلام العربية التى أطلقت عام ٢٠٠٢، وعلى القانون الدولي، وعلى مبدأ "إقامة دولة فلسطينية سيادية ومستقلة تعيش فى سلام وأمان إلى جانب دولة إسرائيل"، وعلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (الذى يتناول حق العودة الفلسطيني). إلا أن إسرائيل تعترض على كل ذلك، وترى أن الأساس للمفاوضات هو فقط خريطة الطريق ومطالب الرباعية الدولية، التى قادت فى عام ٢٠٠٦ إلى مقاطعة حكومة حماس، والتى تشمل الاعتراف بإسرائيل ونبذ الإرهاب.

فى البند المتعلق بخريطة الطريق، يرد ما جاء فى المسودة الأصلية التى اقترحتها الولايات المتحدة للوثيقة المشتركة فى مؤتمر أنابوليس، والتى تتكون من خمس نقاط. وتفرض خريطة الطريق على الجانب الفلسطينى محاربة الإرهاب، وبالمقابل تطالب إسرائيل بوقف الاستيطان وإخلاء البؤر الاستيطانية غير القانونية. ولكن مصدر فلسطينى يقول إن الولايات المتحدة سحبت اقتراحها بسبب معارضة إسرائيل لعدد من النقاط الواردة فيه، حيث تعترض إسرائيل على التطبيق الفورى والمتبادل لخريطة الطريق، كما تعترض على تشكيل لجنة ثلاثية لمتابعة ومراقبة تطبيق خريطة الطريق، وتعترض على أن تكون الولايات المتحدة هى المحكم الذى يقرر مدى التزام كل جانب بتعهداته.

أما الفصل المتعلق بآلية المتابعة والمراقبة، فهو اقتراح من الجانب الفلسطينى فقط، حيث يطالبون بتشكيل لجان مفاوضات تبدأ عملها فى اليوم الذى يلى مؤتمر أنابوليس، وتقترح أيضا عقد لقاء دولى كل ثلاثة شهور لمراقبة تقدم المفاوضات.

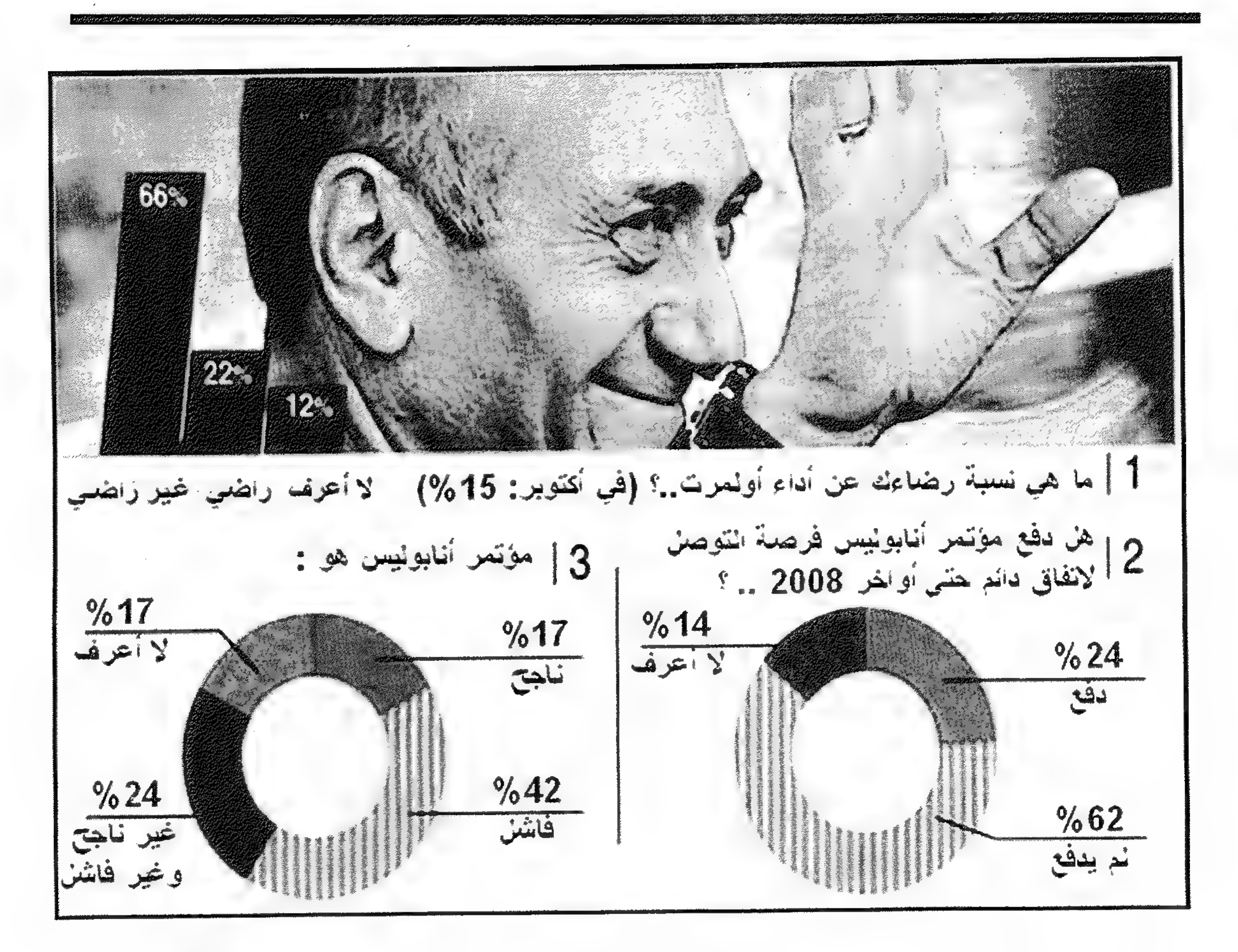
وفى البند الختامي، ترد ملاحظة إسرائيلية تتناول "سبل التعامل مع قطاع غزة"، فى حين لم يتطرق الفلسطينيون إلى مسألة قطاع غزة.

وتعقيبا على هذه المسودة، قال مصدر فلسطينى لصحيفة "هاآرتس": إن المواقف الفلسطينية التى طرحتها منظمة التحرير فى هذه المسودة ضعيفة أصلا وذات سقف منخفض". وأضاف المصدر أن الفلسطينيين لم يطرحوا على سبيل المثال بندا يطالب صراحة بتجميد البناء فى المستعمرات أثناء المفاوضات. وأوضح المصدر قائلا: "المسودة الفلسطينية تكتفى بعبارة عامة ترد فى الخلاصة، وتقول "لن يبادر أى طرف إلى خطوات من شأنها تغيير وضع الأراضي". وحسب قوله: "سبق أن جاءت هذه العبارة فى الاتفاق المرحلى منذ عام ١٩٩٥. ولكن الإضافة الوحيدة الجديدة هى الإشارة الصريحة إلى القدس الشرقية كجزء من الضفة الغربية. وفضلا عن ذلك، فإن واضعى الوثيقة من الجانب الفلسطينى لا يطالبون بإزالة الحواجز وتفكيك الجدار العازل".

وأضاف المصدر الفلسطينى أن هذا التراجع عن الثوابت الفلسطينية الراسخة يثير حالة من الاستياء بين عدد من كبار مسئولى السلطة الفلسطينية، مشيرا إلى أن واضعى المسودة الفلسطينية يتبنون "صياغة إسرائيلية غامضة" عندما يكتبون: "تبذل إسرائيل كل ما بوسعها لتحسين الحياة اليومية وتحقيق رفاهة السكان الفلسطينيين قبل تطبيق الاتفاق بشكل كامل"، وذلك بدلا من أن يطالبوا صراحة بإزالة الحواجز، والقيود المفروضة على التنقل وتفكيك الجدار العازل.

معظم الجمهور يؤيد اتفاق دائم، لكنه يعتقد أن مؤتمر أنابوليس فاشل

بقلم: يوسى فيرتر
هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٢٩



لم تترك التكلفة الباهظة لإجراء مؤتمر أنابوليس، ولا الخطابات البلاغية، ولا المشاركة الرائعة من جانب الدول العربية، ولا حتى تحديد موعد للتوصل لاتفاق دائم - أواخر عام ٢٠٠٨ - انطباعاً إيجابياً فى نفوس معظم مواطنى إسرائيل، حيث يعتقد ١٧٪ فقط من الجمهور الإسرائيلى أن المؤتمر كان "ناجحاً"، فى حين وصفه معظم المشاركين (٤٢٪) بأنه "فاشل"، بينما يعتقد ربع الجمهور (٢٥٪) أن المؤتمر "لم يكن ناجحاً ولم يكن فاشلاً".. علماً بأن السواد الأعظم من الجمهور الإسرائيلى كان قد أعرب عن تأييده لعقد المؤتمر خلال استطلاعات الرأى التى أجريت عشية انعقاده.

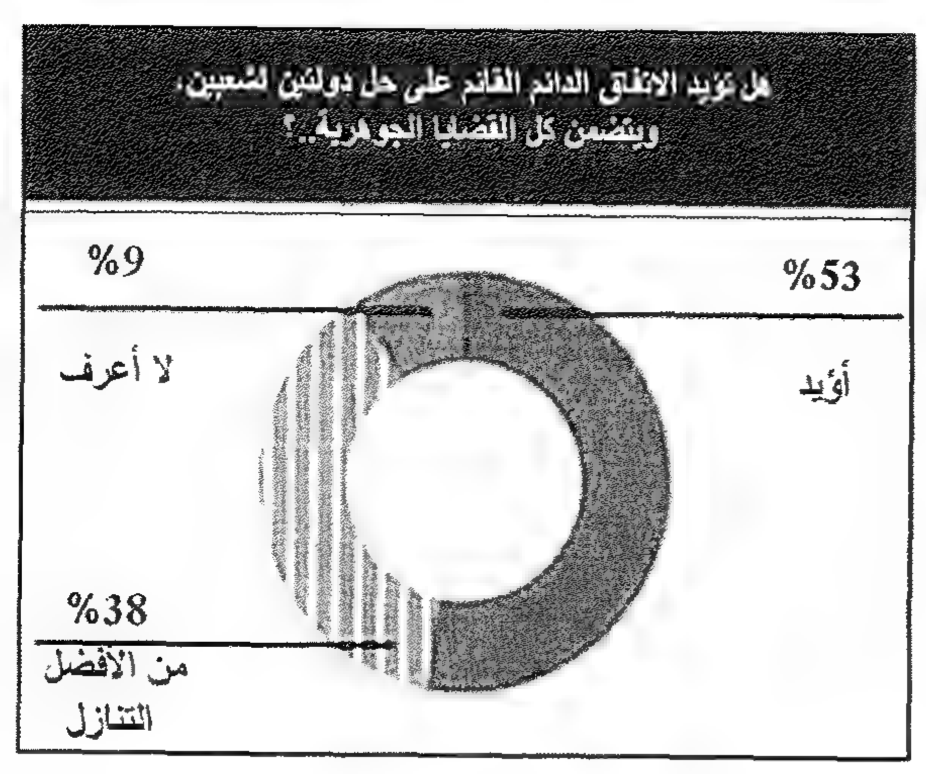
هذه النتائج تظهر فى استطلاع رأى "هاآرتس - ديالوج" الذى أجرى بالأمس، بعد ٢٤ ساعة على انعقاد مؤتمر أنابوليس، على عينة تضم ٤٩٧ من إجمالى الجمهور الإسرائيلي. وقد تقصى الاستطلاع العديد من القضايا، أغلبها على المسار الإسرائيلى - الفلسطيني. غير أن القضية الإيرانية، ونظرة الجمهور لصناع القرارات فى هذا الصدد، كانت ذات أهمية هى الأخرى.

ويبدو أن الجمهور غير راض ومتشكك بعد مرور أيام على مؤتمر أنابوليس وأسبوعينً قبل بدء المفاوضات من أجل التوصل لاتفاق دائم. وبالقياس على أنابوليس، فإن الجمهور أبدى عدم رضاء من كامب ديفيد التى شارك فيها إيهود باراك، ومن أوسلو التى شارك فيها رابين وبيريس، وخطة فك الارتباط التى طرحها شارون.

كما يتضح من الاستطلاع، الذى أشرف على إجرائه البروفيسور كاميل فوكس من قسم الإحصاء بجامعة تل أبيب، أنه من بين ناخبى حزب كاديما هناك أغلبية (٤٣٪) وصفوا المؤتمر بأنه "ناجح"، مقابل ٢٥٪ وصفوه

بأنه فاشل.. بينما كان ناخبو باقى الأحزاب، من اليمين واليسار، أكثر تحفظاً: حيث وصف ٣٪ فقط من ناخبى الأحزاب العربية، على سبيل المثال، المؤتمر بأنه ناجح، مقابل ٦٦٪ وصفوه بأنه فاشل.

مع ذلك، يتطلع معظم الجمهور لإنهاء الصراع مع الفلسطينيين: حيث يؤيد ٥٣٪ من الجمهور اتفاق دائم يتيح إقامة "دولتين لشعبين"، ويتضمن حل كل "القضايا الجوهرية": اللاجئين، الحدود، المستعمرات والقدس، فى حين يفضل ٣٨٪ التنازل عن مثل هذا الاتفاق، واستمرار الصراع.



❖ أنصار جايدماك يؤيدون الاتفاق:

ظهر ارتفاع ملحوظ فى مستوى رضاء الجمهور عن أداء إيهود أولمرت كرئيس حكومة: حيث أعرب ٢٢٪ من الجمهور عن رضائه عن أدائه - وهو ما يمثل ارتفاعاً بنسبة ٧٪ مقارنة بنتائج الاستطلاع السابق الذى أجرى قبل سبعة أسابيع.

إجمالاً، فى الأشهر الأخيرة، يرتفع مستوى الرضاء عن أداء أولمرت ببطء، بينما، فى المقابل، تنخفض ببطء نسب "عدم الرضاء" عن أدائه: حيث أعرب ٦٦٪ عن عدم رضائهم عن أدائه اليوم، مقابل ٧٤٪ قبل شهر ونصف الشهر و٧٥٪ قبل شهرين ونصف الشهر.. ويعتبر ناخبو حزب كاديما هم الأكثر رضاءً عن أداء أولمرت: ٥٨٪ مقابل ٣٣٪ غير راضين عن أداء رئيس حزبهم.

كما يتضح من الاستطلاع أن ناخبى أحزاب كاديما، والعمل، وميريتس، والأحزاب العربية، وكذلك من وصفوا أنفسهم بأنهم متضامنون مع حزب أركادى جايدماك، هم الأكثر تأييداً لاتفاق دائم.

لكن بين ناخبى حزب الليكود، هناك أغلبية تؤيد الاتفاق بالشروط الواردة فى الاستفتاء - وإن كانت أغلبية بفارق ١٪: حيث ذكر ٤٧٪ من ناخبى الليكود أنهم سيؤيدون الاتفاق، مقابل معارضة ٤٦٪.

بعد نحو شهر، فى أول يناير ٢٠٠٨، سيبدأ إيهود أولمرت عامه الثالث كرئيس حكومة إسرائيل. وهذا إنجاز كبير بالنسبة له، ولكنه إنجاز ضئيل بالنسبة للجمهور الإسرائيلي، خاصة من زاوية أن عام ٢٠٠٨ سيكون عاماً حاسماً بالنسبة للبرنامج النووى الإيراني، الذى يعتبره الجمهور الإسرائيلى الخطر الوجودى الأكبر الذى يرفرف فوق سماء دولة إسرائيل. فهو القضية المركزية الحقيقية، والقنبلة الموقوتة: قنبلة نووية فى أيدى المهووس الإيراني.

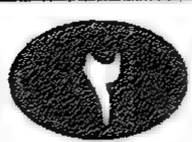
وفى هذا الصدد، الحساس بقدر كبير، يحظى أولمرت بنسب تأييد مخجلة ومهينة.. وعزاؤه الوحيد أن القائمة بأعماله، وزيرة الخارجية تسيبى ليفني، تحظى بنسب تأييد أقل منه: ٨٪ و٦٪ بالترتيب. وكل الشعبية التى تحظى بها ليفنى تختفى عندما يطلبون من المواطن العادى تخيل وجودها فى مكتب رئيس الحكومة بجانب الهاتف الأحمر، وبحوزتها التقارير الاستخباراتية، وينتظر رؤساء أفرع المخابرات والجيش قرارها.

إذا كان الجمهور يعتبر أولمرت ضعيف الفكر، ومتسرع وغير مسئول، بسبب شنه حرب لبنان الثانية، فإنه يعتبر ليفنى مجرد ريشة. وبالنسبة لأولمرت وليفني، سيصعب عليهما أن يقررا ما هو الموقف الأكثر حرجاً: هل هو حصول سياسى يمينى متطرف ومتحمس مثل أفيجدور ليبرمان، على نسبة تأييد تساوى النسبة التى حصل عليها الاثنان سوياً، أم احتلال بنيامين نتنياهو - الذى يتذكره الجمهور بأنه رئيس حكومة غير مسئول وغير مترو - المرتبة الأولى، حيث يعتمد عليه ٣١٪ من الجمهور فى علاج القضية الإيرانية..؟!.

وربما سيشعر رئيس الحكومة والقائمة بأعماله بالحرج تحديداً من إيهود باراك، الذى لا يحبه الجمهور، ويحتل المرتبة الثانية فى الاستطلاع بنسبة تأييد ٢٠٪. حتى باراك نفسه لن يحب هذه المعلومة. فهو، الذى كان مقاتلاً بالجيش الإسرائيلي، ورئيس أركان، ورئيس حكومة ووزير دفاع، يحظى بنسبة تأييد ٢٠٪ فقط..!! وهى نسبة تقل عن نتنياهو بـ١١٪..!!.

وفيما يتعلق بالقيادة الإسرائيلية المشتركة فى مؤتمر أنابوليس (أولمرت، وليفني، وباراك)، فإن نسبة (٣٠٪) أعربوا عن تراجع ثقتهم بهم بسبب المؤتمر، وهى نسبة تفوق نسبة من أعربوا عن تزايد ثقتهم بهم (٢٢٪).

وفى مؤشر الرضاء الذى تجريه صحيفة "هاآرتس" باستمرار، لم يطرأ أى تغير فى مكانة ليفني: صحيح أنها لا تزال فى الصدارة، إلا أنه بالإمكان توقع، بل هى نفسها توقعت ذلك، أن التغطية الإعلامية الإيجابية التى حظيت بها خلال المفاوضات ستمنحها نقاطاً إضافية. وهذا ما لم يحدث، ربما بسبب الإحساس العام بالملل من المؤتمر.



الشأن الفلسطيني

حركة حماس تشكل جيشاً فى قطاع غزة

بقلم: عينات تسوفرى
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٧/١٠/٣٠

يقول العميد "موشيه تشيكو تامير" إن قوة حركة حماس تتعاظم داخل قطاع غزة، وأنها حققت "قدرات عسكرية غير متوقعة" عن طريق أنفاق التهريب.

قال العميد تامير، قائد مجموعة عمليات غزة، فى حديث أدلى به أمس للمراسلين، بعد وفاة الرقيب أول إيهود إفراتى فى مواجهات مع مسلحين، إن "حماس تحاول إقامة شبكة خنادق، ومواقع إطلاق محصنة، ونقاط مراقبة على امتداد الجدار الأمنى فى قطاع غزة".

يقول تامير إن قدرة حماس العسكرية تتطور، وأنها تكون جيشاً فى قطاع غزة. وأضاف قائلاً: "لقد حصلت حماس على قدرات غير متوقعة (يقصد أسلحة وعتاد عسكري) عن طريق أنفاق التهريب بين مصر وقطاع غزة".

وقد صرح يوفال ديسكين، رئيس الشاباك (جهاز الأمن العام)، يوم الاثنين بأنه منذ انسحاب إسرائيل من قطاع غزة عام ٢٠٠٥ تم تهريب ما يزيد على ١١٢ طناً من المواد المتفجرة إلى داخل القطاع.



وقد وصف تامير المواجهات مع حماس بأنها "معركة عقول"، وقال: "الجيش الإسرائيلى يستخدم وسائل قتالية متعددة، إلا أنها أصبحت معروفة بالنسبة لحماس".

وقد حاول تامير التمييز بين العمليات التى تقوم بها حماس على امتداد الجدار، وبين تعاظم قوتها داخل القطاع، مؤكداً أن عمليات الجيش الإسرائيلى تتركز حول محاولة منع حماس من الانتشار على امتداد الجدار، إلا أنه فى الوقت نفسه اعترف بأن تعاظم قوة حماس العسكرية يظهر فى استعداداتها أمام الجدار. وقال إنه يجب التعامل مع تعاظم قوة حماس داخل القطاع بطريقة أو بأخرى.

عملية تنم عن إحباط فى غزة

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/١٠/٣٠

من الممكن تفهُم الإحباط الذى يكمن خلف قرار الهيئة الأمنية بالتوصية بفصل إمدادات الكهرباء إلى غزة بصورة متقطعة.. إنه نوع من الاستسلام للوضع القائم، حيث تقف "إسرائيل القوية" عاجزة فى مواجهة الإطلاق المتواصل لصواريخ "القسام" صوب "سديروت" والنقب، والذى من شأنه أن يكون فى المستقبل القريب أكثر دقة وفعالية. كما أصبحت عمليات وحدات جيش الدفاع الإسرائيلى داخل القطاع، والتى قتل فى إحداها جندى من جنود المظليين أمس وأصيب فى الأخرى جندي من جنود جولاني (وحدة خاصة) إصابة بالغة - أصبحت أكثر تعقيداً، ويتم مواجهتها طبقاً للتقارير، بقوة منظمة ومتدربة.

من السهل على إسرائيل أن تهاجم مفاعلاً فى سوريا أكثر من أن تهاجم "بيت حانون" المجاورة، لأنه من الصعب هنا، إن لم يكن مستحيلاً، تحاشى الإضرار بالمدنيين. كما أن وقف الكهرباء وتقليص إمدادات الوقود والغذاء للأطفال الرضع هما مساس لا مراء فيه بالمدنيين، وبهم فقط دون غيرهم. فى المقابل، القوة التى يمتلكها، ظاهرياً، هؤلاء السكان للضغط على حكومة "حماس"، لوقف إطلاق القسام على إسرائيل، محدودة.

يقول نائب وزير الدفاع، "متان فيلنائى"، إن الأمر لا يتعلق بعقوبة وإنما بمواصلة عملية فك ارتباط إسرائيل بغزة، لكن المشكلة أن غزة مرتبطة بإسرائيل من خلال إمدادها باحتياجاتها الأساسية للغاية، وهو ما جعل فك الارتباط من جانب واحد، الذى جرى فى صيف ٢٠٠٥، لا يغير شيئا من هذه الحقيقة. ومن ثم، لا يمكن القول بأنه لن يكون هناك إضرار إنسانى بالغ للغاية بسكان غزة وهم موجودون، أصلا، فى أزمة إنسانية متواصلة.

إن الإضرار بالبنى التحتية هو دائماً إشكالي، ولا يحقق فى رأى الكثيرين هدفه أبداً. الإضرار بالمدنيين بشكل متعمد ومقصود غير قانوني، حتى وإن كان رداً على عملية قام بها الطرف الثانى ضد مدنيين. إسرائيل لا تود أن ترى نفسها كدولة تستخف بالقانون الدولي، رغم أنها خرجت عليه على امتداد سنوات عن طريق إقامة مستعمرات فى أراض محتلة. إن الافتراض الكامن فى العقوبات المغلظة ضد سلطة "حماس" فى غزة هو أنه من الأسهل إسقاط "حماس" عن الانتصار عليها فى معركة أو التحدث معها، وأن كل إضرار "بحماس" يساهم فى تدعيم "أبو مازن". هذا هو التصور الجديد الذى يقود السياسة الإسرائيلية فى المناطق (الفلسطينية)، على الأقل حتى مؤتمر "أنابوليس".

إذا كان الهدف حقاً هو فك ارتباط كبير، فإنه لا يمكن فك الارتباط مع غزة فقط، ولا يمكن فعل ذلك بشكل خاطف أو كعقاب. يجب فعل ذلك بشكل منظم ومسئول، وبمساعدة أوروبية وأمريكية.. غزة ليست مستقلة ولن تكون كذلك فى المستقبل المنظور.. إن أطفال غزة أكثر ارتباطاً بالحكومة الإسرائيلية من حكومة "حماس"، وقرار معاقبتهم على إطلاق صواريخ القسام لن يضيف شيئاً إلى أمن سكان "سديروت".

أحد قياديي حماس: "سنسيطر على الضفة الغربية فى الخريف"

بقلم: على واكد
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٧/١٠/٣٠

قال أحد قياديى الجناح العسكرى لحركة حماس، خلال مسيرة احتجاجية نظمت فى مخيم جباليا للاجئين فى غزة: "سلطة أبو مازن ستسقط فى الخريف كما تتساقط الأوراق من الشجر". وتعهد أنه بحلول الخريف سيؤدى أعضاء حركة حماس الصلاة فى المقاطعة فى رام الله.

❖ هل سترفرف الأعلام الخضراء على الضفة أيضاً..؟:

هدد أمس (الاثنين)، نزار ريان، أحد قياديي الجناح العسكرى لحركة حماس، بأن حركته ستسيطر قريباً على الضفة الغربية. وعلى حد قوله، فإن أعضاء ومؤيدى حركة حماس سيؤدون، بحلول الخريف، الصلاة فى المقاطعة فى رام الله، وهو المكان الذى يوجد به مكتب الرئيس الفلسطينى محمود عباس (أبو مازن).

منذ الانقلاب الذى حدث فى قطاع غزة، والسلطة الفلسطينية تقوم، عن طريق أجهزتها الأمنية، بمطاردة وملاحقة نشطاء حركة حماس يومياً، خاصة هؤلاء المشتبه بانتمائهم إلى الجناح العسكرى للحركة. وقد

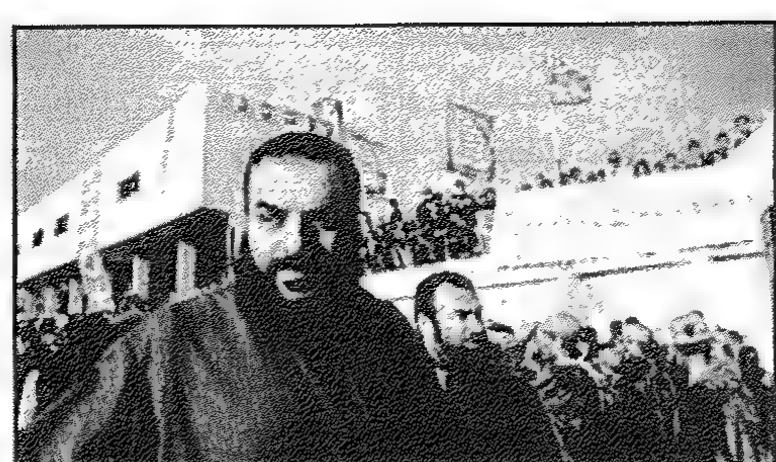
حذر قياديو حماس من مواصلة الاعتداء على أعضائها في الضفة الغربية، وأن الحركة لن تقف مكتوفة الأيدي.

وهاهم يهددون الآن بإحداث انقلاب في الخريف، وهو الموعد الذى من المقرر فيه عقد المؤتمر الدولى فى أنابوليس. كما قال ريان خلال المسيرة أيضاً: "ستنكشف جميع الأوراق فى الخريف، وسيتضح مَنْ الذى يقتل أبناء شعبه.. نحن لن نبقى له أى ذكرى، وسنمحو ذكره كما سبق أن حدث مع أمثاله".

❖ **فتح: "مكان ريان مستشفى الأمراض العقلية":**

وقد ساد الغضب بين المسئولين فى السلطة الفلسطينية بسبب تصريحات ريان التى جاءت بعد مرور بضعة أيام من تحذير أبو مازن لوسائل الإعلام من أن حماس تستعد للقيام بانقلاب فى الضفة الغربية.

ففى مقابلة مع وكالة "معاً" الفلسطينية للأنباء، قال ياسر عبد ربه، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير



الفلسطينية، إن المكان الملائم لريان هو مستشفى الأمراض العقلية، نظراً لأن الحديث يجرى عن أشخاص متخلفين من الناحية الذهنية والقومية. وأضاف قائلاً: "ريان ومحمود الزهار وكل عصابة حماس لا يولون أهمية للقدس أو للضفة الغربية أو للقطاع. إنهم ببساطة يرغبون فى تصدير ونشر رؤيتهم الإسلامية بين المسلمين فى العالم. هذه العصابة ليست لديها سوى التهديدات، ولا تعرف ماذا تعنى كلمة حوار.. إنهم لا يعرفون إلا توجيه السباب".

وقال المتحدث باسم اللجنة المركزية لحركة فتح إن الحديث يجرى عن جنون سياسي، متسائلاً: "هل أصبحت حماس الآن ترغب فى أداء الصلاة فى المقاطعة بدلاً من المسجد الأقصى..؟!". كما قال المتحدث باسم اللجنة أحمد عبد الرحمن أن "فتح يمكنها أن تكون طرفاً فى حرب داخلية، ولكنها ليست معنية بذلك حتى لا تلحق ضرراً بالمصلحة القومية الفلسطينية".

مرضى من غزة: "سياسة إسرائيل غير أخلاقية"

المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/١١/٩
بقلم: روتى أفراهام

أوصت محكمة العدل العليا، أمس، الدولة بالرد، خلال ١٠ أيام، على الالتماس الذى يطالب بالسماح بدخول فلسطينيين مرضى لتلقى العلاج العاجل فى إسرائيل، أو فى المناطق (الفلسطينية).

وكان الالتماس قد تقدمت به مجموعة من المرضى فى غزة، لاسيما مرضى السرطان، ومعهم منظمة "أطباء لحقوق الإنسان"، يطالبون فيه بالسماح للمرضى بالدخول إلى إسرائيل، أو المرور من خلالها إلى الأردن، أو المناطق (الفلسطينية) فى الضفة الغربية من أجل تلقى العلاج. ويقول أصحاب الالتماس إنهم لا يستطيعون تلقى العلاج الذى يحتاجون إليه فى غزة.

❖ **علاج مقابل معلومات للشاباك:**

وتطالب محامية المنظمة "يوهانا ليرمان"، فى إطار الالتماس، بإصدار أوامر لوقف اشتراط[illegible]خول بـ"نقل معلومات" أو "التعاون" مع الشاباك (جهاز الأمن العام). كما تشتكى ليرمان من طريقة التعامل مع المرضى الذين يخضعون للتحقيق الأمنى عند معبر إيريز، وتقول إن المرضى يُعطلون عند المعبر لساعات طويلة، سواء انتظارا للتحقيق، أو خلاله، وذلك رغم وضعهم الصحى المتردي.

وتضيف: إن إسرائيل لا تستطيع التخلى عن مسئوليتها تجاه سكان قطاع غزة الذين يحتاجون إلى علاج لا يتوافر فى القطاع. خطة فك الارتباط مع غزة التى نفذتها إسرائيل لا تمنع مسئوليتها فى الوضع الحالى تجاه سكان غزة. هناك مسئولية تقع على عاتق الدولة عن صحة السكان الذين يكفل لهم القانون الدولى الحماية، خاصة أنها تسيطر على طريق العبور الوحيد الموجود حاليا إلى المراكز الطبية، التى يستطيع فيها المرضى تلقى العلاج الذى سينقذ حياتهم".

❖ القطاع والضفة - وحدة واحدة:

فضلاً عن ذلك، يمس منع عبور المرضى من قطاع غزة إلى الضفة الغربية من أجل تلقى العلاج المتوافر هناك، وغير المتاح فى قطاع غزة، بهيكل ونظام حكم المناطق (الفلسطينية) بما يخالف القانون، رغم أن إحدى المحاكم منحت تصديقاً بأن يكون قطاع غزة والضفة الغربية وحدة إقليمية واحدة، وذلك بما يتفق مع التعهدات الدولية التى التزمت بها دولة إسرائيل وبما يتفق كذلك مع التاريخ وطبيعة المنطقة.

وتستشهد المحامية ليرمان فى الالتماس بأقوال الأديب "ألبير كامو" فى كتابه "الطاعون": "أقول فقط إنه يوجد فى هذا العالم أوبئة وضحايا، وأن الإنسان لابد أن يرفض بكل قوته أن يقف إلى جانب الأوبئة.. لذلك، قررت أن أقف إلى جانب الضحايا للحد من الخسائر.. فمن خلالهم، على الأقل، يمكن أن أحاول اكتشاف كيف يصلون إلى السلام والطمأنينة".

وختاماً، تزعم المنظمة، بخلاف المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، أننا نواجه سياسة تخلو من المنطق والأخلاق، حيث تعتدى إسرائيل على أضعف فئة سكانية وهم أصحاب الأمراض الخطيرة. لذا، يطالب أصحاب الالتماس من المحكمة فى هذا الوضع الصعب أن توفر لهم المساعدة، وتكفل لهم حق المريض فى الحياة.. وكما هو متوقع، أوصى القاضى سالم جبران الدولة بالرد خلال ١٠ أيام على الالتماس.

حركة حماس: "نهاية إسرائيل وشيكة"

بقلم: يهوناتان داحوّح هاليفى
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/١١/١٦

تواصل حركة حماس حملة لحشد الجماهير الفلسطينية ضد نظام حكم أبو مازن فى رام الله، عن طريق اتهامه بنيته التنازل عن الثوابت الفلسطينية، وعلى رأسها القدس والمسجد الأقصى، فى مؤتمر أنابوليس. فبعد انتهاء صلاة الجمعة (٢٠٠٧/١١/١٦) نظمت حركة حماس مسيرة جماهيرية أمام منزل أبو مازن فى غزة احتجاجاً على المفاوضات الجارية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل. وقد شارك فى تنظيم هذه المسيرة كل من حركة الجهاد الإسلامى ولجان المقاومة الشعبية والجبهة الشعبية برئاسة "أحمد جبريل" وتنظيم "فتح الياسر". المنافس لفتح والذى أسسته حركة حماس.

وفى خطابه أمام الجمهور، اختار "خليل الحية" (القيادى فى حركة حماس) توجيه عدة رسائل لإسرائيل وللسلطة الفلسطينية بزعامة أبو مازن.

أولاً لإسرائيل، حيث قال: "نهايتكم وشيكة.. صحيح أن استبداد دولة الاحتلال طاغ، إلا أن قوى العدل تتعاظم بشدة" ذلك ما قاله خليل الحية، كما دعا التنظيمات الفلسطينية لإعداد نفسها "لتحرير المسجد الأقصى من الاحتلال الصهيوني".

وفى خطاب واضح لأبو مازن تضمن تهديداً غير صريح بالقتل، قال "خليل الحية": "نحن نقف الآن بجوار المنزل الآمن، وهو ما يشاهده آلاف الأشخاص. ونقول لك: لن تنجو إذا تنازلت عن المسجد الأقصى، ولن تنجو إذا انتهكت ثوابتنا، ولن تنجو إذا تاجرت بدماء الشهداء، احذر التنازل عن المسجد الأقصى، فالتاريخ سيحاكم من يتنازل عن الأقصى". كما أكد خليل الحية أيضاً أن "الفلسطينيين مستعدون للموت، والجوع والتضحية بدمائهم فى سبيل ألا يقع مكروه للمسجد الأقصى".

وخلال المسيرة، قال "أبو عبير"، أحد كبار قيادات لجان المقاومة الشعبية (الإرهابية)، إن قيادة لجان المقاومة أمرت كوادرها بتنفيذ عمليات انتحارية ضد "العدو الصهيوني". كما أكد على ثقة قيادة اللجان بالقيادة الشرعية لحماس وبحكومتها. وأضاف أن "المسجد الأقصى هو بمثابة خط أحمر لا يحق لأحد تجاوزه".. وحذر أبو مازن قائلاً: "إذا ذهبت إلى مؤتمر أنابوليس ستفشل فشلاً ذريعاً. ولن تجد لك مكاناً بين أبناء الشعب الفلسطيني".

ماذا يحدث عندما يقتلعون أشجار زيتون مملوكة ليهود..؟

بقلم: إفرات فايس
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٧/١١/٢٠

"من يحمى شجرة الزيتون خاصتي" تحت هذا العنوان نشرت صباح اليوم منظمة حقوق الإنسان فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) تقريراً شاملاً يتناول تنكيل الفلسطينيين ونشطاء اليسار بمزارعين يهود فى يهودا والسامرة. ويزعم معدو التقرير أن الخسائر تقدر بمئات الآلاف من الشيكلات، كما لا يمكن تقدير حسرة قلب المزارع الذى تم إتلاف محصوله وتدميره عن عمد.

كما جاء فى التقرير: "شهد العام الماضى تصعيداً فى التنكيل على خلفية قومية ضد مزارعين يهود فى يهودا والسامرة. ورغم ذلك، لا يعمل جهاز فرض القانون على علاج هذه المشكلة، ولا يفعل شيئاً حيالها. هناك تفاوت كبير بين معالجة التنكيل باليهود والتنكيل بالعرب".

كانت أبرز الحالات، هى إضرام النيران فى ٩٠٠ دونم من أراضى الرعى وحظيرة و٣٠ شجرة رُمان مملوكة لأسرة من مستعمرة بت عاين، واقتلاع شتلات صغيرة وإتلاف أطنان من المحاصيل قبل حصادها، وإضرام النيران فى قنوات الرى لأسرة من مستعمرة عوفرا، واقتلاع ٥٠٠ شجرة زيتون لأسرة فى مستعمرة بنى كيدم، كما أضرمت النيران فى أكثر من ١٠٠ شجرة فى "حقل كيليف" بمنطقة جبل الخليل (هار حيفرون)، وكذلك أحرقت بنايات ومخازن.

ويزعم المسئولون فى المنظمة أنه عندما يتعلق الأمر بحماية مزارع عربي، يصدر قائد المنطقة الوسطى أوامر حظر دخول السكان اليهود الذين تفيد الشبهات باعتزامهم الاعتداء على المزارع العربية. ولكن فى المقابل، عندما يتعلق الأمر بحماية مزارع يهودي، لا تتخذ أية تدابير وقائية ضد الفلسطينيين.

ويزعم معدو التقرير أنه عندما يحدث شيئاً لمزارع فلسطيني، تأتى الشرطة والجيش للمنطقة للوقوف إلى جانب المزارعين، ويوفرون لهم الحماية، وفى حال الاعتداء عليهم يقومون بحملات اعتقال فورية. ولكن عندما يتعلق الأمر بحماية مزارع يهودي، لا توجد حراسة من قبل الشرطة أو الجيش الإسرائيلي.. وفى حال حدوث اعتداء، تأتى الشرطة متأخراً بوجه عام، الأمر الذى يحبط مسبقاً فرصة تنفيذ اعتقالات فى المنطقة.

❖ "جنة للصوص":

يشكو المسئولون فى المنظمة من أنه عندما يحدث شيئاً لمزارع فلسطيني، لا تتورع الشرطة عن تنفيذ اعتقالات وحملات تفتيش حتى داخل البلدات اليهودية.

وفى المقابل عندما يكون المطلوب هو حماية المزارع اليهودي، تتوقف أنشطة الشرطة على مشارف القرى الفلسطينية، حتى عندما تفيد المتابعة والتحريات بوجود مشبوهين أو ممتلكات مسروقة فى تلك القرى.. ويزعم أعضاء منظمة حقوق الإنسان فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) أن حقيقة عدم دخول الشرطة إلى قرى يهودا والسامرة تتيح تنفيذ عمليات سرقة بمنتهى السهولة، وأننا فعلياً بصدد "جنة عدن للصوص". وعلى حد قولهم، فى اللحظة التى تدخل فيها المسروقات (المعدات الزراعية أو المحاصيل أو الحيوانات) حدود القرية، يضيع أمل ملاكها فى استرجاعها.

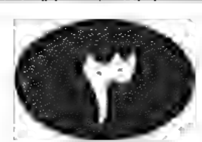
ولا يوجه المسئولون فى المنظمة أصابع الاتهام إلى الفلسطينيين فحسب، وإنما أيضاً إلى منظمات يسار إسرائيلية ودولية. ويستندون فى ادعائهم هذا إلى حادث وقع فى أغسطس الماضي، أثناء إحدى مسيرات نشطاء اليسار من الفوضويين والفلسطينيين، حيث نشبت أحداث شغب كبيرة فى كرمة شلومى كوهين، وأثناء ذلك اقتلع المشاركون فى المسيرة نحو ٥٠٠٠ كرمة عنب، وأتلفوا شبكة الري.. وفى ١٧ أكتوبر تم ضبط نشطاء يسار وفلسطينيين وهم - حسبما تفيد الشبهات - يضرمون النيران فى عدة مناطق حول مزرعة جلعاد فى السامرة.

وختاماً، يقول أعضاء منظمة حقوق الإنسان فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) إنه قد حان الوقت لأن تتعامل أجهزة فرض القانون بنفس الطريقة مع الفلسطينيين ونشطاء اليسار.

وتعقيباً على ذلك، ذكرت شرطة يهودا والسامرة (بالضفة الغربية) أن "الجيش الإسرائيلى وشرطة منطقة يهودا والسامرة وجهات أمنية أخرى تعمل طوال أيام السنة على فرض القانون على الفلسطينيين والإسرائيليين. وهذه الأنشطة متداخلة، وتشمل التواجد فى المنطقة والمبادرة بعمليات فى مناطق الاحتكاك، بهدف تقليل عدد الحوادث والحفاظ على النظام وفرض القانون".

"إن الإجراءات التى تتخذها الشرطة ضد منتهكى القانون من الفلسطينيين والإسرائيليين الذين يتعدون على ممتلكات ومحاصيل المزارعين من الجانبين يتم تنفيذها بغض النظر عن انتماء الطرف الآخر، بحيث يجرى التحقيق والتحريات فى أى شكوى بهدف استنفاذ التحقيقات والوصول إلى الحقيقة".

◆ ترجمات عبرية ◆



الذكرى الثلاثون لزيارة السادات إسرائيل

ما هى ثمار هذا السلام..؟

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٧/١١/١٦
بقلم: روعى مندل

كان الكثيرون يشعرون بالتشاؤم.. رفضوا تصديق ذلك.. وقد حذر رئيس الأركان "موطيه جور" من مؤامرة جديدة، من حصان طروادة يقفز من داخل الطائرة. لكن ذلك حدث فى مثل هذا الأسبوع قبل ثلاثين سنة: حيث هبط فى مطار بن جوريون الرجل ذو البيبة، مهندس الهجوم المباغت فى حرب يوم الغفران (حرب ٧٣) والخداع الذى سبقها، الزعيم الذى وعد بالحضور للقدس من أجل السلام - وأوفى بوعده.



يتذكر رئيس كتلة المعراخ المعارض آنذاك، موشيه شاحال، قائلاً: "شاهدت العالم المصرى على الطائرة ولم أصدق ذلك.. فجأة انفتح باب الطائرة، وهبط منها أنور السادات بنفسه.. كان هذا أمراً رائعاً.. صافحته وقلت له باللغة العربية إنه لشرف عظيم أن تزورنا فى زيارة حساسة للغاية.. فسألني: أين تعلمت اللغة العربية..؟ فقلت له إننى من مواليد العراق. وكان هذا لقاءاً خاصاً".

كانت مجموعة العمل المصرية، التى وصلت لإسرائيل من أجل التنسيق لزيارة الرئيس، قد سلمت شاحال طلباً صريحاً من الرئيس السادات للقاء جولدا مائير رئيسة الحكومة فى حرب يوم الغفران (حرب ٧٣). وقد تم استدعاؤها من الخارج للعودة لإسرائيل. بعدما أصرت على التأكد من أن هذه ليست مناورة.

ويتذكر شاحال قائلاً: "بعد الكلمة التى ألقاها فى الكنيست، حضر السادات لزيارة مقر كتلة المعراخ. علمنا أنه رُزق بحفيد فاشترينا له هدية وطلبنا من جولدا أن تقدمها له. وقد تأثر للغاية.. وفضلاً عن الترحاب الحافل، لم تنسَ جولدا أن تذكره بأنه اعتاد أن يطلق عليها لقب "السيدة العجوز".

وبالرجوع للوراء ثلاثين عاماً، يدرك شاحال مدى عظمة تلك اللحظة: "زعمت دائماً أنهم فى الشرق الأوسط يفعلون كل شيء. فالذهاب لخصمك هو مصالحة حقيقية، ولن يفعل ذلك شخص ينوى خداعك. صحيح أن حرب أكتوبر كانت تأشيرته للتوصل لاتفاق، إلا أنه كرجل مؤمن برسالته حاول أن يزف بشرى المصالحة بين الأديان الثلاث، حسبما ينص القرآن".

كما كان أورى أفنيرى ضمن أعضاء الكنيست المائة والعشرين الذين استمعوا لخطاب السادات فى الكنيست. وهو يرى أن هذه الزيارة "تشبه هبوط أول إنسان على سطح القمر من حيث الأهمية. لقد زعم رئيس الأركان أن هذه مؤامرة، لكننا جميعاً كنا ندرك أن حدثاً تاريخياً - لن يتكرر - يحدث هنا، عندما خرج السادات من الطائرة ووقف صامتاً".

ويتذكر أفنيرى الأجواء التى كانت سائدة آنذاك فى الشوارع بقوله: "الجميع هرول إليه.. الجمهور والكنيست

استجابوا له كالعذراء التى تستجيب لحبيبها الأول. فقد كان يتمتع بإغراء غير عادي، وكان إنسان حسن الطلعة ورائع، ترك انطباع بالأصالة، والتضامن والثقة. عندما قابلته، أخبرته إننى عندما شاهدته عبر شاشات التليفزيون وهو يغادر الطائرة، نظرت عبر النافذة حتى أشاهد من بالخارج، فلم أشاهد سوى قط وحيد فى الشارع.

ويحكى أفنيرى أن حضور السادات، أسقط سريعاً سور عدم الثقة القائم منذ أجيال: "لقد أدرك السادات أن ثلثا الصراع يتمثل فى العامل النفسي، والثلث الأخير يكمن فى المشاكل. فقد قام بخطوة حكيمة غير عادية عندما فك طلاسم الشفرة الوراثية اليهودية، وعن طريق خطوة لبناء الثقة نجح فى التغلب على مخاوف هى نتاج حرب طويلة".

❖ كالسكارى فى الكنيست:

كانت جيئولا كوهين آنذاك عضو كنيست عن حزب الليكود، ضمن الوفد الذى شكله بيجين لاستقبال الرئيس السادات فى المطار. لكنها رفضت المشاركة فى هذه الاحتفالية. وتحكى قائلة: "كان الناس كالسكارى، كأنهم احتسوا كل نبيذ العالم. لم أكن على استعداد للمشاركة فى التاريخ المسيحانى للسلام، الذى كان يسيطر على الكنيست. كنت أظن أنه من الأفضل الاستماع لعدوي، قبل منحه أى رصيد لديّ".

صحيح أن جيئولا كوهين صافحت الرئيس، إلا أنها حافظت على ضبط النفس. فقد رفضت التصفيق له عند دخوله مقر الكنيست: "كنت الوحيدة، كنت أظن أنه لو كان السادات هو المنقذ - فهو ليس منقذي. وكنت أعتقد أنه لو كنا سنجرى مفاوضات، يجب التروى وعدم إبداء حماسة. حينها لم أكن أعرف أنه تم الاتفاق مسبقاً خلال مباحثات "ديان - التهامي" فى المغرب على إعادة كل سيناء.

وتعترف كوهين، التى صوتت ضد اتفاقية السلام رغم كل ذلك، وكانت من كبار معارضى إخلاء مستعمرة ياميت بأن "هذه الزيارة أزالت كل الخوف الدائم على وجود اليهود. أعتقد أن السادات لم يعترف بحقنا كدولة يهودية، وإنما بحقيقة وجودنا هنا" هكذا أوضحت دون أن تخفى التقدير الذى كنته له: "كنت أتمنى أن يكون لدينا شخص مثله، شخص رائع متضامن، يجيد بحكمة متناهية الاهتمام بمصالح شعبه".

وعلى حد قولها، فإنها سمعت آنذاك من شمعون بيريس أن السادات أبلغه بأنه عندما شاهدها عبر شاشات التليفزيون، تأثر بالحماسة التى تظهر من عينيها. وتمنى أن يكون لديه برلمانيون مقاتلون مثلها: "قالوا لى إنه أطلق على لقب غادة".

❖ الزيارة التى أسفرت عن التنازل:

لم يحضر، موشيه آرنس، آنذاك عضو كنيست عن حزب الليكود، هذه الزيارة التاريخية - وهو يقول: "كنت فى مهمة بالخارج لحساب صندوق الجباية اليهودي، ولم أتمكن من العودة لإسرائيل. ولكن لا شك أن مجرد رؤية الرئيس المصرى عبر شاشات التليفزيون، وهو يهبط من الطائرة ويحظى باستقبال إسرائيلى حافل، ترك بداخلى انطباع كبير للغاية".

لم يشكك آرنس فى نوايا السادات للتوصل لسلام: "كنت أؤمن بأنه بعد هزيمته فى حرب يوم الغفران (حرب ٧٣)، فعل الصواب من أجل بلاده. فقد كان يرغب فى استعادة كل الأراضي، ووضع مصر على مسار العلاقات الجيدة مع الولايات المتحدة، وحصل منهم على مساعدات وأزاح عبء الحروب عن كاهل الاقتصاد المصري".

ويستطرد آرنس قائلاً: "كان إنسان ذو قدرات وكاريزما، ويبدو أنه كان ذكياً للغاية، طالما تمكن من دفعنا لهذا الانسحاب الكامل.. والاتفاق الذى تم التوصل إليه بعد الزيارة لا مثيل له فى تاريخ البشرية: إعادة كل الأراضى التى تم احتلالها خلال الحرب، التى بادر بها بنفسه..!! لم أكن أتوقع أن تؤدى هذه الزيارة إلى تنازل إسرائيلى كبير فى نهاية المطاف".

تمكن زلمان شوفال، وكان آنذاك عضو كنيست عن حزب الليكود هو الآخر، من العودة لإسرائيل بعد زيارة للأمم المتحدة فى اللحظة الأخيرة. وهو يقول: "كانت هذه شجاعة كبيرة من جانب زعيم اتخذ قراراً شجاعاً وحكيماً، والأدهى من ذلك - عقلانياً". لكنه لم يكن يرى كل شيء وردياً، حيث أضاف: "قبل الخطاب كانت مشاعرى منقسمة، والخطاب أكد مشاعري. فقد قال سلام ولا حرب أخرى، لكنها لم تكن - من وجهة نظرى - نهاية الجملة، عندما تحدث عن ضرورة إيجاد حل لمشكلات إسرائيل الأخرى مع جيرانها. ولم أستمع إلى كلمة غير مشروطة فى خطابه".

❖ عصر المسيح المخلص، والإحساس بالخيانة:

يقتنع أورى أفنيرى أنه فى نهاية المطاف لم يكن أمام الاتفاق، الذى هو ثمرة هذه الزيارة، فرصة للاستمرار بدون السمات التى كانت تميز هذين الزعيمين: "كان السادات إنسان عاطفى ودراماتيكى للغاية، وكان يقابله إنسان دراماتيكى جداً أيضاً هو بيجين، الذى كانت حياته كلها مسلسل درامي. فالطيور على أشكالها تقع". وأفنيرى متأكد من أن السادات لم يكن سيقوم بهذه الزيارة، لو لم يكن يدرك أنها ستؤدى للتوقيع على اتفاق يضمن انسحاب إسرائيلى كامل: "لم يكن إنسان سهل المراس، ولذا فلم يحضر إلا بعدما تأكد من أن هذا الأمر سيسفر عن ثمرة مطلوبة، وأن بيجين سيستجيب لهذا الطلب، كما لو أنها رقصة تانجو بين اثنين".

وفور انتهاء الزيارة، توجه أفنيرى لمصر.. ويقول عن ذلك: "وجدت القاهرة غارقة فى كرنفال قومي. كان هناك إحساس بأن عصر المسيح المخلص قد حان، وأن كل مشاكل الدولة تم حلها. غير أن السلام لم يقدم للشارع المصرى شيء، باستثناء الإحساس بخيانة الفلسطينيين. فهم يعتقدون أنهم بهذا الاتفاق خانوا ابن عمهم الفقير، وهو ما جعلهم منبوذون من قبل الأمة العربية". ويعتقد أفنيرى أن السادات أخطأ على المسار الفلسطيني: "كان متأكداً من صنع السلام معهم أيضاً، ولكنه لم يدرك أنهم فى إسرائيل لم يكونوا على استعداد لذلك". وهو يقول إنه رغم كل ذلك، فإن "هذا السلام البارد يوفر علينا آلاف الضحايا - وهو ما يساوى كل شيء".

عندما تم التوقيع على اتفاقية السلام، غمرت الأفراح إسرائيل. ولكن بين القادة، هناك من حاول الحفاظ على ضبط النفس. ويتذكر زلمان حديثه مع وزير الخارجية آنذاك بقول: "موشيه ديان دعانى وقال لى على انفراد: لن تسير الأمور كما يظنون .. سيكون هذا سلام بارد، ولكن أهم شيء أن الحرب ستتوقف".

يذكر موشيه شاحال أنه رغم العلاقات الباردة، إلا أن مصر أوفت بكلامها .. إلا أنه يعتقد أن الاتفاقية التاريخية، التى كانت ثمرة زيارة الرئيس المصرى لإسرائيل، تثير الإحساس بإضاعة فرصة ما: "فشلنا فى فهم الحضارة والعقلية (المصرية)، وقوينا لديهم الإحساس بأننا زرع شيطاني، يسمو على العرب. لم نخاطب أبداً الشعب المصرى على مستوى الإبداع المشترك أو المستوى الحضاري. فمصر ذات حضارة تعود إلى خمسة آلاف سنة، ونحن لازلنا نتعامل معهم بتعالي".

❖ يبحثون عن ثمار السلام:

يرى آرنس الأمور بصورة مختلفة. فمنذ البداية صوّت ضد "اتفاق الخنوع"، على حد وصفه آنذاك: "كنت أعتبر الاتفاقية مع أكبر وأخطر عدو هدفا مهماً. وكنت أعتقد أيضاً أنه ينبغى تقديم تنازلات فى سيناء، لكن ليس العودة للخط الذى كان قائماً قبل الغزو المصري. لم يكن ينبغى إعادة كل الأراضى التى فقدها الغازى (المصري) خلال الحرب".

وعلى حد قول آرنس فإن "اتفاقية السلام مع مصر أفرزت فكرة الأرض مقابل السلام - وهى الفكرة التى تطاردنا حتى وقتنا هذا. هذه اتفاقية موقعة ولا يجب التملص منها. فهى تحافظ على الهدوء على الحدود بيننا وبين المصريين، وهذا أمر مهم. لكن ماتزال هناك علامات استفهام: لو لم نتنازل عن كل الأراضي، هل كان الثمن هو الحرب مع مصر..؟ أعتقد أنه بعد حرب يوم الغفران (حرب ٧٣)، كان هناك شك فى استعدادهم (المصريين) لشن حرب جديدة". وتشاركه فى هذا الرأى جيئولا كوهين بقولها: "كان مناحم بيجين زعيم كبير، لكنه أخطأ عندما وقع على الاتفاقية. فالانسحاب من سيناء كان بمثابة سابقة خطيرة من حيث الثمن الذى دفعناه. وفى الحقيقة لا سلام بيننا وبين مصر، التى تواصل حربها على محور فيلاديلفى (ممر صلاح الدين)".

وقد رفض رجل الأعمال، ستيف فرتهايمر، آنذاك عضو كنيست عن كتلة "داش"، هذه الانتقادات: "كانت المشاعر آنذاك رائعة، وكان الجميع يتوقع أن تتقدم الأمور سريعاً.. حتى سور برلين سقط قبل عشرين عاماً. فالأمور تتغير فى العالم كثيراً بفضل إدراك الجميع بأن الحرب فى العالم هى حرب اقتصادية وليست حرب عسكرية .. حرب من أجل فرص العمل، وليس من أجل الأرض".

وعلى حد قول فرتهايمر فإننا "ننعم بالهدوء بفضل هذه الاتفاقية، كما عرفنا كيفية بناء اقتصاد سليم وتوفير فرص عمل. هذا الأمر غيَّر كل قواعد اللعبة فى العالم، ودفعنا إلى إدراك ضرورة العيش مع الأتراك، والفلسطينيين، واللبنانيين، والأردنيين. واليوم أيضاً ينبغى تقوية الجيش، ولكن بنفس القدر، ينبغى أن يدرك الجيش حدوده. خلاصة القول أننا نحرز تقدماً بفضل هذه الاتفاقية".

يتذكر شاحال نهاية محادثته مع السادات فى زيارة له بمصر، والتى تقض مضاجعه حتى الآن: "جلسنا فى حفل عشاء فخم، وكنا ندخن البايب، انتهزت هذه الفرصة وسألته عن سبب إبلاغه للزعيم الأسد وحده بأمر زيارته لإسرائيل. فضحك وأجاب: كان هذا مهم لأنه كان بمقدوره إفشالها وكذلك دعمها فى نفس الوقت. وحكى أنه دعا الرئيس السورى لمرافقته، وقال له الجولان فى جيبي، وحصل على مباركة الأسد. وما ندمت عليه أننى لم أتجرأ على سؤاله عن أسباب قوله بأن الجولان فى جيبه، ومازلت نادم على ذلك حتى وقتنا هذا" .. هكذا اختتم شاحال كلامه، الذى تمنى أن ينتظر الجيل الحالى من الإسرائيليين مسيرة كبيرة على غرار ما قام به السادات، ولكن هذه المرة على المسار السوري.

٣٠ سنة على زيارة السادات: الأمل، وخيبة الأمل

بقلم: نير يَهَف
المصدر: موقع WALLA
٢٠٠٧/١١/١٨

قبل ثلاثين سنة، فى الساعة التاسعة من مساء يوم السبت، الموافق التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧، حدث فى إسرائيل أحد الأحداث التى غيَّرت وجه الشرق الأوسط: حيث هبطت طائرة رئيس مصر، أكبر الدول العربية، فى مطار بن جوريون وخرج من داخلها الرئيس المصري، أنور السادات، بشحمه ولحمه. هذه الزيارة التاريخية من جانب أول زعيم عربى لإسرائيل أصابت الرأى العام الإسرائيلى بحالة تخبط. فالدولة بأسرها شاهدت الرئيس المصري، العدو اللدود لإسرائيل، يصافح رئيس الحكومة الإسرائيلى مناحم بيجين ثم يلقى كلمة فى الكنيست عن أهمية السلام. والجميع فرك عينيه من هول المشهد.



بعد عامين، فى مارس ١٩٧٩، وقَّعت إسرائيل ومصر على اتفاقية سلام فى البيت الأبيض. وأخلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء وسلمتها للمصريين. وقد لاقت الاتفاقية قبولاً وترحاباً من جانب الجمهور والكنيست: حيث أيَّدها ٩٥ عضو كنيست، مقابل معارضة ١٨ عضو. ومن الناحية العسكرية، كانت هذه الاتفاقية إنجازاً كبيراً لأنها أنهت حالة الحرب بين العدوين اللدودين ومهدت الطريق للسلام بين إسرائيل والعالم العربي. ورغم الحرص الشديد على الاتفاقية، وقعت بعض الأزمات: فقد أعادت مصر سفيرها احتجاجاً على حرب لبنان الأولى عام ١٩٨٢ وعلى اندلاع انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ .

يقول السفير الإسرائيلى السابق لدى مصر، تسفى مازئيل، إن "الأهم هو وجود سلام.. فهذا هو أهم شيء لأنه لم تقع حرب منذ ٢٨ سنة، مما وفر علينا الكثير من الضحايا".

وفى حديث مع موقع walla، ذكر مازئيل أنه يعتقد أنه بلا اتفاقية السلام مع مصر لم يكن سيتم توقيع اتفاق أوسلو واتفاقية السلام مع الأردن. ويقول مازئيل: "السلام مع مصر أسهم فى حدوث تغيرات نفسية فى المنطقة بأسرها، رغم أنه أفرز معارضات شديدة. فعلى سبيل المثال، طرد العالم العربى مصر من الجامعة العربية ونقل مقرها من القاهرة لتونس. كما أعتقد أن لغة الخطاب تغيرت أيضاً، حيث بدأت الدول العربية فى إطلاق كلمة "إسرائيل" على دولتنا وليس "الكيان الصهيوني".

❖ "السلام لم يتحول لعامل جذب":

ولكن فى الوقت نفسه، ١٩٩٦ حتى ٢٠٠١، بخيبة أمل من مصر التى لم تظهِّر للعالم أنه يمكن العيش فى سلام تام مع إسرائيل. وهو يقول: "يزعم المصريون أن ذلك يعزو لعدم حل الصراع الإسرائيلى - الفلسطيني، غير أن السؤال الرئيسى هو عما إذا كانت مصر قد فعلت كل ما فى وسعها من أجل تقريب المسافات بين إسرائيل والفلسطينيين أم لا. صحيح أن مصر كانت نشطة فى الاتصالات بين إسرائيل والفلسطينيين لسنوات طويلة، إلا أنها لم تقدم نمو و ازدهار علاقات السلام داخل مصر وكذلك بهدف تحسين العلاقات الثقافية، والعلمية والرياضية (يقصد التطبيع)".

ويضيف مازئيل فى أسى: "ما تزال هناك آراء مسبقة حول اليهود فى العالم العربي. هذه الآراء تنبع من القرآن، ومن الجهل بتاريخ شعب إسرائيل، ومن وسائل الإعلام العربية التى تسهم فى عرض إسرائيل بصورة سلبية". وعلى حد قوله، فإن الأمر لا يختلف كثيراً فى مصر، فهى إحدى الدول التى تعتبر وسائل إعلامها من أكبر المحرضين والمسيئين لإسرائيل: "هذا وضع شائك ومعقد للغاية. فمن جهة، لا تريد مصر الحرب، ومن جهة أخرى، لم يتحول هذا السلام إلى عامل جذب لكل العالم العربي، رغم أنه كان بالإمكان فعل ذلك. لا يجب على مصر أن تهين إسرائيل بلا توقف حتى تثبت علاقاتها بالفلسطينيين".

رغم كل الانتقادات وخيبة الأمل، إلا أن مازئيل يتوقع مستقبل واعد من السلام بين البلدين. وهو يقول: "لا أتوقع أن تقوم مصر بانتهاك اتفاقية السلام، بالتأكيد لا مبارك ولا مقربوه.. فهذه دولة مستقرة، والمعارضة المصرية فشلت كثيراً لأنها لا تنجح فى حشد الرأى العام. وإذا كان هناك تقدم بطئ على مسار التجارة بين إسرائيل ومصر. فالأهم أن هناك سلام ويجب الحفاظ عليه قدر الإمكان".

أعراض الحماقة الإسرائيلية

معاريف ٢٠٠٧/١١/١٩
بقلم: جاكى حوجي

قبل ثلاثين عاماً تحديداً، فى التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧، وصل الرئيس المصرى أنور السادات، فى زيارة تاريخية للقدس. كانت أول زيارة لزعيم دولة عربية لإسرائيل. وتعتبر زيارته والمفاوضات التى تلتها من أهم الأحداث فى تاريخ الدولة الشابة. فقد حصل السادات على سيناء وفى المقابل وقع على اتفاقية سلام. وبهذا العمل حطم السادات المقاطعة العربية المفروضة على إسرائيل، وأعلن للمرة الأولى عن حقها فى الوجود عملياً.

غير أن السادات، الذى اغتيل بعد أربع سنوات من هذه الزيارة، أوضح لإسرائيل حقائق مؤلمة من أهمها أنها لا تدرك سوى لغة القوة .. وهذه الحقيقة ثبتت صحتها فيما بعد على أيدى الفلسطينيين، الذين لولا الانتفاضة لما كانت إسرائيل ستوقع معهم على اتفاقات أوسلو. كما آكدها حزب الله، الذى لم يكن سيحظى بالانسحاب من لبنان (وبلا مقابل) بدون نضاله المرير ضد الجيش الإسرائيلي.

لقد أفرزت العقود الثلاثة التى مرت على زيارة السادات للقدس عدة حقائق يصعب استيعابها، منها مثلاً أن إسرائيل انتصرت فى يوم الغفران (حرب ٧٣) بالمقاييس العسكرية، وكبدت العدو خسائر فادحة ثلاثة أضعاف وظلت محتفظة بسيناء، لكنها "خسرتها" فيما بعد فى مفاوضات سياسية.

كما انتصرت إسرائيل أيضاً فى حرب ١٩٦٧، لكنها خسرت قدرتها على المعرفة.. وفى حرب لبنان (الأولى) هزمت منظمة التحرير الفلسطينية، لكنها غرقت فى الوحل هناك. وفى حرب لبنان الثانية، التى تمخضت عن الحرب السابقة، ضربت حزب الله، ولكنها سمحت له بالبقاء وبتنامى قوته.

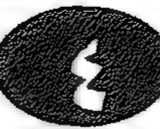
❖ الأسد هو سادات اليوم:

هناك استنتاج غير لطيف، ولكنه واقعي، مفاده أنه طالما أن إسرائيل عندما تفوز تخسر، فيحظر عليها شن حرب أخرى، حتى لا تنزل هزيمة بأبنائها وشعبها. فمنذ حرب قادش (حرب ٥٦)، التى شارك فيها الجيش الإسرائيلى بجوار الجيشين الفرنسى والإنجليزي، لم تحقق إسرائيل أى مكاسب سياسية خالصة، بفضل قوتها العسكرية. حتى انتصاراتها السياسية، وفى مقدمتها السلام مع مصر، كانت مفروضة عليها.

هذه الحقيقة المؤلمة يجب ألا نغفلها الآن ونحن نعلن اعتزامنا شن الحرب على إيران، وعلى سوريا تحديداً... هناك أوجه شبه كبيرة بين السادات فى عام ١٩٧٧ وبشار الأسد فى عام ٢٠٠٧ . فالسادات أيضاً تعرض آنذاك للإدانة الشديدة من جانب الإسرائيليين والأمريكيين، الذين فشلوا فى إجادة قراءته، حيث قالوا إنه أحمق، ومتلعثم وكانوا يسخرون من أسلوبه فى الحديث، واتهموه بأنه لا يتمتع بشخصية مثل سابقه جمال عبد الناصر.

لقد عرض السادات السلام ولكنه قوبل برفض مهين، كما هو حال الأسد الآن. والرفض كان معناه إعلان الحرب. وكان آنذاك فى مكانة عسكرية متدنية، وكانت إسرائيل تحظى بتأييد أمريكى ودولي. كان السادات - شأنه شأن الأسد الآن - يرغب فى السلام، لكنه حذر من أنه لو لم تتم إعادة الأرض السليبة عن طريق المفاوضات، فلا مفر من استخدام القوة.

وما اعتبره العرب فى عام ١٩٧٧ خيانة، أصبح اليوم إنجازاً.. فكل الدول العربية ترغب فى السلام مع إسرائيل. وبعضها توصل لسلام معها فعلاً، والبعض الآخر فى حاجة لمقابل قبل القيام بذلك، وهناك مجموعة ثالثة تقيم علاقات معها فى الخفاء... ولكن ماذا تغير لدينا خلال ثلاثين عاماً، منذ زيارة السادات الكبيرة للقدس..؟ يبدو أنه لم تتغير أمور كثيرة.

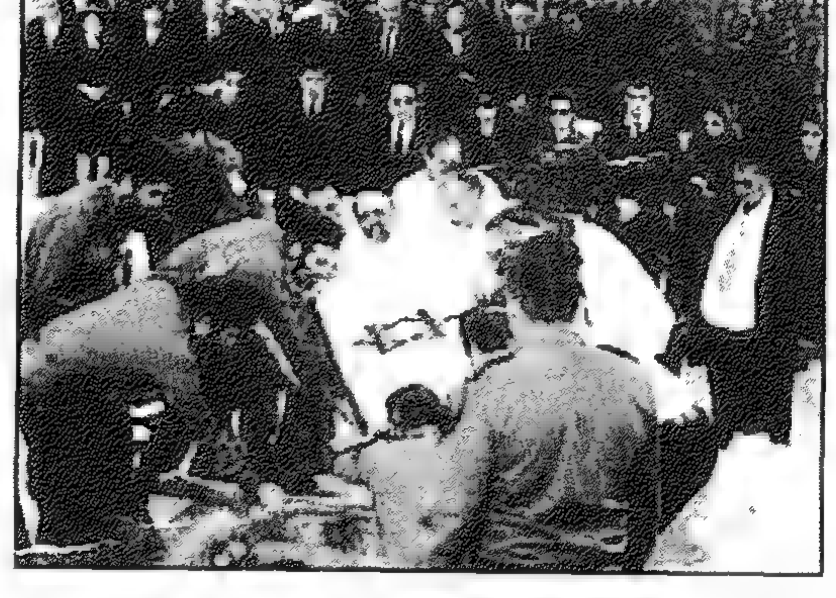


ذكرى اغتيال رابين

ليئا.. إنهم لن ينسوا

بقلم: تالى ليبكين شاحاك
معاريف ٢٠٠٧/١١/٤

لحظة الهدوء هذه، أمام الشاشات الباكية على حياته ومماته، تعود بك فى كل عام إلى ليلة اغتياله. إلى تلك الليلة التى كان يملئها الأمل البعيد والانكسار الشديد. نسترجعها ونتألم. ونحن نشعر بالألم هذا العام مثل كل عام، ولكن هذه المرة أكثر قليلاً. نشعر بالألم على الوقت الذى مضى ولم يجلب أى بشرى، ولم نجد أى تحسن (تقصد تحسن فى الوضع السياسى وتحديداً على مستوى السلام مع الفلسطينيين)، ولم تظهر زعامة ولم يطرأ أى تغيير.



لقد ملأ أمس الغضب والإهانة ميدان تل أبيب، والشوارع التى تؤدى إليها والأزقة المحيطة بها. وقد قلت لنفسى، وكأننى أتحدث إلى ليئا رابين، حينما كانت الساعة تقترب من الثامنة والساحة ممتلئة عن آخرها: "يا ليئا.. إنهم لم ينسوه. لقد حضر ذلك الجمع الغفير لإحياء الذكرى".

لقد مرت اثنا عشر عاماً منذ أن سأل إسحاق: "أين ليئة..؟" واتجه إلى مثواه الأخير، وقد مات الأمل. منذ ١١ عاماً، ونحن نأتى إلى الميدان فى مساء يوم السبت الذى يذكرنا بليلة الاغتيال، كما لو أننا نرغب فى إعادة تلك الليلة إلى الحياة، حتى يعد إلينا إسحاق مرة أخرى.

◆ يواصلون الحضور:

إننا نخشى منذ ١١ عاماً - بالضبط مثلما كان يخشى إسحاق فى هذه الليلة - من عدم حضور جمع غفير إلى الميدان. ونناضل منذ ١١ عاماً، نضال لا يتوقف من مسيرة إلى أخرى، من أجل حقنا فى إحياء الذكرى وعدم المغفرة (تقصد عدم المغفرة لقاتل رابين الذى اغتال حلم السلام)، والسعى لتحقيق رؤية رابين المليئة بالأمل.

كان يمكن رؤية بصيص من الأمل فى المسيرة التى أجريت ليلة أمس. فمن الشرفة التى تطل على الساحة، يبدو أن الجمع الغفير مثل هالة ضوء كبيرة داخل الظلام. وهذا هو المشهد الأخير الذى رأته أعين إسحاق قبل أن تغمض. وهذه هى الصورة التى التقطت مع آخر دقة لقلبه.

لم يكن هاماً ما قيل هناك، رغم أن خطاب يوفال رابين نجح فى إسكات حتى هؤلاء المحتشدين فى المقصورة التى تعج بالأصدقاء والساسة من معسكر محبى السلام ومحبى المجتمع الذين يحرصون على المجيء. ولم يكن هاماً إلى هذا الحد ما أنشدوه هناك. كما لم يكن هاماً إن كان بيرتس صافح أو لم يصافح إيهود، أو حتى غياب عدد من الوزراء والشخصيات رفيعة المستوى.

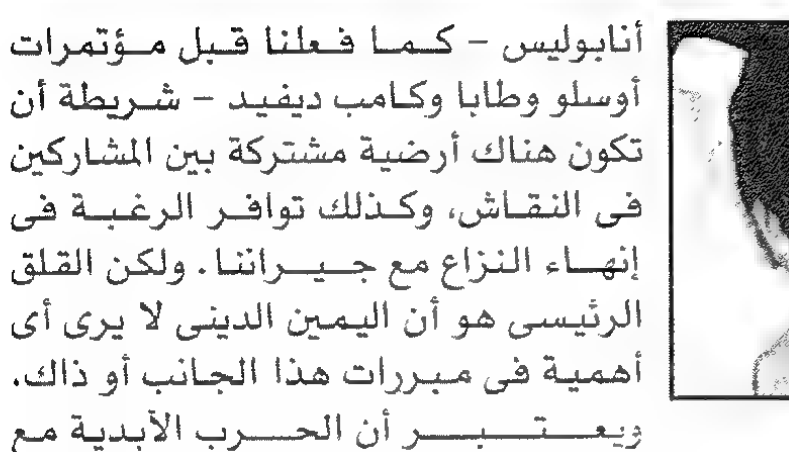
كانت الجماهير الغفيرة فى حد ذاتها هى الرسالة، والميدان الممتلئ عن آخره يثبت أن أى مراسم حفل بلوغ سن التكليف حقيرة وأى مناورة دنيئة أخرى (فى إشارة إلى مطالبة أنصار اليمين المتطرف الإسرائيلى بخروج قاتل رابين "يجئال عامير" من السجن لحضور حفل بلوغ ابنه سن التكليف)، لن تثنى الجمهور عن الحضور عشية ليلة الاغتيال، وأن الجمهور لن ينسى هذا الرجل ولا الأمل الذى بثه فى نفوسهم.

وعندما عثرنا على طريق بين الجمع الغفير للعودة إلى المنزل، واكتظت الطرق بأمواج البشر، قلت فى قلبى: "إنهم لن ينسوه يا ليئا.. لقد حضروا وسيواصلون الحضور".

الآلاف من أبناء يجئال عامير يعيشون بيننا

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/١١/٦

ليس من قبيل الصدفة أن يقف مركز رابين لدراسات إسرائيل مهجوراً، بينما يهتف المشجعون فى ملاعب كرة القدم مهللين للقاتل ومزدرين القتيل. ينبغى البحث عن تركة رابين الحقيقية فى ملاعب كرة القدم، وفى المدارس، وفى البؤر الاستيطانية، وفى المعاهد الدينية، بين العلمانيين والمتدينين والتقليديين، وفى كل مكان فى الدولة، التى أوضحت نتائج استطلاعات الرأى فيها مؤخراً أن ٣٨٪ من الجمهور الدينى يعتبرون يجئال عامير بطلا قومياً.



إن تركة رابين أصبحت فى الحقيقة تركة معادية لرابين ذاته. وفى الوقت الحالي، بينما تستعد إسرائيل للمحادثات مع الفلسطينيين، ستتطور التركة لتصبح تركة معادية لأولمرت.

لقد كانت المسيرة الحاشدة فى ميدان رابين بمثابة احتجاج على يجئال عامير ومركزه الآخذ فى التحسن فى المجتمع. وقد أدى الانشغال بمسألة ختان ابنه إلى صرف الأنظار بشكل مؤسف عن القضية الأساسية، وهى أن المشكلة ليست فى الابن البيولوجى ليجئال، وإنما فى أبنائه الروحيين الذين يعيش الآلاف منهم بيننا، والذين سيتزايد صوتهم قوة كلما اقترب موعد مؤتمر أنابوليس الدولي. معظمهم سيكتفون بالصلاة أملاً فى فشل المحادثات، وأقلية منهم قد يلجأون إلى العنف بعد أن استمدوا التشجيع من نجاح يجئال.

إن انشغال وسائل الإعلام بالقاتل وتجاهلها للتركة التى يخلفها وراءه يصرف أنظار الجمهور عن رؤية الخطر الحقيقي.

لا جدوى من الديموقراطية مع أولئك الذين يزدرونها، والذين يعتبرون أرض إسرائيل الكاملة أكثر أهمية منها. ولكن هذا لا يعنى أنه لا يوجد أى مجال للجدل بين اليمين واليسار. فالحكمة بالتأكيد ليست مع هذا الجانب أو ذاك. يتعين علينا أن نتجادل حول مؤتمر أنابوليس - كما فعلنا قبل مؤتمرات أوسلو وطابا وكامب ديفيد - شريطة أن تكون هناك أرضية مشتركة بين المشاركين فى النقاش، وكذلك توافر الرغبة فى إنهاء النزاع مع جيراننا. ولكن القلق الرئيسى هو أن اليمين الدينى لا يرى أى أهمية فى مبررات هذا الجانب أو ذاك. ويعتبر أن الحرب الأبدية مع الفلسطينيين أفضل من التخلى عن أجزاء من أرض الوطن. وهذا هو مصدر الاعتقاد بأنه لا توجد لأى زعيم الصلاحية والسلطة لتقديم تنازلات أثناء المفاوضات، مهما تكن الأغلبية التى تؤيده فى الكنيست، وبأن من يفعل ذلك ويقدم تنازلات يعتبر خائناً.

وإذا نجحت محادثات أنابوليس وتمخض عنها اتفاق، سيحتاج إيهود أولمرت إلى دعم جماهيرى قوى للوقوف فى وجه الطوفان. من المؤسف حقا إضاعة الوقت فى العلاقات الزوجية ليجئال عامير. الجمهور الحزين يجب أن يخوض نضالا سياسيا من أجل مواصلة طريق رابين، بدلا من الانشغال بالألحان الحزينة. ومن هذا المنظور، فإن هذه المسيرة كانت من العلامات المشجعة، ولا يمكن اعتبارها مسيرة غير سياسية بعد أن تطرقت اللافتات التى رُفِعت فيها والأشخاص الذين تحدثوا خلالها، إلى مؤتمر أنابوليس والحاجة إلى التوصل لاتفاق.

نأمل أن يعبر الجمهور الذى يؤمن بتقسيم الأرض بين شعبين عن نفسه. وإزاء البكاء والنواح الذى يصدر عن الحاخامات، وإزاء الصلاة من أجل سلامة أرض إسرائيل، يجب على المعسكر الآخر أن يثبت أنه موجود على قيد الحياة.

اغتيال رابين أثبت أنه مع الغوغائية والعنف، من السهل تقويض شرعية الحكومة المنتخبة، حتى لو كانت لقراراتها أغلبية فى الكنيست. هتافات مشجعى فريق بيتار يروشاليم على ملعب كرة القدم هى أولى علامات التحذير من الرعب المنتظر على الطريق.

اللافتات التى يضعها أولمرت

هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٦
بقلم: عوزى بنزيمان

مثل الحمار الذى مات جوعاً بسبب حيرته من اختيار أى من كومتى العلف الموضوعتين أمامه، كذلك أيضاً المجتمع الإسرائيلى لم يعرف، على مدى ١٢ عاماً، ما الدرس الذى يمكن أن يستفيده من اغتيال رابين، وفى النهاية وجد نفسه يكافح من أجل حق الاحتفال بإحياء ذكراه فى الذكرى السنوية لاغتياله.

وقد كانت هناك رسالتان أساسيتان يمكن توجيههما لإجمالى الجمهور بعد الاغتيال: أولاً، إلحاق وصمة عار أبدية بمن يتطاول على شخصية عامة فقط، خاصة إذا كانت تسعى إلى تحقيق السلام مع أعداء الدولة.. وثانياً، استيعاب الخطاب الديموقراطى الذى تُحَل من خلاله الخلافات القومية ومنع الجميع من استخدام العنف فى التعامل مع هذا الأمر.

لم يتم استغلال هاتين الرسالتين، وبدلاً منهما اختارت الدولة التركيز على القتيل وتمجيده (يقصد أن الدولة ركزت على الشكل دون المضمون)، ووصلت فى هذا السياق إلى حدود غير منطقية بحثت فيها بدأب عن "تراثه".. وقد ظهر ثمن هذا الخطأ فى الشكل الذى تمت من خلاله تدريس عملية الاغتيال فى المدارس (ولاسيما تذكر محطات فى حياة رابين الراحل)، مع تزايد مواقع التخليد التى شُيدت لذكراه، والتى بدت علاقتهم به خارجية فقط.. والأخطر من ذلك، ما حدث مؤخراً من صيحات الاستهجان التى أطلقها مشجعو بيتار القدس، وفى المنشورات المخزية التى تحمل صورة الرئيس شمعون بيريس يرتدى كوفية (يقصد الكوفية الفلسطينية الشهيرة) والتى تم تعليقها مؤخرا فى القدس، وفى التهديدات الضمنية الموجهة لرئيس الوزراء إيهود أولمرت، التى تكررت بعد خطابه الذى ألقاه فى منتدى سابان منذ أربعة أيام.

لقد ارتبط أولمرت بطريق السلام، الذى اتبعه رابين، من خلال بعض الإشارات أو العلامات العلنية، التى يُعد أبرزها الخطاب الذى ألقاه فور انتخابه رئيسا للوزراء، والذى أضيف كملحق للخطوط الأساسية لحكومته، والأقوال التى ذكرها على قبر دافيد بن جوريون، والخطاب السياسى الذى ألقاه هذا الأسبوع فى منتدى سابان. ومن خطاب لآخر يُظهر رئيس الوزراء مدى التزامه بمسيرة السلام مع الفلسطينيين، خاصة أنه يؤكد مرارا وتكرارا على هذا الالتزام.

إن أولمرت ٢٠٠٧ غير أولمرت، راع فريق بيتار القدس عام ٢٠٠٠، والذى شن آنذاك هجوما شديدا على رئيس الوزراء إيهود باراك، بسبب الاستعداد الذى أبداه لتقسيم القدس، أثناء لقائه مع ياسر عرفات فى كامب ديفيد (٢). ورغم أنه فى العام الثانى من رئاسته للوزراء يعانى من آثار إخفاقات حرب لبنان الثانية، ومن اعتلاء حماس لسدة الحكم فى غزة، ومن مصائب أخرى، فإن أولمرت مازال يتنافس مع يوسى بيلين حول مَنْ منهما أكثر بلاغة.. ففى خطابه منذ أربعة أيام، أكد أنه حان الوقت للتوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين، لأن لديهم الآن قادة يلتزمون بكافة الاتفاقيات التى وُقعت مع دولة إسرائيل". وقد تحدث عن مؤتمر أنابوليس وكأنه "فرصة ينبغى انتهازها" لأنه، حسب قوله، "أصبح لدينا الآن شريك ولسنا على استعداد لتأجيل المفاوضات لموعد ربما يصبح فيه الشريك غير قادر على تأدية المهمة". وقد أوضح أنه لن يتخلى عن الوفاء بواجباته حتى آخرها، رغم أنه مدرك جيدا أن بعضها غير مريح والبعض الآخر سيخلق مشاكل سياسية غير قليلة. كما وضع جدولا زمنيا لتحقيق إنجازات فعلية فى المفاوضات مع الفلسطينيين، ربما أيضاً قبل انتهاء فترة ولاية الرئيس بوش.

ربما هناك ما يبرر التشكك فى تصريحات أولمرت المهمة، فمن المحتمل أنها ليست إلا نوتة موسيقية مدونة بآمال محمود عباس أبو مازن وكونداليزا رايس، وتهدف إلى التخفيف من وطأة السفر إلى أنابوليس، ومن المحتمل أنها تظهر مدى براعة المحامى أولمرت فى كتابة نصوص الخطابات.

على أية حال، يستطيع أولمرت التعلق برموز سياسية سابقة إذا أراد العدول عن تصريحاته، على غرار ليفى أشكول الذى ابتكر المقولة الخالدة "لقد قطعت وعدا، ولكنى لم أعد بتنفيذ ما وعدت به"، ويتسحاق شامير الذى أجاز الغش، عندما قال: "مسموح بالكذب من أجل مصلحة الدولة".

إلا أن الكلمات ليس مجرد تلاوات أو نصوص قانونية، تحتمل التحليلات المتناقضة. فالكلمات تعبر أيضاً عما يجيش به القلب. فالكلمات تصنع آمالا وتسيطر على الحالة المزاجية. لقد صنعت الشعوب ثورات بقوة الكلمات. ورئيس الوزراء أولمرت يضع على مدى عام ونصف العام لافتات بارزة ترشد إلى طريق سياسى يهدف إلى التوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين. وسيصنع من نفسه أضحوكة إذا تجاهلها - مع الوضع فى الاعتبار أن أولمرت هو شخص يتعامل مع نفسه بجدية بالغة.

نحن نجلس بين الرعاع

هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٨
بقلم: يوسى ساريد

كل ما يحدث هنا يفاجئهم: حروب، انتفاضات، فجوة اجتماعية غير معهودة، فقر لا مثيل له، جهل لا شبيه له – مفاجأة تلو الأخرى.. وهاهى مفاجأة جديدة هذا الأسبوع: مشجعو فريق بيتار يروشلايم يسبون القتيل ويمتدحون القاتل (يقصد قيام مشجعى الفريق أثناء الوقوف دقيقة حداداً على روح الراحل إسحاق رابين بإطلاق صافرات تحقير وإهانة لرابين). والمفاجأة أنهم ليسوا حفنة وإنما مجموعة كبيرة، تمثل جزءاً كبيراً من الجمهور.. لقد سمعنا الأصوات بأنفسنا.

هناك قاسم مشترك بين كل هذه المفاجآت. إن ما حدث غير مفاجئ على الإطلاق، بل على العكس، كان متوقعاً، وإن لم يحدث فتلك هى المفاجأة. فقد أظهر هؤلاء الرعاع فى السابق قدراتهم: الاعتداء على مشجعين من فرق أخرى، تعريض حياتهم للخطر، ولا أحد يتحرك فى عالم كرة القدم كالعادة، حيث من المهم استمرار المباراة.. والاعتداء الآثم من جانب هؤلاء الرعاع هو بمثابة اعتداء إرهابي، الغاية منه واحدة: إشاعة الخوف الجماعي.. وهو ما حدث.

يوم أسود كان ينتظر كل لاعب أفريقي، يهودى وغير يهودي، فى الإستاد، فمن القدس خرجت نظرية العرق، ووصلت الهتافات آنذاك حتى السماء السابعة، لكن رب الرعاع أصم أيضاً. ثم سبوا العرب ونبيهم محمد: "لن تطأ قدم لاعب عربى أرض إستاد تيدي" هذا ما قالوه. حتى إن تيدى (رئيس بلدية القدس فى السابق) أصبح يتقلب فى قبره وطلب إزالة اسمه من على هذا الإستاد الملعون.

فى الأيام الخوالي، التزم المشجع إيهود، قبل أن يصبح رئيس حكومة "ملتزم بتراث رابين"، بالصمت.. وحينها صمت أيضاً بيبى نتنياهو وروني ودان وروبي، ناهيك عن المشجع أفيجدور ليبرمان، لقد واصلوا الجلوس فى المقصورة الرئيسية فى صمت.

لا يعتبر فريق بيتار هو الفريق الوحيد الذى يجذب خلفه جماهير غفيرة وحقيرة فى خدمة التوراة وإدارة النادي.. ولكن رغم ذلك "فلا مثيل لفريق بيتار" من حيث الرياح المسممة التى تهب من داخله. كنت أريد سماع تعليق رئيس النادي، الملياردير الروسى "أركادى جايدماك"، لو كان يمتلك فريقاً فى روسيا، وقام مشجعوه بالتحقير من شأن الرئيس الروسى فلاديمير بوتين فى حياته أو فى مماته.

يجب الاعتراف بأن كونك مشجعاً لفريق كرة قدم، فى حين لا توجد كرة قدم، ينطوى على شيء غامض.. يضم مشجعو فريق بيتار ممثلين عن الصفوة المدحورة، أطفال طيبين من القدس تبدو علامات الشيب على وجوههم. وهم يقولون إننا متسعو الأفق، مفكرون وليبراليون، مدرسون بالجامعات وإعلاميون، ولا تعتبروننا يساريين منفصلين عن الواقع. ومن ثم، فنحن نجلس وسط هؤلاء الرعاع فى مقصورة المشاغبين، وهذا دليل على عدم سمونا.

ربما لا يوجد هنا سمو، لست واثقاً من ذلك، ولكن هناك المزيد من الاستخفاف والنفاق. لقد قرأت فى صحيفة معاريف أن أمنون دنكنر (رجل أعمال إسرائيلى شهير) هو الوحيد الذى ارتدى "برقع الحياء".. فهل سيواصل الباقون الخجل..؟!. الوحيد الذى لا يخاف هو دافيد جروسمان (أديب إسرائيلى فقد ابنه فى حرب لبنان الثانية ورفض مصافحة أولمرت مؤخراً، حينما كان يتسلم جائزة إسرائيلية)، لذا، مازال له مكان خال فى القلب.

٥

التعليم فى إسرائيل

فلتنزل من على الشجرة

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/١٠/٢٩

يدخل إضراب المدرسين اليوم يومه السابع عشر دون أن يكون هناك حل يلوح فى الأفق. ناقشت الحكومة الموضوع فى جلستها أمس، وأهاب رئيس الحكومة، "إيهود أولمرت" بمدرسى المراحل فوق الابتدائية وقف الإضراب والدخول فى مفاوضات، بغية التوصل إلى اتفاق إصلاح مماثل لذلك الذى تم توقيعه مع المدرسين فى المدارس الابتدائية.

جديرٌ بالذكر أن الإصلاح فى المدارس الابتدائى حسَّن بشكل ملحوظ من أجور المعلمين، فقد ارتفع الأجر الأساسى لمدرس مبتدئ فى المرحلة الابتدائية من نحو ٢٨٠٠ شيكل إلى ٥٣٠٠ شيكل فى الشهر، فيما يحصل باقى المدرسين على زيادة بمعدل ٣٣٪ فى المتوسط.

لكن "ران إيرز"، رئيس نقابة المدرسين، ليس مستعداً للتوقيع على اتفاق إصلاح مماثل. "حتى لو حقنونى برصاص مغلى فى الوريد" هكذا قال.. فلن يوقع على اتفاق سيىء مثل الذى وقع عليه "يوسى فاسرمان" باسم مدرسى المرحلة الابتدائية. يريد "ران إيرز" البرهنة على أنه زعيم أفضل وأقوى من "فاسرمان". الرغبة فى الانتصار على "فاسرمان" تدفعه إلى مواقف متطرفة وغير منطقية، ولكنه لا يريد أن يفهم أن الحكومة لا تستطيع إعطاءه قرشاً واحداً زائداً عما أعطته لـ"فرسمان".

لا تستطيع الحكومة الخنوع لـ"ران إيرز". خاصة بعد تهديدات المحاضرين المضربين فى الجامعات أيضاً، لأنهم فى هذه الحالة لن يكونوا على استعداد للحصول على أقل مما حصل عليه "إيرز" - إذا لم تكن الزيادة التى سيحصل عليها مقرونة بإصلاح وبزيادة فى عدد ساعات العمل. أى أن الخنوع لـ"إيرز" معناه انزلاق تام فى فخ الاضرابات الطويلة وهو ما يعنى فى الوقت نفسه إضراراً بالاقتصاد القومي، لأنه يساوى على الطرف الآخر من المعادلة زيادات فى الميزانية - وهذا ما ينبغى منعه.

لقد دعا كثير من أعضاء الكنيست، من اليمين واليسار، رئيس الحكومة إلى الانغماس المباشر فى الموضوع والتدخل فى الأزمة. يقول "إيرز" أيضاً إنه طالما لم يتلق أية التفاتة من "أولمرت"، فإنه لا توجد فرصة لحل.. والحقيقة، قد يبدو هذا منطقياً للوهلة الأولى، لكن تدخلاً كهذا فى واقع الأمر سيجعل من وزيرى التعليم والمالية لا لزوم لهما، لأن الجميع سيفهم أنه لا ينبغى التحدث معهما فى أى موضوع مهما يكن، وإنما ينبغى اللجوء دائماً إلى "أولمرت". ولكن، رغم ذلك، "إيرز" وأعضاء الكنيست "الطيبين" مازالوا يسعون إلى أن يستسلم "أولمرت" ويستجيب لمطالب "إيرز"، التى هى فى النهاية مطالب ستتسبب دون شك فى أزمة عامة فى الأجور وبالتالى فى الميزانية.

إن موقف "أولمرت" على وجه التحديد هو الصائب. لقد قال فى جلسة الحكومة إنه يساند وزيريه المبجلين، وأنه يعتزم ترك معالجة الموضوع لهما.

صحيح أن ثمة وفقا فى الحكومة، ولدى الجمهور أيضاً، بأن مدرسى المرحلة الثانوية يستحقون زيادة فى الأجر، لأن أجورهم متدنية مقارنة بأهمية عملهم، لكن ينبغى على "إيرز" أن ينزل من فوق الشجرة العالية التى تسلقها، وأن يدرك بأنه لن يستطيع الحصول على ما هو أكثر مما حصل عليه "فاسرمان".

لقد وقع رئيس الهستدروت "عوفر عينى" على اتفاق أجور قطرى بعد يوم واحد من الإضراب التحذيري. ووافق "يوسى فاسرمان" على اتفاق الإصلاح بدون إضراب على

الإطلاق. إنما "ران إيرز" وحده هو الذى يرفض الحصول على المليارات التى تنتظره فى خزانة الدولة ويعطل التلاميذ عن الدراسة منذ أكثر من أسبوعين.

إن "إيرز" زعيم من الجيل القديم، الذى يستهويه الكفاح، والإضرابات والكلام الحماسي.. مدرسو المرحلة الثانوية يستحقون زعيماً أكثر احتراماً.

من أجل التعليم اللائق

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/١١/٥

واجه المدرسون المتظاهرون منذ أكثر من ثلاثة أسابيع فى مفترقات الطرق الرئيسية فى أنحاء البلاد والذين يحتجون على وضع التعليم - واجهوا ظاهرة جديدة فى الفترة الأخيرة، ألا وهى انضمام أولياء أمور وطلاب وغيرهم كثيرون إليهم، والإعراب عن التضامن معهم.

صحيح أن بداية الاحتجاج كانت فى الإضراب الذي اندلع فى العاشر من أكتوبر، إلا أنه يشمل الآن جمهوراً غفيراً ومتنوعاً. حتى الآن شارك آلاف عديدة فى عمليات الاحتجاج، التى لم تعد تتركز فقط فى التظاهر ضد سياسة الحكومة فى التعليم، وإنما تأخذ طابع النقاش المعمق حول وضع الهيئة التعليمية ووضع المدرسين فى إسرائيل.

يبرز الأمر بوجه خاص فى المخيم الذى أقيم في "حديقة الورود" أمام الكنيست، والذى يتركز فيه جانباً كبيراً من الاحتجاج فى القدس. يملأ مدرسون المخيم بالتناوب، حيث يلقون دروساً حول التضامن العمالى والمواطنة، ويجرون نقاشات واعية حول التعليم.. صحيح أن الأمر يتعلق بنتيجة جانبية للوهلة الأولى للإضراب، لكنها فى حقيقة الأمر مهمة للغاية: فهذه هى المرة الأولى، منذ فترة كبيرة، التى يجرى فيها فى إسرائيل حوار "تربوى - قيمي" حول غايات التعليم، وحول طرق تحقيقها، وحول صعوبة التعليم فى فصول تضم ٤٠ تلميذاً، وحول تأثير الاستقطاعات المالية الكبيرة على الساعات التدريسية فى السنوات الماضية، وكذلك حول وضع المدرس.

تجرى عمليات احتجاجية مماثلة فى أماكن أخرى. وهى، فى معظمها، ثمرة مبادرة محلية من المدرسين وأولياء الأمور على السواء. مما لاشك فيه أن الإضراب كشف عن عدم ارتياح للحالة التى وصلت لها الهيئة التعليمية. ويبدو أيضاً أن الجمهور يعى أن الأمر لا يتعلق فقط بكفاح نقابة مهنية من أجل الأجور، وإنما القضية المحورية فى هذا الكفاح تتعلق بالمجتمع كله.

وعلى خلاف تخوفات مسئولين كبار فى وزارتى المالية والتعليم، فإن الاحتجاج ليس موجهاً من فوق. صحيح أن نقابة مدرسى المرحلتين الإعدادية والثانوية تحاول التنسيق بين العمليات، لكنها لا تهيمن عليها ولا تملى جوهرها. غير ذلك، لا يتردد المدرسون الذين ينظمون الاحتجاج فى أنحاء البلاد فى انتقاد كبار مسئولى النقابة، ويبدو أنهم سيردون حتى بحدة إذا هم أبدوا استعداداً للتنازل عن مطالب من قبيل تقليص عدد التلاميذ فى الفصول.. والحقيقة أن مسئولو النقابة يدركون ذلك، ولذا تعهدوا علناً بألا يقبلوا أى اقتراح لا يتضمن اهتماماً بمطالب تقليل عدد التلاميذ وإعادة الساعات التدريسية.

حتى الآن، ترفض الحكومة التعهد بذلك، رغم أن إضراب المدرسين فى المدارس الثانوية، وفى جزء من المدارس الإعدادية، دخل أسبوعه الرابع، واستمراره منوط بقدر كبير بقرار محكمة العدل القطرية. ومهما يكن قرارها، فإن النتيجة البديهية للإضراب هى تفجر الحوار العام حول التعليم اللائق.

ولكى ينتهى الإضراب، فإنه يتعين أيضاً على وزارتى المالية والتعليم أن تعترفا بأن الأمر لم يعد يتعلق بكفاح حول زيادة فى الأجر. لقد فهم الجمهور أن الهيئة التعليمية غارقة فى أزمة عميقة تفوق قضية النسب التى ستضاف إلى أجور المدرسين، ومن الواضح أنه يؤيد كفاحهم.

اليهود والعرب يناضلون من أجل مستقبل التعليم

بقلم: إيريس دور – أون
المصدر: www.scoop.co.il
٢٠٠٧/١١/٢١

على الرغم من ميل الطلاب العرب واليهود إلى تجاهل بعضهم بعضا بشكل عام فى الجامعة العبرية بالقدس، إلا أنهم اتحدوا أمس وتظاهروا معاً أمام مكتب رئيس الجامعة، مناشدين إياه استغلال منصبه لتلبية مطالب الأساتذة المضربين.

ناضل العرب واليهود – الذين شاركوا فى المظاهرة التى نُظمت ظهر أمس (الأربعاء) فى الحرم الجامعى للجامعة العبرية فى جبل المشارف – للمرة الأولى من أجل هدف واحد مشترك بعد سنوات من التوتر والصراعات.. فمنذ نحو أسبوع وقعت فى هذه الجامعة مصادمات عنيفة أسفرت فى النهاية عن احتجاز طالب يهودى فى المستشفى. وفى السياق نفسه، احتجت مجموعة من الطلاب العرب على الحادث الذى منع فيه مجموعة من الطلاب اليهود طالب عربى من الدخول إلى الجامعة العبرية، وهو يرتدى الكوفية الفلسطينية. كما وقعت منذ بضعة أشهر فى الاحتفال بذكرى يوم النكبة، كما يطلق عليها الفلسطينيون (ذكرى إقامة دولة إسرائيل)، أحداث عنف، عندما حضر متظاهرون يهود للتعبير عن معارضتهم للاحتفال.

❖ تعاون يؤثر القلب:

وفى ضوء المصادمات المتكررة بين الطلاب اليهود والعرب، والتجاهل المعتاد بينهما فى الجامعة، كان رؤية التعاون بينهما يؤثر القلب. فقد حضر الكثير من الطلاب للمشاركة فى المظاهرة التى نظمها اتحاد الطلاب ظهراً. ودعا المتظاهرون رئيس الجامعة، مناحم مجيدور، الذى يشغل أيضاً منصب نائب رئيس لجنة رؤساء الجامعات، إلى استغلال منصبه وعلاقاته لتلبية مطالب موظفيه المضربين (الأساتذة). وقد ردد الطلاب شعارات مثل " أفيق يا مجيدور.. التعليم يساوى الكثير" أسفل نافذة رئيس الجامعة.

ورداً على ذلك، حرص مجيدور على إغلاق مدخل مكتبه الواقع فى مبنى الإدارة بواسطة حواجز وحراس، ولم يكلف نفسه عناء الحديث مع المتظاهرين. ولم يعكر صفو هذا الجو الذى يسوده الاتحاد سوى الشعارات التى رددتها طالبة عربية جاء فيها "ميزانية للتعليم.. لا لهدم المنازل". ورغم ذلك، يمكن القول فى النهاية بأن النضال المشترك هو إنجاز لا يجب الاستخفاف به.

وفى تلك الأثناء، يعتزم اتحاد الطلاب تكثيف النضال، فكانت الخطوة التالية التى اتخذها هى المظاهرة التى نُظمت اليوم (الخميس) فى حديقة الورود الساعة ١٢:٣٠ ظهراً. ورغم التضامن الذى أظهره الطلاب من أجل مستقبل التعليم، لم يكلف الأساتذة المضربون أنفسهم عناء الحضور، على الرغم من تلقيهم دعوات شخصية للحضور والمشاركة فى المظاهرة التى نُظمت اليوم.. وهكذا يظل السؤال مطروحاً لماذا يناضل الطلاب بدلاً من الأساتذة..؟.

ملحوظتان تعليميتان

بقلم: مناحم بن
المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٧/١١/٢٢

❖ لا سبيل إلا الحل المالي:

هناك حل بسيط، ومنطقى وإنساني، وصائب، لتلك الأزمة المخيفة المندلعة بين الحكومة والمعلمين.. الحل يحمل اسم "وقت الإعداد". فإذا خصصت الحكومة مبلغا محترما لزيادة راتب المعلمين، واشترطت ذلك بأن تطلب من المعلمين أن يزيدوا عدد ساعاتهم الدراسية الحالية، من خلال الاتفاق المبدئى على أن يقوم ما اعتاد المعلمون على فعله فى المدرسة حتى الآن لتأديته فى البيت.. أى الاستعداد للدرس وتحضيره فى البيت.

فحقيقة الأمر أنه لا يوجد سبب مقنع لإصرار وزارة التعليم على أن يكون الاستعداد للدرس داخل المدرسة فحسب..؟ لماذا لا يحدث فى البيت..؟ رغم أن ظروف العمل والاستعداد فى البيت أفضل كثيراً، خاصة أن المدارس لم تخصص بعد أماكن لعمل المعلمين، كما وعدت من قبل.

عندئذ، بدلاً من التصميم على أن يتم العمل التحضيرى للدروس فى المدرسة، تسمح وزارة التعليم باعتبار ساعات الإعداد فى البيت كساعات تستحق مقابل مادى فوري، وتستقطع هذه الأموال من أموال الإصلاح التى تم تخصيصها لهذا الغرض. هكذا

يستطيع المعلمون الحصول على أجر معقول، وتستطيع وزارتا التعليم والمالية الادعاء بأنها لم ترفع أجور المعلمين، بل إنها قررت تصحيح الخطأ التاريخى وإعطائهم مقابل نظير العمل فى البيت بشكل مباشر لأنه، وخلافا لمعظم المهن الأخرى، يمكن أن يتم عمل المعلم، إذا كان معلما حريصا على عمله، فى المنزل، عن طريق العمل التحضيرى الدؤوب.. فإذا كان هذا الحل ممكناً فلما لا..؟!.

أما يوسى ساريد، ومع فائق الاحترام للمجادل الأعظم فى إسرائيل الآن، إلا أن كل محاولاته لإظهار نفسه بشكل أو بآخر كأفضل وزير للتعليم حظيت به الدولة، تعد محاولات كاذبة. فقد كان ساريد وزيرا فاشلا للتعليم، لدرجة أنه لم يبدأ فى إصلاح ما تجلى له من التشوهات اللانهائية فى منظومة التعليم نفسها، واكتفى فقط بإقحام مريب لأشعار محمود درويش فى دروس تعليم الأدب، كما لو أن هذا يحدد توجها ما.

× يفضلون العرائض على الرياضة:

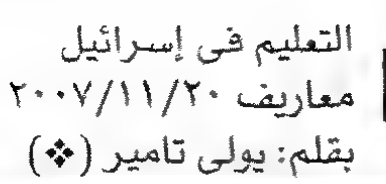
بفضل ساريد بمفرده، استمر التلاميذ فى دراسة اللغة العبرية على طريقة "اللغة المتكاملة" Whole Language المخيفة (التى تركت تلاميذ كثيرين وكأنهم أميين لم يتعلموا اللغة)، وفى دراسة الحساب باستخدام العصيان Cuisenaire Rods المخيفة (التى خلقت صعوبات فى فهم مبادئ الحساب الأساسية لدى العديد من التلاميذ) وفى دراسة كم كبير من الرياضات، لا حاجة بها نهائياً.. كل هذا حدث فى فترة وزارة ساريد وسابقيه.

فى مقابل ذلك، يُذكر فى حق ليفنات وتيروش (مدير عام وزارة التعليم)، أنهما نجحتا على الأقل فى إلغاء طريقة اللغة المتكاملة والحساب باستخدام العصيان فى فترة توليهما الوزارة، حتى ولو تركوا تشوهات كبيرة فى مجالات أخرى. وفى هذا السياق، لابد أن أقول إن اختبار البجروت (الثانوية العامة) فى مادة العهد القديم، وهو الأول الذى أجرى تحت الرعاية الدؤوبة لوزيرة التعليم يولى تامير، كان أصوب وأنزه من كل اختبارات البجروت فى العهد القديم فى العقود الأخيرة.. فلأول مرة تم حذف المصطلحات المعقدة على غرار: قانون الشرطية Casuistic Law، وقانون الأوامر والنواهى Apodeiktikos Law وأسلوب الترتيب العكسى للكلمات Chiasmic – من الاختبار نهائيا.

لأول مرة لم يرد ذكر الطلب بإظهار الإتقان الخرافى والزائد لكل أنواع تفسيرات العهد القديم الأكاديمية من النوع المستفز وغير المقبول، أى أن ليفنات وتامير قامتا على الأقل بإصلاح ما فى المجال الأساسي، أما ساريد فلم يفعل شيئاً.

إذن الآن رجاء القليل من التواضع يا يوسى عندما تطلق العنان فى الهجوم على لاحقيك فى الوزارة.

بشراكة كاملة


التعليم فى إسرائيل
معاريف ٢٠/١١/٢٠٠٧
بقلم: يولى تامير (❖)

الصراع المحتدم اليوم حول مستقبل التعليم يبدأ من منطلق الاتفاق على ضرورة وضع المدرس فى صدارة المنظومة التعليمية، ووضع التعليم فى صدارة جدول الأعمال العام. لا خلاف حول أهمية عمل المدرسين، أو على حقيقة أن عمل المدرس صعب وشاق. ولا خلاف على ضرورة تعيين أشخاص أكفاء للعمل فى جهاز التعليم والحرص على إبقائهم فيه، وضرورة بناء فصول دراسية جديدة، وزيادة الساعات الدراسية وتقليل الكثافة فى الفصول.

لقد شهد جهاز التعليم فى السنوات السابقة للحكومة الحالية استقطاعات مؤلمة أفقدته ما تبقى له من قوة. ومن ثم، عند تعيينى كوزيرة للتعليم كان واضحاً لى أنه يتعين علىَّ رسم خريطة للاحتياجات وترتيب الأهداف من حيث الأولوية. وبناء على تـليماتي، وضعت وزارة التعليم بناء الفصول وزيادة رواتب المدرسين وتحسين أوضاعهم فى صدارة جدول الأولويات.

كما أدى الإصلاح الذى اتفقت عليه مع ٨٠ ألف مدرس من أعضاء نقابة المدرسين إلى فتح "مسار جديد" أمام المدرسين والكثير من التلاميذ. وقد انضمت إلى "المسار الجديد" ٣١٣ مدرسة أملاً فى اتباع أسلوب جديد يفتح الطريق أمام فرص تربوية، ويوفر إمكانية وجود معاملة شخصية لكل طالب على حدة، ويزيد رواتب المدرسين بمعدل ٢٦٪ فى المتوسط.

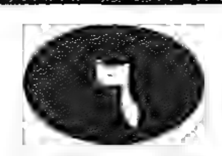


لقد حان الوقت لإدخال إصلاحات على التعليم الثانوى أيضاً، حيث عرضنا على نقابة المدرسين أن نبدأ مسيرة للعمل المشترك تقوم على مواءمة الإصلاح الذى عرضناه مع الإطار الاقتصادى للميزانية المرصودة لنا. عن طريق مسيرة كهذه، سنستطيع بلورة التعليم الثانوى على أساس قيمى وتعليمى جديد، وإعادة دراسة المناهج التعليمية، وأساليب الامتحانات، ومواءمة جهاز التعليم حتى يساير القرن الحادى والعشرين. إن وزارة التعليم تعتبر المدرسين شركاء كاملين فى المسيرة الحالية. كما أن الجدل المحتدم الآن لا يتعلق بالقيم أو الأهداف، وإنما يتعلق بالرواتب، ووتيرة تنفيذ الإصلاحات المطلوبة فى عناصر المنظومة التعليمية التى نؤمن بها جميعاً.

لقد حان الوقت للتعمق اللازم فى دراسة المشكلة وإعادة الأطفال إلى المدارس. ربما تحصدون ثمار الصراع الذى أدرتموه تدريجياً. ولكن إذا لم نستطع إنهاء الصراع فوراً سنجنى جميعاً أضرار الصراع على المدى القريب.

إننى أدعوكم بعد ٤٠ يوماً من الإضراب إلى العودة للدراسة على أساس التفاهم والاتفاق على أن رواتب المدرسين ستزيد، والإصلاح سيشق طريقه، والأهداف التى وضعتموها لأنفسكم ستتحقق لصالح جهاز التعليم بأكمله.

(❖) كاتبة المقال هى وزيرة التعليم الإسرائيلية.



علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية

انضمام إسرائيل لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية سيأخذ وقتاً

بقلم: يهودا شارونى ورونيت مورجنشتاين
معاريف ٢/١١/٢٠٠٧

صرح أمس "خوسيه أنخيل جورييه"، أمين عام منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (OECD)، فى إطار مؤتمر رئيس الوزراء للتصدير الذى انعقد فى تل أبيب، بقوله: "إن انضمام إسرائيل إلى المنظمة سيأخذ بعض الوقت".

وأشار الأمين العام لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية إلى أن إسرائيل واحدة من خمس دول مرشحة للانضمام إلى المنظمة (إلى جانب روسيا واستونيا وسلوفينيا وشيلي)، وأكد أن إسرائيل عليها الوفاء ببعض الشروط قبل انضمامها إلى المنظمة. ومن بين الشروط التى ذكرها جورييه: استمرار عملية الخصخصة، والإصلاحات الاقتصادية، والحد من التدخل الحكومى فى النشاط التجاري، واستقلالية أكبر لبنك إسرائيل مع وضع قواعد إضافية فى المجال المصرفي، وتقليل الفجوات فى المجتمع، وتحقيق تقدم على المستوى السياسي.

وقد أشاد الأمين العام لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية بالاقتصاد الإسرائيلي، وقال: "إن النمو الاقتصادى فى إسرائيل مستقر ويبدو مستقبلها الاقتصادى واعداً". وأضاف جورييه أنه، بناءً على تقديرات الحكومة الإسرائيلية، فإن المنظمة تتوقع نمواً بنسبة نحو ٤٪ مع أواخر ٢٠٠٨ . وفيما يتعلق بالانضمام إلى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية، اختتم جورييه تصريحاته قائلاً: "ليس هناك ما يدعو للعجلة فى هذا الخصوص".

ودعا البروفيسور ستانلى فيشر، محافظ بنك إسرائيل، خلال المؤتمر، المصدرين الإسرائيليين للخروج والبحث عن أسواق بديلة حتى يعاود الدولار انتعاشه من جديد. وعلى حد قوله، فإنه سيكون ممتناً فى حالة حدوث ذلك. وعلى حد قول فيشر، فإن الصادرات الإسرائيلية أصبحت مؤخراً أقل منافسة أمام الصادرات الأمريكية، ولكنه أشار إلى أنه لا ضرر على صادرات التكنولوجيا المتطورة (الهاى تك) للولايات المتحدة. وفيما يتعلق بقوة الشيكل، أشار فيشر إلى أن ذلك تحقق فى جزء كبير منه نتيجة عدم تدخل بنك إسرائيل فى التجارة.

وقال نير جلعاد، مدير عام شركة إسرائيل والمحاسب العام سابقاً، أمس، أن الحديث عن الربط بين المال والسلطة فى إسرائيل يجعل المستثمرين الأجانب يهربون من هنا. وعلى حد قول جلعاد، فإن إسرائيل لا تحسن كرم الضيافة، وبدلاً من العمل على النهوض بالاستثمارات فإنهم فقط يصعبون الأمر على المستثمرين. ووجه جلعاد اتهاماته للمناخ العام والمنظومة الحكومية بأنهما يضران بقدرة إسرائيل على الاندماج فى العولمة، فموظفو الحكومة، على سبيل المثال، مازالوا يخشون اتخاذ قرارات غير روتينية تتسم بالجرأة.

من جانبه، قال وزير الصناعة والتجارة والتشغيل "إيلى يشاي" فى المؤتمر إن اتفاقيات التجارة الحرة تغطى نحو ٨٠٪ من التجارة الإسرائيلية. وعلى حد قوله: "إننا نطمح إلى زيادة هذه النسبة بواسطة التوقيع على اتفاقيات مع دول وتكتلات تجارية أخرى، وإننى أتمنى أن نقوم بالتوقيع خلال الأشهر القادمة على اتفاق آخر للتجارة الحرة مع دول أمريكا الجنوبية". وأضاف يشاي قائلاً: "إن الاقتصاد الإسرائيلى من المتوقع أن يشهد نمواً العام القادم بنسبة نحو ٥,١٪ وهى من النسب المرتفعة فى العالم الغربي".

وقال شرجا بروش، رئيس اتحاد رجال الصناعة، خلال المؤتمر، أن تعميق الروابط التجارية بيننا وبين جيراننا الفلسطينيين سيخدم الاستقرار والسلام فى المنطقة. وأشار بروش قائلاً: "إن التعاون الاقتصادى هو أحد المفاتيح المهمة للتطبيع ووجود علاقات جوار جيدة".

يهود فنزويلا يخشون على حياتهم

معاريف ٢٠٠٧/١١/٤
بقلم: بن كسبيت

"يجب تهجير يهود فنزويلا بأقصى سرعة إلى إسرائيل" - هذا ما يطالب به عضو الكنيست "إيفي إيتام" بعد عودته نهاية الأسبوع الماضي من زيارة سرية إلى فنزويلا، على خلفية القلق المتزايد بشأن وضع الجالية اليهودية هناك. ويعتزم إيتام أن يلتقي قريبا مع رئيس الوزراء إيهود أولمرت لإطلاعه على الوضع الصعب الذي تعيشه الجالية اليهودية في فنزويلا.

ويرسم إيتام صورة قاتمة لوضع الجالية اليهودية هناك، والتي يبلغ تعدادها نحو ١٢ ألف يهودي، حيث يقول: "إنهم في أمس الحاجة للمساعدة. هم يعرفون أنهم يعيشون هناك في الوقت الضائع، ولكنهم يخشون في التعبير عن فزعهم بصوت مسموع".

وكان إيتام قد زار فنزويلا تلبية لدعوة من الجالية اليهودية ومن الصندوق التأسيسي. وقد أحيطت زيارته بالسرية بناءً على طلب زعماء الجالية اليهودية، الذين طلبوا منه عدم الإدلاء بأي تصريحات علنية طوال فترة وجوده هناك.

ومن المعروف أن الرئيس الفنزويلي "هوجو شافيز" يعد من أشد المعادين للولايات المتحدة ولإسرائيل، وهو أحد الحلفاء الرئيسيين لإيران في نضالها ضد الولايات المتحدة. وكان شافيز قد استضاف الرئيس الإيراني، محمود أحمدي نجاد، مرتين في الآونة الأخيرة، كما أرسل طائرته الخاصة لنقل الرئيس الإيراني من نيويورك بعد مشاركته في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

هذا، وتمتلك فنزويلا احتياطات نفطية ضخمة ومناجم يورانيوم، وتشير تقديرات الخبراء الغربيين إلى أن فنزويلا هي موردة اليورانيوم الرئيسية للبرنامج النووي الإيراني. ويتزايد تطرف الفلسفة الاشتراكية لشافيز مع مرور السنين، مما جعل يهود الدولة يخشون على حياتهم، حيث تعد الجالية اليهودية هناك من الجاليات الثرية. وقد وجد عضو الكنيست إيتام، الذي التقى بزعماء الجالية وبالحاخامات المحليين - وجد جالية مذعورة تخشى على مصيرها.

❖ يعيشون في قلاع محصنة ويتنقلون بسيارات مصفحة:

وصف عضو الكنيست إيتام أمس أوضاع اليهود في فنزويلا قائلا: "إنهم يعيشون في قلاع محصنة ويتنقلون بسيارات مصفحة، ويسكنون في أحياء مغلقة تخضع لحراسة مشددة. إنهم ببساطة يشعرون بالفزع الشديد. هم يعرفون آن المسألة مسألة وقت. خوفهم الرئيسي أن يستغل شافيز الفرصة، في حال اندلاع مواجهة بين إسرائيل وإيران أو بين إيران والغرب، ويقوم بتأميم الممتلكات اليهودية في بلاده، أو أن يتخذ وسائل أخرى".

كما أشار إيتام إلى أن معدلات الجريمة ضد الأثرياء في فنزويلا في ارتفاع مستمر، وأنه نظرا لكون اليهود في فنزويلا من الأثرياء، فقد تعرض البعض منهم للاختطاف، ولم يتم إطلاق سراحهم إلا بعد دفع فدية كبيرة جدا.

ويضيف إيتام قائلا: "المشاعر المعادية لإسرائيل ولليهود تتزايد في فنزويلا يوما بعد يوم، واليهود هناك متحيرون وفزعون وفي أشد الحاجة إلى مساعدة إسرائيل. بعضهم قام بنقل عائلاتهم إلى أماكن أخرى".

❖ ديكتاتورية منتخبة:

تحدث إيتام مع يهود فنزويلا عن إمكانية الهجرة إلى إسرائيل، ويقول: "لقد أبدوا اهتماما كبيرا بهذه المسألة. ويأملون أن تمد لهم دولة إسرائيل يد العون للهجرة كجماعة واحدة. إنها طائفة متحدة ومترابطة بشكل يفوق الوصف. إنهم يأملون بشدة أن يساعدوهم في إسرائيل في تفادي البيروقراطية والسماح لهم بشراء أراضي لإقامة مستعمرات أو أحياء مستقلة لهم، على غرار ما فعله المهاجرون الذين وصلوا إلى رعنانا، وبيت شيمش، ونتانيا وغيرها من الأماكن".

حافظ إيتام خلال زيارته لفنزويلا على عدم الظهور كثيرا، وهو يعتزم الآن تقديم تقرير لرئيس الوزراء، يحثه فيه على العمل في هذا الاتجاه. ويخشى يهود فنزويلا أنفسهم من التحدث كثيرا، وباتوا قلقين على مصيرهم. ورغم أنهم مازالوا يتظاهرون بأنه ليست لديهم مشكلة في الأمن، وأنهم لا يخافون شيئا، إلا أن مخاوفهم الداخلية تتزايد باستمرار، وبات الشعور بالتهديد ملموسا أكثر من أي وقت مضى. وحتى السفير الإسرائيلي في فنزويلا، شلومو كوهين، يعاني من العزلة، حيث يتعرض لشبه مقاطعة من كل الجهات الرسمية في فنزويلا.

وقد اعترف المسئولون في الخارجية الإسرائيلية أمس بأن وضع الجالية اليهودية في فنزويلا "ليس جيدا"، وبأن هناك مخاوف من رفض الرئيس شافيز تعيين سفير إسرائيلي جديد في بلاده بعد انتهاء فترة عمل السفير الحالي.

وخلال محادثاته معهم، قال إيتام لزعماء الجالية اليهودية: "صحيح أن هذا النظام تم اختياره عبر انتخابات ديموقراطية، ولكنه يبدو أقرب إلى الديكتاتورية، حيث يعمل بنفس طريقة الأنظمة الديكتاتورية".

إسرائيل توجه نقداً لاذعاً لرئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية

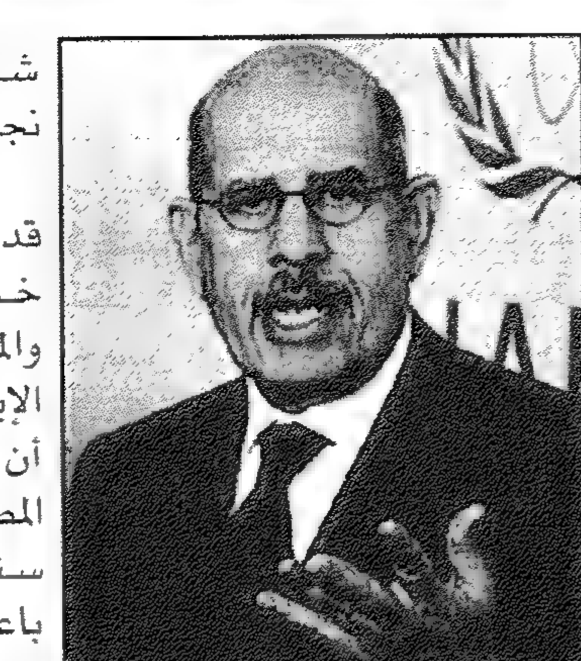
بقلم: ساريت جنتس
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٧/١١/٦

"بدلاً من أن تكون هيئة تساهم في الجهد الدولي تعتبر الوكالة عاملاً رئيسياً لإفشال الجهود، ومواقفها توفر ذريعة للدول للامتناع عن الانضمام للمساعي الدولية".. هكذا اتهم مدير عام وزارة الخارجية، أهارون أبراموفيتش، الوكالة الدولية للطاقة الذرية في خطاب ألقاه أمس أمام "منتدى سابان" (❖).

نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن عناصر سياسية رفيعة المستوى في القدس هاجمت بشكل شخصي رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية، د. محمد البرادعي، مشيرة إلى أنه "يجوب العالم الآن وكأنه يجب عليه إنقاذ العالم من الحرب، ويرى أن دوره هو الحيلولة دون اندلاع حرب ضد إيران"، ولذلك، على حد قولهم، "أخذ على عاتقه دوراً سياسياً لإعادة ترسيم الواقع وإنقاذ الإيرانيين من عقوبات مشددة".

ومن جانبه، أيّد وزير الشئون الاستراتيجية والمسئول عن "منتدى إيران" في حكومة إسرائيل، الوزير أفيجدور ليبرمان، تصريحات أبراموفيتش، في حديث أدلى به لصحيفة يديعوت أحرونوت، مشيراً إلى أن "تصرفات البرادعي تثير الكثير من علامات الاستفهام بشأن نوايا هذا الرجل، وبشأن رغبته الحقيقية في مواجهة سباق التسلح النووي الإيراني". وأضاف: "حتى الآن لم يثبت البرادعي قدرته على التصرف في أي موضوع، وفي أي حالة. حتى في الحالات التي نجح فيها المجتمع الدولي في وقف برامج نووية مثلما حدث مع كوريا الشمالية وليبيا". وأشار ليبرمان إلى أنه يجب أن نضيف لذلك النقد الذي وجهه البرادعي لإسرائيل فيما يتعلق بالأنباء التي نشرت حول حادث الاختراق الجوي الإسرائيلي لسوريا مؤخراً لضرب منشأة عسكرية قالت إسرائيل أن بها تجهيزات نووية.

ويعتقد المسئولون في مكتب ليبرمان أن "البرادعي يتضامن مع العالم الإسلامي والعربي. فهو يقول لنفسه إن الأوروبيين يمتلكون تكنولوجيا نووية، والأمريكيون لديهم تكنولوجيا نووية، وكذلك إسرائيل.. حسناً لماذا لا تمتلك إيران هذه التكنولوجيا..؟ هناك غضب عارم ضد إسرائيل في الموضوع النووي. يجب إدراك أن ثمة



شخصاً هنا يتعاون عن عمد مع أحمدي نجاد".

تجدر الإشارة إلى أن الوزير ليبرمان قد كثف في الشهور الأخيرة جهود أطقم خاصة تتألف من عناصر من الجيش والمخابرات لبحث مسألة التهديد النووي الإيراني. وفي الشهور القادمة. من المقرر أن يعرض الوزير على المجلس الوزاري المصغر نتائجه. وكما يبدو حتى الآن، ستعرض النتائج الأساسية على إيران باعتبارها تهديداً استراتيجياً يمثل خطراً على إسرائيل، سواء في مسألة التسلح النووي أو تشكيلها تهديداً تكتيكياً.

كما حظيت تصريحات مدير عام وزارة الخارجية بتأييد الوزيرة تسبي ليفني الموجودة حالياً في العاصمة البرتغالية، حيث أكدت أن الأسلوب الذي تتبعه الوكالة الدولية للطاقة الذرية لا يساعد على وقف سباق التسلح النووي الإيراني. وعلى حد قولها. فإنه إلى جانب مواصلة الاتصالات الدبلوماسية، يجب تغليظ العقوبات على إيران بشكل مؤثر.

"إيران تمثل عقبة في طريق استقرار الشرق الأوسط. يجب على أوروبا الحرص على استمرار العقوبات. فبينما يتحدثون في أوروبا عن تعزيز ودعم المعتدلين في الشرق الأوسط، يجب التفكير هنا أيضاً في إيران كدولة رائدة للمتطرفين، بما فيهم المتطرفين من أبناء الشعب الفلسطيني".. قالت ليفني ذلك خلال لقائها ورئيس مفوضية الاتحاد الأوروبي والمنسق الأعلى للسياسة الخارجية بالاتحاد "خافيير سولانا".

جديرٌ بالذكر أنه في نهاية الشهر الجاري من المفترض أن تقدم الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقريراً جديداً حول البرنامج النووي الإيراني، من شأنه أن يكون ركيزة لمواصلة العقوبات المفروضة على إيران.

(❖) منتدى سابان للحوار الاستراتيجي الأمريكي – الإسرائيلي: هو مؤتمر سنوي ينظمه مركز "بروكينجز" الأمريكي للأبحاث بالاشتراك مع مركز سابان الإسرائيلي، الذي أسسه رجل الأعمال الشهير وإمبراطور الإعلام الإسرائيلي حاييم سابان.

لماذا الهجوم على سوريا الآن..؟

بقلم: ران بورات
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٧/١١/٩

إن المقال الذى أمامكم هو مجرد مقال نظرى فقط.. فهو يستعرض الأصوات التى تنادى وتؤيد الحرب ضد سوريا لإسقاط نظام بشار الأسد. وليس بالضرورة أن يكون ذلك هو رأيى الشخصي، بل ربما يكون رأيى على العكس منه تماماً. ولا يوجد فى هذا المقال أية دعوة حقيقية لخوض الحرب وتقديم التضحيات التى تتطلبها مثل هذه الحرب. بل إن الأمر لا يعدو كونه تدريباً نظرياً، أراه مهماً، يمكنه أن يطرح الأفكار التى بسببها قد نجد أنفسنا فى مثل هذه الحرب. وسنترك الحكم لكم. وقريباً سنقوم بنشر مقال يعرض أصوات الجانب الآخر الرافض للحرب ضد سوريا فى هذا التوقيت.

لقد خلفت حرب لبنان الأخيرة مرارة كبيرة. تحدثوا عن فقدان إسرائيل لقوة الردع وعن خسارتها المخزية، بينما تنهال التقارير من كل جانب تتحدث عن سوريا التى لا تكف عن التسلح، الأمر الذى يجعل من الخريف القادم الموعد المناسب لتوجيه ضربة قوية ومهمة للتهديد الذى يتربص بنا من جهة الشمال، بما فى ذلك إمكانية إسقاط نظام بشار بالقوة. وسأعرض فيما يلى أمامكم سلسلة من المزاعم والأقوال التى تشرح وتوضح لماذا من الأفضل الهجوم على سوريا وتوجيه ضربة واحدة مؤثرة الآن..؟:

أولاً، القيادة الإسرائيلية تحتاج إلى انتصارات: إن وضع أولمرت فى استطلاعات الرأى وفى نظر الجمهور الإسرائيلى سيء للغاية. فالعملية الخفية التى استهدفت سوريا برهنت على أنه يمكن إصلاح شرعيته الجماهيرية عبر الطريق الأمني. كما أنه يوجد سبب لهذا الهجوم يتمثل فى الصفقة النووية مع كوريا الشمالية - التى حاولت سوريا فيها إقامة منشأة تقوم كوريا بتسليحها نووياً - وهو ما يعد بمثابة محاولة خطيرة للخروج على الوضع الراهن فى الشرق الأوسط، والنيل من الميزة التى تتمتع بها إسرائيل فى مواجهة أعدائها.

ثانياً، من الناحية العسكرية لا تزال سوريا ضعيفة برغم قيامها بتسليح نفسها: حيث تتمتع إسرائيل بميزة نوعية كبيرة مقارنة بسوريا فى هذه المرحلة. ولكن دمشق تتحرك عسكرياً بسرعة كبيرة وصلت إلى ذروتها بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ سوريا. ولذلك، لا يجب علينا أن نكرر الخطأ بالصمت وعدم التحرك إزاء تسلح حزب الله مثلما فعلنا فى لبنان. ومن ثم، فإن القيام بهجوم عسكرى سريع من شأنه أن يوقف هذه الإجراءات الخطيرة من جانب سوريا. وفى الوضع الحالى ستحقق إسرائيل، التى تتمتع بالتفوق العسكري، انتصاراً سريعاً للغاية ينتهى بالحسم الذى افتقدناه فى لبنان، وسيساعد على إصلاح قوة الردع الإسرائيلية التى تضررت كثيراً من جراء هذه الحرب.

ثالثاً، على المستوى العملى يبدو أن الجيش الإسرائيلى سيكون مستعداً فى القريب العاجل: فالجيش الإسرائيلى يستكمل تجهيزاته بكامل الأسلحة والذخيرة، ويقوم بالمناورات والتدريبات فى هضبة الجولان أمام الجبهة السورية. كما تم استيعاب الكثير من الدروس المستفادة من حرب لبنان، وتم تفعيل وتحديث الخطط بشكل واضح. كما أن الخريف يعتبر توقيتاً مناسباً من الناحية المناخية قبل حلول الشتاء، حيث يحل فيه الليل مبكراً، والتعامل مع مثل هذه الأجواء يعد ميزة يتمتع بها الجيش الإسرائيلي، لما يملكه من وسائل رؤية ليلية وخبرة فى ممارسة العمليات العسكرية فى مثل هذه الظروف المناخية الصعبة.

صحيح أن الجبهة الفلسطينية تتطلب من الجيش الإسرائيلى الكثير من القوات، ولكن العزلة التى تعانى منها غزة ووجود حماس على رأس السلطة هناك، يسمح باكتمال التهديد لها من الخارج، أو توجيه ضربات من الجو بأقل عدد ممكن من الجنود. وبالتالي، يمكن توجيه قوات أخرى للحرب ضد سوريا.

وفى لبنان يعانى حزب الله فى الوقت الحالى من الضعف، فمما لاشك فيه أن قوته ضعفت مقارنة بما كانت عليه قبل نشوب الحرب. ومن ثم، من الناحية العسكرية، سيكون من الصعب على حزب الله القيام مرة أخرى بالهجوم على إسرائيل بالصواريخ نظراً لانحصاره جغرافياً، حيث أصبح وراء قوة اليونيفيل. كما أن تسليح حزب الله لم يصل إلى ذروته بعد، ولا ننسى أن عدداً كبيراً من الجنود المدربين التابعين لحزب الله تمت تصفيتهم فى الحرب. ومن الناحية السياسية، فإن وضع حزب الله بين أوساط الجمهور اللبنانى معقد للغاية، فهو لا يتمتع فى الوقت الحالى بتلك الشرعية التى تمكنه من الانضمام للمعركة ضد إسرائيل فى حالة هجوم إسرائيل على سوريا، فى الوقت الذى يغرق فيه حزب الله فى صراعات داخلية لبنانية، بل وفى صراعات حول الهوية الخاصة به: هل هو لبنانى أكثر أم شيعى إيرانى أكثر..؟.

رابعاً، وعلى المستوى السياسى فإن القيام بشن

هجوم على سوريا الآن يمكن أن يحظى بدعم الإدارة الأمريكية: حيث من الممكن أن نوضح لواشنطن أن توجيه ضربة لسوريا سيساعد بشكل كبير على وقف تيار الإرهابيين الذين يتسللون إلى العراق عبر الأراضى السورية. ومن الناحية الاستراتيجية، فإن إسقاط النظام الديكتاتورى لبشار الأسد يتسق مع مفهوم الرئيس بوش لدمقرطة الشرق الأوسط مثلما تمّ التعبير عنه فى أفغانستان والعراق. كما أن بوش سيرى أن الهجوم على سوريا سيؤثر إيجاباً على حالة عدم الاستقرار التى تعيشها لبنان، إذا ما تخلت سوريا ما بعد الحرب عن دورها وتدخلها ضد حكومة السنيورة.

فوق ذلك كله، فإن المسئولين فى الإدارة الأمريكية سيرون فى الحرب أمراً إيجابياً لاستئصال أحد أقطاب محور الشر الجديد: "إيران - سوريا - حزب الله" بالشكل الذى يزيد من عزلة إيران التى تعتبر الهدف القادم لبوش. حتى الرأى العام فى الولايات المتحدة أصبح مؤهلاً لشن هجوم على سوريا، بسبب حالة الغضب التى تسيطر عليه من التأييد السورى للإرهاب العراقي، لاسيما وأن إسرائيل هى التى ستقوم بهذه المهمة لصالح الولايات المتحدة دون أن يتطلب الأمر سقوط ضحايا أمريكيين.

من المعقول أيضاً أن نفترض أن عناصر من المعارضة السورية ستشجع إسقاط بشار بالقوة (ولو فى هدوء)، مثل زعيم حزب الإصلاح السورى "فريد الغادري"، المقرب من واشنطن، وذلك بالتوازى مع معسكر خدام.

وعلى المستوى السياسى العملى يجب شن الهجوم الآن قبل تغير الإدارة الأمريكية، خاصة أن "الصقور" فى الإدارة الأمريكية، وعلى رأسهم نائب الرئيس الأمريكى ديك تشيني، مازالوا أكثر قوة من المعسكر "البراجماتي"، الذى يتزعمه وزيرة الخارجية رايس ووزير الدفاع جيتس وشركاؤهم.

وبالنسبة لإسرائيل، فإن ثمة ميزة مهمة أخرى هنا للهجوم على سوريا تتمثل فى أن التخلص من سوريا من شأنه أن يعجل بشن هجوم أمريكى على إيران، وبذلك يتم توجيه موارد عملية وسياسية لتهيئة الرأى العام وتخطيط وتنفيذ الهجوم. وفى حالة انتهاء حرب إسرائيلية سورية بنجاح، يمكن لبوش ورفاقه من الصقور أن يشيروا إلى ذلك، والقول بأن إيران هى آخر العناصر السلبية فى الشرق الأوسط التى يجب ضربها بسرعة.. ولا ننسى أن التخلص السريع من التهديد الإيراني. الذى يعتبر أكثر أهمية بالنسبة لإسرائيل مقارنة بالتهديد السوري. هو أيضاً مصلحة إسرائيلية عليا.

تعتبر أوروبا بشكل عام هى أخطر المعارضين لاستخدام القوة فى هذا الخصوص. ولكن، رغم ذلك، شهدت الآونة الأخيرة ظهور مثلث "يَميني" موالى لأمريكا أكثر مما شهدناه فى أوروبا فى السنوات الأخيرة.. ففرنسا برئاسة ساركوزى غاضبة من دمشق بسبب تدخلها فى شؤون لبنان، حليفتها وراعيتها فى الشرق الأوسط، واغتيال الحريرى (الصديق الشخصي لشيراك). ويمكن لساركوزى الذى يقود خطاً متشدداً ضد إيران أن ينضم إلى المستشارة الألمانية أنجيلا ميريكل التى تعتبر هى الأخرى موالية لأمريكا، وبالطبع إلى خليفة تونى بلير "جوردون براون" البريطاني.

إن هذه الدول الثلاث التى تقود الاتحاد الأوروبى لديها مصلحة حقيقية فى إسقاط بشار. ولو أن هذه الدول خرجت بنتيجة من إسقاط صدام فى العراق، فهى الانضمام (ولو سراً) للولايات المتحدة، وأن دعمها لها فى هذه المعركة يعنى عقود "سمينة" لإعادة إعمار سوريا بعد الدمار الذى ستخلفه الحرب.

وعن روسيا، فإنه من المتوقع أن تعارض بشدة شن الحرب ضد سوريا. ولكن من الممكن تحييدها بضمانات أمريكية للأموال التى ستخسرها روسيا من جراء صفقات الأسلحة مع دمشق، وكذلك بصفقات بديلة فى مجال البنية التحتية فى سوريا بعد الحرب.

وعلى الساحة العربية الداخلية، فإن مثل هذا الإجراء سيحظى بالتنديد الشديد العلني، ولكنه سيحظى بتأييد قوى خفى وهادئ على المستوى العملى من الدول العربية "البراجماتية". فالأردن ستستفيد من التخلص من التهديد المستمر من جارتها فى الشمال، ومصر والسعودية، ذاتا المذهب السني، ستحظين بتقوية موقفيهما المتقدم داخل العالم العربى بإضعاف سوريا التى تعتبر حليفاً لإيران الشيعية.

إذا ما انتهت حرب ضد سوريا بنجاح، فإنها تحمل زخماً مهماً لإضعاف حماس فى غزة والإرهاب الفلسطينى بكامله. وسيلقى بخالد مشعل ورفاقه فى دمشق فى السجون أو سيهربون إلى إيران، ونفس السيناريو سيحدث مع قيادات إرهابية أخرى فى العاصمة السورية. وستزداد حدة العزلة التى تعانى منها حماس فى غزة بالتخلص من مؤيد مهم لها، يتمثل فى سوريا. ويقوى فى الوقت نفسه من موقف أبو مازن، عندما "يختفي" الكثير من أعدائه الفلسطينيين من المعارضة القابعين فى سوريا.

خلاصة الأمر، إن مجموعة من الظروف والعوامل والفرص السياسية من شأنها أن تؤدى بالمنطقة إلى حرب ضد سوريا.

اتهام ضابط الصحة النفسية بمحاولة التخابر لحساب إيران

بقلم: أفيطال شوسهايم
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٧/١١/٢٣

وُجِّه للدكتور دافيد شامير، وهو طبيب نفسى خدم كضابط للصحة النفسية، ويحمل رتبة رائد فى سلاح الاحتياط، اتهاما بمحاولة التجسس، الذى يعرض أمن الدولة للخطر، عندما عرض خدماته على إيران وروسيا وحماس.. وقد تم صباح اليوم تقديم لائحة اتهام ضده فى المحكمة المركزية فى تل أبيب.

يقيم شامير فى مدينة جفعاتايم بتل أبيب ويبلغ من العمر ٤٥ عاما، وقد اعترف بكافة الاتهامات المنسوبة إليه. وتفيد النيابة العامة بأن شامير اطلع خلال خدمته على معلومات سرية، من بينها الخطط التى تذكر تفاصيل الخدمات الصحية التى يوفرها الجيش الإسرائيلي، ومواقع مراكز التحكم، وخطط إخلاء السكان أثناء الحرب والاستعدادات الاستخباراتية والتنفيذية المختلفة.

وشامير الذى تم اعتقاله منذ نحو أسبوع، متهم بمحاولة التخابر الذى يعرض أمن الدولة للخطر وبالاتصال بعميل أجنبي. كما أنه متهم بسعيه منذ نحو نصف عام لتوصيل معلومات سرية تخص سلاح الشئون الطبية إلى جهات أجنبية نظير مقابل مادي. وأنه قام بالاتصال بوزارة الخارجية الإيرانية عن طريق البريد الإلكتروني، وقدم نفسه على أنه مواطن وضابط إسرائيلى لديه علاقات متشعبة مع جهات وشركات إسرائيلية، بما فى ذلك تلك التى تتمتع بالسرية الأمنية. وقد أبدى شامير رغبته فى التعاون، عندما ذكر أنه على استعداد لتقديم تفاصيل أخرى، وقد تلقى الرد خلال بضعة أيام، ولكنه لم يقم بأى اتصال بعد ذلك.

وتفيد الشبهات بأن شامير اتصل فى أغسطس الماضي، عبر الفاكس، بالقنصليات الإيرانية فى لندن وتركيا، عارضا خدماته. وعندما لم يتلق ردا، توجه إلى جامعة الأزهر فى غزة، واضعا فى اعتباره أن حماس تقوم بإدارتها. وتضيف النيابة العامة بأن شامير أبدى رغبته فى "الانضمام للنضال".

وقد أرسل فى وقت لاحق بريداً إلكترونياً لجهاز الاستخبارات الروسى أبدى فيه رغبته فى التعاون معهم. ولدى النيابة العامة مستندات سرية، عُثر عليها بحوزة المتهم، وبعض المواد، نُشرت فى وسائل الإعلام، تؤكد ارتكابه الجريمة.

وعن السؤال القائل: لماذا ارتكب هذه الجرائم..؟ أجاب شامير بأن "ذلك نوع من الجشع".

من ناحية أخرى، أفادت الإذاعة الإسرائيلية بأن دكتور دافيد شامير يعمل مدير قسم فى مؤسسة حكومية للإقلاع عن الإدمان، وقد تم العثور، خلال تفتيش منزله، على مخدر من نوع الحشيش.



المجتمع الإسرائيلي

المختلون عقلياً فى السجن بدلاً من إعادة تأهيلهم

هاآرتس ٢/١١/٢٠٠٧
بقلم: روتى سيناي

عندما كان صبياً (١٥ سنة) سرق "ب" مجوهرات وأموال من والديه، ثم تورط فى عمليات اعتداء واقتحام منازل وسرقة سيارات. تم ضبطه وعرض على طبيب نفسي، وقد وجد الأخير أنه يعانى من خلل بسيط. وعندما بلغهما هذا الأمر، أدرك الوالدان السبب فى تصرفاته. "لقد عانينا معه لسنوات طويلة. لم نعرف ما هى المشكلة. ثمة أحد لم يقل لنا".. يحكى أبيه، سائق شاحنة فى إحدى بلدات الشمال ولديه عشرة أبناء.

ورغم تشخيص حالته بأنه مختل عقلياً، ظل "ب" رهن الاعتقال لشهور. ويتذكر الأب: "كان يبكى طول الوقت. كل المسجونين أشفقوا عليه. حاولت أن أوضح أنه ليس من الصواب وضعه فى السجن. لدىّ صديق شرطي، وحتى هذا الصديق قال لي: إما أن تودعه السجن أو مستشفى الأمراض العقلية". قلت: إنه ليس بمجنون، إنه يعانى من خلل عقلى بسيط".

تعكس القضية مسألة قلما يدلى جهاز القضاء والمجتمع الإسرائيلى برأيهما فيها، ألا وهى كيفية التصرف مع الخارجين على القانون المختلين عقلياً، الذين يمثلون نسبة كبيرة من الضالعين فى جنايات مقارنة بنسبتهم بين السكان..؟!.

صحيح أنه تم إخلاء سبيل "ب"، لكنه عاد مرة أخرى ليتورط مع القانون. فى العام الماضى قام بتوصيل بعض معارفه لتنفيذ عملية سطو مسلح على مندوب مطعم بيتزا. طلب ممثل الدولة الحكم عليه بالحبس، بينما عارضت المحامية نجمة هيب، من الادعاء العام، وكذلك الطبيب النفسي، بادعاء أنه يجب مراعاة الخلل العقلى الذى دفعه إلى الانسياق وراء اللصوص والسقوط فريسة لاستغلالهم. وقد قبلت القاضية إستير هلمان، من المحكمة المركزية فى الناصرة، رأى الطبيب النفسي، الذى أفاد بأن "ب" قابل للعلاج، وحكمت عليه بالخدمة المدنية لمدة ستة أشهر والسجن لمدة ١٨ شهراً مع إيقاف التنفيذ.

ولكن النيابة العامة استأنفت الحكم بادعاء أن "ب" حصل فى الماضي على فرصة للإصلاح ولم يستغلها، وأنه يشكل خطراً على الجمهور، والسجن سيردعه عن تنفيذ مزيد من الجرائم، وأنه لا يوجد أى مبرر لاختلاف عقوبته عن رفاقه والحكم الصادر على شركائه فى الجريمة.

وفى الأسبوع الماضي، ردَّ قاضى المحكمة العليا، إدموند ليفي، استئناف النيابة العامة وقبل موقف الادعاء العام، الذى بموجبه سيكون من الأفضل أن يتلقى "ب" علاجاً تأهيلياً خارج السجن بدلاً من حبسه، نظراً لأنه مصاب بخلل عقلي.

وقد أفادت أبحاث عالمية، أن نسبة السجناء المصابين بخلل عقلى تتراوح بين ٥٪ و١٠٪ فى كندا، وحتى ٣٠٪ فى عدد من الولايات الأمريكية. وحسب بيانات مصلحة السجون الإسرائيلية، هناك نحو ١٨٠ سجيناً يوصفون بأنهم "فى حاجة لرعاية خاصة"، سواء كانوا مرضى نفسيين، أو متخلفين عقلياً أو من أصحاب الإعاقات الشديدة. ويتم احتجاز بعضهم فى منشآت عادية، بينما يتم احتجاز من توصف حالتهم بأنهم أكثر خطورة فى سجن ميجين المخصص للحالات الحرجة. ورغم أن عدد المحتاجين لرعاية أقل من نسبة المختلين عقلياً بين السكان، إلا أن الادعاء العام يعتقد أن هناك الكثير من السجناء الذين يعانون من تخلف عقلى ولكن لم يتم تشخيص حالتهم.

تردد فى الماضى الزعم بأن أصحاب الخلل العقلى لديهم ميل فطري للإجرام، ولكن هذا الاعتقاد أصبح مبتذلاً ومفلساً منذ زمن طويل. الواضح الآن أن زيادة ضلوع هذا القطاع فى الجريمة يرجع إلى أنهم لا يحظون بتلقى خدمات تعليمية وصحية ورفاه وتأهيل كافية، وكذلك نقص الدعم الأسرى والاجتماعي، ومن ثم سهولة استغلالهم من جانب عناصر إجرامية.

وتقول الدكتورة حاجيت لرناو، ممثلة الادعاء القطري: "لا يتطرق القضاء الإسرائيلى تقريباً لمسألة مدى أخلاقية أو جدوى إيداع إنسان يعانى من تخلف عقلى فى السجن. علماً بأن تجارب المهنة تثبت أن مستوى معاناة هؤلاء الفئة من البشر فى السجن كبير جداً، حيث إنهم الأكثر عرضة للاستغلال والإهانة".

تعد إسرائيل تحديداً من الدول القليلة التى قامت بتعديل وتطويع إجراءات قانون التحقيق مع أصحاب الخلل العقلى واستدعائهم للشهادة بمقتضى القانون. ويتيح القانون أيضاً احتجاز أصحاب الخلل العقلى فى سجن انفرادى وإيداعهم فى منشأة مغلقة بدلاً من السجن. ولكن المشكلة تكمن فى أن معظم القضاة لا يرسلون المدانين البالغين من أصحاب الخلل العقلى إلى المؤسسات البديلة للسجن، كما أنه ليست هناك عقوبة موحدة.

وكانت لرناو قد قدمت التماساً إلى محكمة العدل العليا باسم شخص يعانى من تخلف عقلى على وشك الوصول إلى سن الرشد القانوني، تربى معظم حياته فى المؤسسات التأهيلية. وقد أدين الرجل بناء على اعترافه بارتكاب جريمة اللواط وأعمال مخلة بالآداب مع صبى عمره سبع سنوات. صحيح أن المحكمة المركزية بالقدس، برئاسة القاضى يعقوف تسفان، قد كتبت أنه "يجب مراعاة المخاوف التى طرحها الطبيب النفسى من إمكانية سقوط المتهم فى السجن ضحية للتنكيل والاستغلال"، ولكنها رغم ذلك حكمت عليه بالسجن لخمس سنوات.

وترى لرناو أن الحكم واستئناف الدولة ضد تخفيف حكم "ب" يمثل توجهاً يفضل مصلحة القصاص والردع على مصلحة إعادة التأهيل. وتقول: "إن مدى السهولة التى يزج بها أناس يعانون خللاً عقلياً بالسجن دون السؤال بشأن ماذا سيحدث لهم هناك، وما إذا كانت هناك وسائل اجتماعية لمواجهة المشكلة أم لا، هو تصرف أعمى". تمس هذه المشكلة تحديداً الأشخاص ذوى الاحتياجات الخاصة التى توصف حالتهم بأنها بسيطة. ويتم اعتبارهم مسئولين عن أفعالهم ويتمتعون بأهلية أمام المحكمة، رغم أن لديهم عيوباً فى القدرة على ترجيح الأمور بشكل سليم.

ويسعى المسئولون فى منظمة "بزخوت" (❖) إلى إطلاع جهاز القضاء على تأثير الحكم بالسجن على المختلين عقلياً، وضرورة مواءمة العقوبة مع الاحتياجات الخاصة لهذه الفئة.

كتبت المحامية ترتسا ليفوفيتش فى الوثيقة التى أعدتها منذ أسبوعين للمحكمة العليا فى قضية "ب": "فى الغالب، لا يحتوى السجن على عنصر الردع، بل إن العكس هو صحيح، فانطلاقاً من نفس الأسباب التى ساقتهم لارتكاب مخالفة، فإنهم هناك معرضون للانحدار إلى عالم الجريمة الفعلي.. وبسبب إصابتهم بخلل عقلي، لا تكون لديهم الأدوات التى تمكنهم، أثناء إمضائهم فترة عقوبتهم، من فهم أنهم يعاقبون هنا بسبب أفعالهم، وأن يستفيدون من ذلك ويعرفون ماذا سيؤول إليه مصيرهم فى المرة القادمة". وأضافت ليفوفيتش أنه فقط عن طريق العقوبة ذات البعد التأهيلي، هناك فرصة لاستيعابهم مدى خطورة أفعالهم، ويكتسبون الأدوات التى تتيح لهم تغيير سلوكهم.

ويدرك المسئولون فى وزارة العدل أبعاد المشكلة، حيث نص تعديل قانون العقوبات الذى بادروا به، والذى تم تمريره على القراءة الأولى فى الكنيست، على أنه عند دراسة عقوبة الخارجين على القانون، يتعين على المحاكم استيضاح ما إذا كان الشخص عند ارتكاب الجريمة "كانت لديه القدرة على إدراك ما يفعله أم لا، وأنه فعل ذلك بسبب خلل نفسى خطير، أو بسبب أوجه قصور فى قدراته العقلية أم لا".

ويتمنى والد "ب" أن يتم التصديق على هذا القانون، وأن يدخل حيز التنفيذ. ويقول: "أشعر بالغضب الشديد من الدولة والشرطة اللذين يعرفان مدى معاناة ابني. إننى أتعجب لماذا أرادا القضاء عليه وإرساله إلى السجن. ما فعلاه كأنهما أرسلا طفل فى السادسة من عمره إلى السجن. بدلاً من قضاء العقوبة فى السجن، سيبدأ "ب" فى الأسبوع المقبل أداء أعمال خدمة فى مجال الصيانة داخل السجن. وقريباً سيتزوج ويعيش فى شقة صغيرة بناها له والده. ويتمنى الأب أن يوفر الطبيب النفسى علاجاً تأهيلياً له. ويقول: "إنه ليس إنساناً طبيعياً. لو دخل ابنى السجن، معاذ الله، ستدمر حياته".

(❖) منظمة "بزخوت": أسستها رابطة حقوق المواطن سنة ١٩٩٢ كمركز لحقوق الإنسان ذى الاحتياجات الخاصة، وهى جمعية تعمل على مساعدة ذوى الإعاقة الجسدية والعقلية والنفسية، بهدف دمجهم ومشاركتهم فى المجتمع فى كافة نواحى الحياة.

نهاية الألم

هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٤
بقلم: مندى لايطون بليشا (❖)

قبل عدة سنوات، اضطررت للتوقف عن احتساء القهوة، فقد سببت لى مادة الكافيين صداعاً نصفياً فى الرأس، فضلاً عن عدة آلام أخرى. وهكذا أقلعت عن هذه العادة الضارة وانتقلت لاحتساء الشاي. وبصفتى مدمنة بشدة على الاستيقاظ المبكر، كنت أظن أننى لن أتعرض لهذا الموقف. والآن، بعد سنوات طيبة، لا يمكننى التفكير فى الحصول على فنجان قهوة بدلاً من فنجان الشاى فى الصباح.

هذه القصة القصيرة والشخصية، التى لدينا جميعاً واحدة مثلها، أحكيها فى بداية كل محاضرة فى السنوات الأخيرة. أحكيها حتى أوضح للناس أنه يمكن التعود على أى شيء - فأنا، على سبيل المثال، تعودت على العيش على مقعد متحرك - ولكن هناك شيء واحد لا يمكننا التعود عليه وهو "الألم".

فى السنوات الأخيرة تسللت إلى عالم الطب الحديث فكرة أن "علاج الألم هو عنصر رئيسى فى علاج أى مريض". فالمريض يعتبر الألم جزءاً أساسياً من تراجع مستواه المعيشي، لأنه فى هذه الحالة يعد عنصراً دخيلاً يصيبه بالشلل، ويمنعه من ممارسة حياته الطبيعية نسبياً، خاصة إذا كان ألم نتيجة مرض مزمن، لأنه فى هذه الحالة يكون ألم دائم، وكأنه ضوضاء رهيبة لا يمكن وقفها، ولا يمكن احتمالها.

يدرك العالم الطبى اليوم أن الألم ليس مجرد ظاهرة تابعة، أو أعراض زائلة.. ومن هنا نشأت نظريات تعالج الألم، المزمن والمؤقت، حتى أصبحت جزءاً من العلاج الطبيعى للمرضى. وهناك دول كثيرة تعترف بأن الألم هو مرض فى حد ذاته.

إن تأثير المرض، وضرورة علاجه، مسألة هامة جداً، لاسيما بالنسبة للمرضى بأمراض مزمنة مثل الأورام السرطانية.. فهؤلاء المرضى يعانون ألماً متواصلاً، فضلاً عن نوبات ألم شديدة، ويظل المريض طوال الوقت خائفاً من النوبة القادمة.

يتلقى مرضى الأورام السرطانية العلاج بالأدوية (التى تشملها سلة الأدوية)، ولكن أحياناً يكون ذلك غير كاف. والعزاء الوحيد لهؤلاء المرضى هو القدرة على قضاء العمر المتبقى من حياتهم بين أفراد أسرهم. ولكن الحياة التى تمكن الإنسان المريض من الاتصال بأفراد أسرته لن تتوافر إلا عن طريق العلاج المناسب للألم، والآن توجد حلول خاصة للآلام من هذه النوعية.

للأسف الشديد، إن النظرية الحديثة لعلاج الألم لم تدخل ضمن الاعتبارات التى تحرك عملية تخصيص الموارد فى إسرائيل. والعام تلو الآخر ونحن نشاهد إضافة أدوية توصف بأنها "تنقذ الحياة"، بعد نقاش عام حماسى عبر وسائل الإعلام.. ولكن العام تلو الآخر أيضاً تمتنع سلة الأدوية عن إضافة تكنولوجيا وأدوية تخفف من ألم المرضى.

واليوم، ونحن نشاهد جولة أخرى من مناقشات لجنة سلة الدواء، أتمنى أن يتطرق صانعو القرار، الذين يتحملون مسئولية تحديد سلة الخدمات الممنوحة للمرضى، إلى مسألة علاج الألم أيضاً. أتمنى أن يدركوا أنه رغم أن الألم أقل "جذباً" فى الصحافة، إلا أنه واقع حياة مؤلم لمئات الآلاف من الأشخاص.. ورغم الضغوط الكبيرة المبذولة لإضافة دواء جديد لعلاج السرطان، فإن الأدوية التى تعالج آلام هؤلاء المرضى لا تقل فى الأهمية.

ورغم الصعوبة الكامنة فى هذه المسألة، فإننا ندعو، نحن المرضى بأمراض مزمنة ونعانى ألماً فى كل فترات حياتنا، لجنة سلة الدواء لإعطاء أولوية مناسبة لتفضيل الحياة (أو بصورة أدق لمنح الحياة).

(❖) كاتبة المقال هى رئيسة جمعية مكافحة الألم، وأول رئيسة لشبكة منظمات الألم الأوروبية، وعضو اللجنة الإدارية فى منظمة "بزخوت" لحقوق ذوى الاحتياجات الخاصة فى إسرائيل.

الجدية الزائدة تؤدى إلى الدمار

بقلم: زئيف شبايدل
المصدر: www.makor1.co.il
٢٠٠٧/١١/١٣

مشكلة العنف فى المجتمع الإسرائيلى ليست بهذا الحجم من الخطورة التى يصورها البعض. يجب الانتباه إلى أنه فى كل مجموعة من المشجعين، هناك شخص واحد متطرف على الأقل، وتطرفه هذا يكون نابعاً من نظرته إلى الأمور بجدية زائدة.

السادة القراء.. أنتم لستم بصدد مقال للتحذير من خطورة العنف المتفشى فى المجتمع الإسرائيلي. لا، ليس هذا إطلاقا. أنا مازلت أعتقد ذلك، حتى بعد أن قام مشاغب واحد بإلقاء صاروخ نارى أثناء مباراة لكرة السلة فى حى ملحا، جنوبى غرب القدس.

ليس لدى شيء لأقوله سوى أننى آسف على الحارس الذى بُتِّرت أصابعه. وأرى أن من ألقى هذا الصاروخ يجب أن ينال عقابه - وهذا أمر مفروغ منه ويعلمه الجميع. إننى أعتقد أن المجتمع الإسرائيلى موجود "فى مكان جيد فى المنتصف" فى كل ما يتعلق بالعنف.

لا يزال التجول فى معظم شوارع إسرائيل أمر غير خطير إلى هذه الدرجة، رغم أن الوضع كان أكثر أمانا ذات مرة. معظم دول العالم كانت ستسعد باستبدال إحصاءاتها بالإحصائيات الإسرائيلية بشأن جرائم العنف فى الشوارع. ولكن هذا لا يعنى بالطبع أن قليل من العنف هو أمر لا بأس به، فكل ما أريد قوله هو أنه ليس هناك ما يدعو لإدخال الدولة كلها فى حالة من التأهب.

ربما تكون المسألة الأكثر أهمية هى الخصائص التى تميز هؤلاء الأشخاص الذين يختارون طريق العنف. هل فكرتم من قبل لماذا يقرر فرد واحد من بين آلاف المشجعين الذى يشاهدون المباريات ويهتفون ويصفقون فى إلقاء قنبلة دخانية أو صاروخ نارى..؟ ولماذا يقرر فرد واحد من بين آلاف الأشخاص المعارضين لاتفاقية أوسلو الضغط على الزناد..؟ (يقصد يجئال عامير قاتل رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق إسحاق رابين) ولماذا يقرر فرد واحد من بين مئات المعارضين لإقامة مسيرة الشواذ فى القدس أن يطعن أحد المشاركين فى المسيرة..؟ ما الذى يدفع فردا واحدا من بين الآلاف إلى اللجوء لأعمال عنف متطرفة..؟ السؤال الذى ينبغى طرحه بسيط جدا هو: ما الذى يمنع أشخاص كثيرين من القيام بعمل متطرف قام به شخص آخر..؟.

هذا السؤال تحديدا شغل بال تريفيس هيرشي، أحد كبار المتخصصين فى علم الجريمة. وكان الباحثون، قبل هيرشي، يركزون على دراسة الأسباب التى تدفع الإنسان إلى الوقوع فى براثن الجريمة، ولكنهم توصلوا إلى أسباب غير حقيقية: التعليم، الجينات، الأسرة وما إلى ذلك. أما هيرشى فقد توصل إلى استنتاج بأن الباحثين قبله قد طرحوا السؤال غير الصحيح، فتطرق إلى الحقيقة البسيطة، وهى أن كل واحد منا قد تعرض، مرة واحدة على الأقل، لموقف كان يمكن أن يدفعه إلى انتهاك القانون - كأن يغضب من شخص ما لدرجة تدفعه إلى الرغبة فى "قتله". وبدأ هيرشى فى البحث عن الأسباب التى تجعل غالبية الناس لا تفضل انتهاك القانون أو الأعراف والتقاليد المألوفة.

ودون الدخول فى نظريات، فأنا أعتقد أن هناك قاسم مشترك واحد بين كل هؤلاء الذين يقررون اللجوء إلى العنف، وهو النظر إلى الأمور بجدية زائدة عن اللازم وغياب روح الفكاهة. صحيح أن مباراة لكرة السلة هى أمر مهم، ولكنها فى النهاية مجرد مباراة، وحتى إذا خسر فريقك، فإن هذا لا يعنى أن الشمس لن تشرق غدا على الكون. وصحيح أن مسيرة الشواذ فى القدس أمر يبعث على الغضب والضيق جدا، ولكنها فى المجمل مجرد مسيرة ستنتهى فى غضون بضع ساعات ولن يصبح لها ذكرا.

ثمة شيء مثير للشفقة فى النظرة إلى خسارة فريق لمباراة وكأنها "نهاية العالم". وبالمناسبة، يُطبق هذا المبدأ أيضاً فى علاج الأشخاص الذين يميلون للعنف، حيث يمتنع كثيرون منهم عن العودة إلى سلوكهم العنيف إذا نجح المعالج فى اكتشاف الجوانب المرحة بداخلهم. وربما الأمر الذى قد يساعدنا جميعا فى الامتناع عن مثل هذه الأعمال هو التعامل مع حياتنا بالابتسام قليلا.

الألم واللامبالاة وراء منع لم شمل الأسر

بقلم: يوآف ليفين
المصدر: www.scoop.co.il
٢٠٠٧/١١/١٤

للأسف الشديد أن هناك انخفاضاً شديداً فى الوعى الجماهيرى بموضوع لم شمل الأسر. وفى إطار نشاطى الاجتماعى قابلت مؤخراً أزواج يرغبون فى إيجاد حل لضائقتهم الصعبة، فتكشف أمامى عالم أساسه اللامبالاة وعدم الرحمة فى مواجهة البيروقراطية المأساوية المفزعة: أزواج مختلطون يرغبون فى تسوية وضعهم بشكل قانوني، فيقابلون بتصرفات الموظفين المسئولين التى تثبت لأى شخص موضوعى أن هناك صورة مغايرة.

وفى هذا المقال قررت أن أتطرق إلى الجانب الذى لا يريد أن يتحدث عنه الكثيرون: الجانب اليهودى من القصة.

قصص هؤلاء النساء، المواطنات فى دولة إسرائيل، مثيرة للدهشة ومتكررة: فقد انتقلت "ل" للإقامة فى الخليل مع أبنائها بعد أن تم إطلاق سراح زوجها من المعتقل الذى وضع رهنه بتهمة الإقامة غير الشرعية فى إسرائيل. أما زوج "ن" فقد طرد إلى أراضى السلطة الفلسطينية وظلت هى مع أبنائها على أمل أن يجدوا حلاً. "ش" ترغب فى الزواج ولكن ما زالت لا تعرف أين ستقيم، لأن خطيبها أطلق سراحه للتو بعد أن سجن بتهمة الإقامة غير الشرعية فى إسرائيل. "س" ترقد فى محاولة للاحتفاظ بالجنين بعد أن ارتفع ضغط دمها بسبب الخوف من أن يتعرض زوجها للاعتقال.. وغيرها من القصص المشابهة، كما لو أنها قصص مأخوذة من فترة زمنية أخرى.

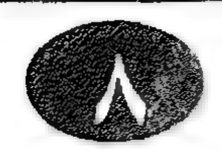
حينئذ، يتحدث الجميع عن السلام، ولكن لا أحد يتحدث عن العدل، فى حين أن الزواج المختلط هو الدليل الحقيقى على أن التعايش بين الثقافات أمر ممكن. فقد اختار هؤلاء الأزواج استخدام حقهم فى الحب على أساس الاحترام والتفاهم والتسامح، تاركين خلفهم ترسبات الماضى والحاضر. يسيرون معاً نحو مستقبل من الأمل والإيمان بقوة الحب. يتعلمون محاولة الحد من الفجوات بينهم عن طريق الحوار. ورغم المصاعب التى يواجهونها، يربى الكثير منهم أطفالهم، الذين يمثلون أطفال سلام الغد، بكل الحب. أطفال يرغبون فى العيش فى أمان وهدوء، وهما العنصران اللذان يحتاجهما أى طفل مثل حاجته لحب والديه.. إلا أن سحابة ثقيلة تحلق فوق سماء طفولتهم، يغلفها شعور بالخوف الدائم من أن يُبعد أحد والديهم أو يُعتقل، وهو شعور لا يفارقهم.

وفى هذه الحالة من الصعب أن نوضح للطفل ما هى الجريمة التى ارتكبها والده الذى ولد على الجانب الآخر من الجدار. يعترف الجميع بينهم وبين أنفسهم بأن قانون الجنسية الجديد تم تمديده بسبب الخوف من الخطر الديموجرافي، إلا أنهم نسوا أن معظم الأزواج ليست لديهم الإمكانات التى تخولهم الزواج فى قبرص. والفلسطينيون الذين سيرغبون فى التهود ستقابل طلباتهم بالرفض.. لذا، أصبحت مسألة تغيير الديانة واعتناق الإسلام أمر معتاد. وبسبب عدم الموافقة على طلباتهم أصبح الزواج واعتناق الإسلام داخل إسرائيل وداخل المناطق (الفلسطينية)، بناءً على طلب وزارة الداخلية، أمر روتيني.

والحل المؤقت سيبدو كخطأ جوهري، لأنه سيأتى يوم سيتصدر فيه مرة أخرى الموضوع الديموجرافى عناوين الصحف. ورغم ذلك، يؤكد معظم الأزواج أنه فى غضون ذلك ستعمل الصعوبات المتلاحقة والشديدة على تقويتهم وتقاربهم أكثر. ويبدو أن العالم لم يتغير، فمازال هناك الكثيرين منهم يعيشون ويغرمون سراً ويربون أبناءهم على مبادئ الديموقراطية والمساواة فى الحقوق، حالمين باليوم الذى لا يُنظر فيه إلى حبهم وزواجهم على أنه جريمة. فى الوقت الذى يفضل فيه الكثيرون تجاهل ألم هذه الأسر، ربما لأن قانون الجنسية معروف بأنه قانون موجه للجمهور العربى فحسب فى إسرائيل.

لقد حان الوقت لأن نتوقف عن تجاهل الحقائق، وأن نبدأ ببساطة فى البحث عن حل عادل ومنطقى، لأن المشكلة قائمة ولن تختفى من تلقاء ذاتها. لكن فى تلك الأثناء سيبقى الحال فى إسرائيل على ما هو عليه، النفاق يسود والعنصرية تزدهر. وكلنا نتمسك بالرأى المغلوط القائل بأنه إذا تجاهلنا الحقائق ستختفى من تلقاء نفسها.

وبالمناسبة، من المثير للاهتمام أن نعرف ماذا سيقول دعاة الحرية فى هيئات تحرير الصحف الرئيسية والديموقراطيون الإسرائيليون أو الليبراليون اليساريون فى الأحزاب المشاركة فى الائتلاف لو أننا رأينا مثل هذه المشاهد التى تصور القوانين أو الوضع على الأرض بهذه الكيفية..؟!.



حوارات

حوار مع "غالب مجادلة" وزير العلوم والثقافة والرياضة

"إسرائيل لا تمتلك سوى موارد بشرية" ■

أجرى الحوار: ميئير عوزيئيل
المصدر: www.makor1.co.il
٢٠٠٧/١١/١٦

فى هذا الحوار فضَّل وزير العلوم والثقافة والرياضة، بعدما صرح هذا الأسبوع أنه مسلم فى المقام الأول وبعد ذلك وزير. فضَّل أن يتناول القضايا الثقافية. يتحدث مجادلة عن تفانيه فى العمل: "وأهدرت اليوم دعوة فى برنامج لوندون وكيرشنباوم التليفزيونى من أجل حضور مهرجان الأفلام اليهودي".

التقيت أمس الأول ووزير العلوم والثقافة والرياضة، غالب مجادلة، أثناء افتتاح مهرجان الأفلام اليهودى "عين يهودية".

كان تعيين غالب مجادلة كوزير للثقافة، ناهيك عن كونه وزيراً للعلوم، قد أثار المخاوف لدى جزء من الجمهور الإسرائيلي. وقد اضطر مجادلة، فى بعض الأحيان مدفوعاً من خصومه، للدخول فى مواجهة بين حقيقة كونه عربياً مسلماً ووزيراً فى الحكومة الإسرائيلية. فقد طلب منه مؤخراً عضو الكنيست آرييه إلداد وقف الحفريات فى جبل الهيكل (الحرم القدسي)، باعتباره الوزير المسئول عن هيئة الآثار. وردا على ذلك، قال مجادلة من فوق منصة الكنيست إن القانون الإسرائيلى لا يسرى على منطقة جبل الهيكل (الحرم القدسي) لأنها "منطقة إسلامية". عندما سأله إلداد عما إذا كان يعبر عن موقفه الشخصى أم موقف الحكومة، أجاب "أنا مواطن وإنسان مسلم قبل أن أكون عضواً فى الحكومة". وفى وقت لاحق حاول مجادلة تخفيف حدة كلماته.

◆ ما الذى جاء بك لافتتاح مهرجان مخصص بصفة أساسية لأفلام من كافة أنحاء العالم تتناول موضوعات يهودية..؟

- أجاب مجادلة: "كانت هناك رؤية (يقصد لدى الحكومة) لتخصيص مدينة أشكلون (عسقلان) لاستضافة المهرجانات. واليوم تحقق المدينة هذه الرؤية. ويسرنى أن أكاديمية ومدينة أشكلون تستضيفان مهرجان الأفلام اليهودية. هذا حدث خاص. صحيح أننى أشارك فى كثير من المهرجانات، ولكن هذه هى المرة الأولى التى أشارك فيها فى مهرجان يتناول موضوع كهذا أو ذو خصوصية مثل هذا المهرجان. وإننى أرى هنا بين الجمهور صفوة المجتمع من قدامى المهاجرين والمهاجرين الجدد، وأناس جاءوا للمهرجان من سائر أنحاء العالم، من سويسرا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. هذا رائع، وكذلك دليل على أن الثقافة قادرة أن تكون ملتقى بين الشعوب، وقادرة أيضاً أن تجمع أبناء الشعب الواحد المنتشرين فى شتى بقاع الأرض".

◆ يعرض المهرجان أيضاً فيلماً تركياً. وهذا دليل على أنهم يصنعون أفلام تتناول موضوعات يهودية فى دولة إسلامية.

- "صحيح. لأن تركيا كان بها يهود، وكذلك المغرب. ولذلك فإن هذا المهرجان يتمتع بخصوصية فى حد ذاته.

ويجب على وزير الثقافة والعلوم والرياضة، حضور كل الأحداث الثقافية على اختلافها إذا كان في استطاعته ذلك. هذه هي رسالتي ودوري من أجل الدفع بعجلة الثقافة والنهوض بها. في مجتمع ديموقراطي مثل هذا الذي نريد أن نعيش فيه، وحري بنا أن نعيش فيه، يجب أن تتدرج الثقافة على جدول الأعمال، ويجب على إسرائيل أن تكون دولة ترفع راية الثقافة".

"إنني أحرص على الذهاب إلى كل الأماكن، كما أنني في الواقع فضلت اليوم أن آتي إلى هنا عن المشاركة في البرنامج التليفزيوني لوندون وكيرشنباوم، اللذان طلبا استضافتي في الساعة السابعة. أي سياسي أو نائب كان سيشعر بالسعادة للمشاركة في هذا البرنامج أمام مذيعين موهوبين جداً كهذين الثنائي، وفي برنامج يحظى بنسبة مشاهدة كبيرة. ولكن بسبب شدة خصوصية مهرجان الأفلام اليهودية اضطررت للاعتذار. وإنني سعيد لحضوري هنا. وأعتقد أن المهرجان هو ملتقى ثقافي هام بين الشعوب، خاصة وأن المجتمع الإسرائيلي بهك ثقافات متعددة"..

❖ وقيم أيضاً.

– "صحيح. ودوري كوزير للثقافة، تصادف أن يكون عربي ومسلم أيضاً، هو الحرص على أن يحظى كل قطاع في المجتمع الإسرائيلي بأقصى درجات التأييد والدعم لثقافته. أتمنى أن تفكر الحكومة الإسرائيلية ورئيس الوزراء في ميزانية وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٨ . معاً سنستطيع زيادة ميزانية الثقافة".

❖ أود أن أذكرك بأننا الآن في أشكلون (عسقلان)، حيث سقطت صواريخ القسام هنا أيضاً. ماذا يمكنك أن تقول في هذا الصدد من هنا في أشكلون تجاه غزة وتجاه صوايخ القسام..؟ وإنني أذكرك أنك أحد أعضاء الحكومة ومسئول أيضاً عن أمن إسرائيل.

– "صواريخ القسام لا تخدم المصلحة الفلسطينية. وضرب أشكلون وسديروت وبلدات جدار حاضن غزة هو بمثابة ضربة للجمهور الفلسطيني في غزة. لقد تعلمنا بعد حرب لبنان الثانية أنه لا توجد قوة عسكرية أو تكنولوجيا عسكرية تستطيع أن توفر لنا السلام والأمن. والجانب العربي أيضاً لن يحل شيئاً بالقوة. فقط عن طريق اتفاق سلام يستطيع الشعب الفلسطيني إقامة دولته إلى جانب دولة إسرائيل ويحقق الأمل للمجتمع الفلسطيني. وهكذا بالنسبة لنا أيضاً، فقط عن الطريق السلام نستطيع أن نحقق الأمن للمجتمع الإسرائيلي".

❖ مع ذلك، رأينا بعد فك الارتباط أنه حتى عندما نقدم تنازلات لا نحصل على الهدوء، بلنحصل في المقابل على الاعتداء والعنف.

– "قبل أي شيء، هذا فعلاً صحيح. بعد فك الارتباط لم يعم الهدوء. ولكن يجب أن نشير أيضاً إلى أنه بعد فك الارتباط لم نواصل المسيرة السياسية. توقفنا، وقد أفرز ذلك خيبة أمل وإحباط وأزمة ثقة، ومن ثم جاء العنف. إننا دائماً نتأخر في العمل، وإذا عملنا نبذل جهوداً محدودة، ولا نرى النتائج".

❖ هل تعتقد فعلاً أن إسرائيل قادرة على قيادة مسيرة سياسية كاملة لتحظى في المقابل بسلام حقيقي..؟

– "تعالى أذكرك بأننا منذ بضعة أشهر، في حكومة إسرائيل، لم نتبن المبادرة السعودية التي تم التصديق عليها في قمة بيروت".

❖ هل كنت من المؤيدين لهذه المبادرة..؟

– "كنت أؤيد احتضان هذه المبادرة، وقد أشدت بها،، لأنها جاءت من قبل أربع وعشرين دولة، بما فيها حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية. صحيح أن حماس تتولى رئاسة الحكومة، ولكن الموافقة على المبادرة كانت بأغلبية من المستقلين وحركة فتح... نفس حركة فتح التي أبرمت اتفاقية السلام في أوسلو".

جميع الدول العربية كانت قد قالت في مؤتمر الخرطوم منذ بضع سنوات (يقصد مؤتمر القمة العربية في الخرطوم عام ١٩٦٧) اللاءات الثلاثة الشهيرة: لا للسلام، لا للمفاوضات ولا للاعتراف بإسرائيل .. ولكنها أدركت بعد سنوات الوضع وتعرض علينا التطبيع. ونحن لم نستطع احتضان تلك المبادرة. هكذا نواجه أزمة ثقة. وليس لدينا سبيل آخر سوى التركيز على العملية السياسية، والسعي لإجراء مفاوضات مكثفة لتعزيز الأمل في السلام لدى الجانبين".

❖ عودة إلى موضوع ميزانية وزارة الثقافة للعام القادم. يزعم الكثيرون أنك يجب عليك أن تحارب بشراسة أكثر من أجل ميزانية الثقافة. ماذا تتوقع..؟ زيادة..؟ أم استقطاع..؟ أم الإبقاء على الوضع الحالي..؟

– "أود أن أصدق أنه لازالت هناك فرصة كبيرة لإقناع رئيس الوزراء ووزير المالية بإعادة التفكير في ميزانية الثقافة في دولة إسرائيل، رغم أن الحكومة صدقت على ميزانية الدولة".

"يحدوني الأمل في إقناعهما بسن تشريع لميزانية الثقافة كما يليق بدولة متقدمة ومتحضرة. في أوروبا، على سبيل المثال، هناك نسبة محددة وثابتة من ميزانية الدولة تخصص للثقافة بموجب تشريع قانوني".

❖ أنت أيضاً وزيراً للعلوم. لقد شهدنا مشاكل في هذا المجال مع أوروبا، وأساتذة الجامعة البريطانيين أرادوا مقاطعة إسرائيل. والاتفاقيات العلمية كانت معرضة للخطر. فهل هناك تطورات في هذا الموضوع..؟

– "إن أفضل جواب على الأساتذة الجامعيين البريطانيين هو صناعة سلام، حتى لا يوجهون لنا

تهديدات بالمقاطعة، لأن أمورنا ليست على ما يرام وفى حاجة لوسطاء".

"ثانياً: العلم هو المحرك الاقتصادى لدولة إسرائيل على المدى البعيد. جدير بالذكر أن نصف سكان الدولة يعيشون تحت خط الفقر. الاستثمار فى العلوم قد يمثل استجابة لتفاقم ظاهرة الفقر. وإذا كنا قد استثمرنا حتى الآن فى الصناعات العسكرية وأصبحنا واحدة من الدول الأربع الرائدة فى هذا المجال، فليس هناك مانع يعوق الاستثمار فى العلوم المدنية، سواء النظرية أو العملية، وبهذه الطريقة سنستجيب أيضاً لاحتياجات الفقراء فى إسرائيل".

❖ لا أفهم. أنت تقصد أن الفقراء سيستفيدون من الضرائب الناتجة عن الإنجازات الاقتصادية للعلوم الإسرائيلية..؟

– "لا... من الإيرادات. كما أنهم سيستفيدون من فرص العمل. وفضلاً عن ذلك، يوجد حالياً ٣٥٠٠ عالماً إسرائيلياً يعيشون خارج حدود دولة إسرائيل. وهذه خسارة قومية وخسارة مالية للدولة. كما يوجد ٢٠ ألف خبير فى التكنولجيا المتطورة (الهاى تيك) يعيشون خارج الدولة. وتفيد التقديرات بخسارة مقدارها أكثر من ١٠ مليارات دولار لدولة إسرائيل بسبب وجود هذه العقول خارج الدولة. دولة إسرائيل ليس لديها نفط، ولا معادن أو فحم، وكل ما تملكه هى موارد بشرية فحسب. إذا لم نستثمر أموالنا فى الموارد البشرية، سنفقد أيضاً مكانتنا فى العلوم وبين المجتمع الدولي. أتمنى أن يتبنى رئيس الوزراء استثماراً مالياً كبيراً فى مجال العلوم".

سيشهد المهرجان الذى سيستمر تسعة أيام، العرض الأول لـ ٨٠ فيلماً جديداً. وفى عشية افتتاح المهرجان عرض فيلمين هما "مستر ماكس"، وهو فيلم فرنسى بمشاركة جان كلود بريلي، وقد كان هذا فيلمه الأخير. و"عملية مورال- كازابلانكا ١٩٦١" وهو فيلم وثائقى يتناول قصة ديفيد ليتمان، وهو يهودى بريطانى يعيش فى سويسرا خرج منذ ٤٦ سنة فى مهمة من قبل الموساد إلى كازابلانكا ونجح فى تهريب ٥٣٠ طفلاً يهودياً من هناك إلى إسرائيل.

وقد فضّل الوزير غالب مجادلة مشاهدة هذا الفيلم، حيث جلس فى القاعة، برفقة ديفيد ليتمان ذاته، الذى جاء من سويسرا، وشموئيل تولدانو وعملاء موساد سابقين، مستمتعاً بإنقاذ الأطفال اليهود من إحدى الدول العربية.

حوار مع الحاخام "يوسى بن هروش" الملقب بـ"الحاخام المرن"

ملحق يديعوت أحرونوت
٢٠٠٧/١٠/٢٦
أجرى الحوار: سميدار شير

بالبهجة التى اعتاد عليها الحاخام "يوسى بن هروش"، الملقب بـ"الحاخام المرن" – وهى التسمية التى خرجت من أفواه عشاقه ومحبيه الكثيرين بسبب المناخ اللطيف والسعيد الذى يضفيه من حوله – سنبدأ الحديث عن الزيجات التى عقدها.

فقد اعتاد بن هروش على عقد مراسم القران بنكات ومقولات فكاهية.. فعندما يقدم الزوج كأس النبيذ لزوجته تحت مظلة العرس يقول الحاخام له: "الآن قل: زوجتى اشربي". وفى العرس الذى عقد الأسبوع الماضي، عندما رفض الزوج ارتداء الكيباه، ألبسه الحاخام عصابة قراصنة سوداء. كما يقول للجمهور إنه لم يكن عبثاً وجود كلمات توراتية مثل "فى البداية"، "الراحة"، "ارحل.. ارحل"، لأن هذه الكلمات تمثل العلاقة بين الجنسين: "فإذا كنت 'فى بداية' العلاقة لا تشعر 'بعدم الراحة'، 'فارحل.. ارحل". كما يوضح أنه بقلب أحرف كلمة "عروس" فى العبرية، فإنها تعنى "كل شيء"، وبقلب أحرف "زوج" يكون المعنى "راحة"، والأحرف الأولى من كلمتى الزوج والزوجة تساوى "قوة".

تقول حانا ليسلاو: "إن هذا الحاخام كوميدياً حقيقياً". ففى منتديات المتزوجات على شبكة الإنترنت يتصل عدد لا نهائى بالحاخام يوسى الذى يضفى عليهم البهجة.. أضف إلى ذلك أنه اعتاد فى حفلات الزفاف أن يقبل العروس وكذلك والدتها، ويرقص مع الضيوف، وينجح فى أن يربط الزوجان العلمانيان بالتقاليد اليهودية ويجعل نفسه نجم الحفلة".

ولكن هناك من لا يعجبه أسلوب بن هروش. فقد منحه، بمنتهى المحبة، آلاف من الأزواج الذى هرولوا إلى غرفة عمله الصغيرة فى نتانيا لتلقى بعض الإرشادات، لقب "الحاخام المرن". ويستخدم الحاخام هذه الغرفة الآن كوسيلة لمكافحة الهجوم الذى تشنه الحاخامية الرئيسية ضده، ذلك النضال الذى وصل إلى ذروته فى نهاية شهر يوليو، عندما قررت لجنة الزواج بالحاخامية الرئيسية سحب صلاحية عقد مراسم الزواج منه. وقبل ثلاثة أشهر قام الحاخام رتسون عروسي، رئيس لجنة استخراج التصاريح، بإبلاغ حاخامات المدن بأن "رخصة عمل هروش قد سُحِبت منه بشكل مؤقت حتى يُتخذ

قرار آخر". وجاء فى بيان لوسائل الإعلام أن أفعال الحاخام أصبحت بذيئة فى أعين كثير من المحافظين على الشريعة، حيث إنه "يجرى مراسم حفل الزواج فى ظل وجود نساء يرتدين زياً مخلاً، ويسمح للعروس بتقديم خاتم للزوج، ويسمح للزوجين بالتحدث تحت غطاء العرس، كما أنه يحترم الزوجان اللذان يقدمان فى عرسهما طعاماً لا يتوافق مع الشريعة مع غروب شمس يوم الجمعة".

لم يصمت الحاخام بن هروش على هذا الأمر.. ففى ٢٤ أكتوبر، قدم التماساً لمحكمة العدل العليا. وقال وكيله، المحامى شلومو راخفي، إن هذه أول مرة يقدم فيها حاخام إسرائيلى التماساً ضد الحاخامية الرئيسية. ورغم سحب الرخصة منه، إلا أن الحاخام واصل عقد مراسم القران بسعادة عارمة. يقول: "إننى أحضر مع حاخام آخر، هو يوقع على المستندات، وأنا أعقد المراسم وأبارك العريسين. صحيح أن هذه مؤامرة، ولكن لا يوجد خيار آخر أمامي".

يتلقى الحاخام ما بين ٢٠ إلى ٣٠ دعوى حفل قران كل يوم، ودفتره ممتلئ حتى نهاية شهر يوليو من العام القادم. يقول بن هروش إن كل ذلك يرجع إلى الحسد والغيرة من شعبيته الجارفة: "حاخام متوسط يعقد زيجتان شهرياً، بينما يعقد الحاخامات الأكثر طلباً ما بين خمس إلى ست زيجات فى الشهر، أما أنا فأعقد زيجات تقريباً كل ليلة. فقد عقدت حتى الآن خمسة آلاف عقد زيجة، رغم أن بعض الحاخامات يقولون إن الرقم أكبر من ذلك".

❖ وهل جميع الأزواج الذين يأتون إليك، وأولئك الذين يوافقون على تأجيل موعد الزواج حتى يكون لديك وقتاً، يفعلون ذلك لأنك تضفى السعادة على مراسم الزواج أم لشيء آخر..؟

- "بسبب السعادة. فهذه المراسم تهدف إلى إسعاد الزوج والزوجة. إننى ألتزم بكل المعايير الرفيعة المنصوص عليها فى الشريعة، وكذلك باحترام الأشخاص، على عكس كثير من الحاخامات المشهورين أكثر مني، والذين يلتزمون بعقد ثلاث زيجات فى ليلة واحدة، ويتأخرون عليها جميعاً. إننى أزوج منذ ٢٢ عاماً، ولم تقدم ضدى أى شكوى على الإطلاق من أى زوج لم يشعر بالسعادة أو لم يكن راضياً. والأكثر من ذلك، فى مراسم الزواج التى أعقدها، هناك ميزة وهى الدوام فترة طويلة، على عكس زيجات حاخامات آخرين تنتهى بالطلاق".

❖ ولكنهم يقولون إنك تُقبِّل النساء أثناء مراسم عقد القران..؟

- "لكل زعم تفسير. ويوجد تفسير سأشرحه لك. ولكن فى الوقت الحالي، عندما يفضل ٣٠٪ من الزيجات الهروب من المؤسسة الدينية إلى بدائل أكثر إغراءً مثل عقد الزواج فى قبرص أو لدى يائير لابيد، فإن الوقت قد حان لأن تنزل الحاخامية من فوق الأشجار العالية، وتقدم الشكر لحاخام يعقد زيجة مطابقة للشريعة وتضفى سعادة على الزوج الذى يتذكرها طوال حياته".

❖❖ مَنْ هذه السعيدة..؟ إنها أمي:

ولد الحاخام بن هروش (٤٧ سنة)، الذى يناديه الجميع بـ"يوسي"، فى المغرب، وهاجر إلى نتانيا وهو فى سن الثامنة. كان والده يعمل خياطاً، بينما تربى والدته خمسة أطفال. وبعد أن أنهى دراسته الإعدادية فى مدرسة بن عقيفا الدينية، استكمل دراسته فى مدرسة دينية عسكرية، وأدى خدمته فى اللواء السابع وأسندت له الحاخامية فى مدرسة هار تسيون: "لقد اعتبرتُ مهنتى بمثابة رسالة، وكلما أمعنت فى الدراسة ازداد دافعى للتعمق فى المجالات الدينية ومعرفة إسرائيل".

كما اجتاز بن هروش دورة حاخامية عسكرية، وعقد أول حفل قران وهو أعزب حينما كان عمره ٢٥ عاماً. وبعد مضى ثلاث سنوات، تعرَّف على فتاة حسناء من بيت شان.. يقول: "زواج من السماء. لقد جاءنى ثلاثة أشخاص من أماكن مختلفة فى أسبوع واحد واقترحوا على نفس الفتاة. وقد التقينا فى القدس. وفى نفس المساء، قررت أن تكون هذه زوجتي. فقد شعرت بوجود تلاقى فى الأرواح. كنت حينها رئيس مكتب الحاخام لاو، وعندما أخبرته بأننى سأتزوج، سألنى من هذه السعيدة..؟ قلت له إنها 'والدتي'.. هذه المزحة أحكيها الآن فى الزيجات التى أعقدها".

عاش بن هروش وزوجته فى مستعمرة "كرمى تسور": "كنت مستعمراً، وقد أصيبت زوجتى خلال الانتفاضة وهى حامل، ثم توجهنا إلى الخليل وواجهنا وابلاً من الحجارة ومن إطلاق النار". ظلا يعانيا إلى أن اقترحت الوكالة اليهودية عليهما السفر فى بعثة إلى كندا: "لقد عشنا أربع سنوات فى مونتريال، وهناك أدركت لأول مرة أن اليهودية هى شيء أكبر من الأرثوذكسية المنغلقة. فهناك تيارات محافظة وإصلاحية، تحافظ على هويتها اليهودية بطرق متعددة. فقد شاهدت فى الولايات المتحدة النساء تصلى ويضعن التفيلين (١)، وأعترف بأنى اندهشت فى أول مرة، ولكنى أدركت أن هذه طريقة يهودية شرعية توجد فى الشريعة. كما أن ميخال بت شاؤول وبروريا زوجة الحاخام مائير، وضعتا التفيلين، ومكتوب فى كتاب "شولحان عاروخ" (٢) أن النساء يستطعن قراءة التوراة. ولكن اليهودية الأرثوذكسية تتجاهل هذا الأمر رغم أنها تعلم ذلك.. وهذا فى تقديرى يعد نوعاً من الحفاظ على اليهودية. حتى الحاخامات فى المغرب كانوا يعطون النساء حرية عدم

ارتداء غطاء الرأس. هناك حالات يجب أن نكون فيها مرنين حتى نحافظ على الشعب، بدلاً من جعله يتخبط".

❖ هل كنت تريد أن تضع ابنتك تفيلين..؟

- "إننى أعلمها المذهب الأرثوذكسي، ولكنها تدرك أن هناك تيارات أخرى فى اليهودية".

عند عودتهما لنتانيا، بدأ يوسى يعمل فى مجمع "درور" التعليمى الواقع فى قلب مستعمرة "هاشارون": "حدث ذلك بعد اغتيال رابين. فقد شاهدت التمزق والانشقاق والفوارق الكبيرة بين الدينيين والعلمانيين. وقد سألنى بعض الطلاب العلمانيين الذين بلغوا سن ١٣ (سن التكليف والبلوغ)، وأصبحوا ملزمين بالمحافظة على الأمور الدينية، عن بعض الأمور الدينية التى لم يعلموا عنها شيئاً، وأبدى الطلاب المتدينين الذين التقيت معهم عدم معرفتهم بالعلوم والتطورات التكنولوجية. لا يوجد أحد كامل..!! لذا، يجب علينا أن نُكمِّل بعضنا البعض".

وبالمشاركة مع شخصيات عامة وتربوية، أنشأ يوسى جمعية "عدالة، معايير، أخلاق" ويطلق عليها اليوم "جمعية تقريب القلوب والتعليم الأخلاقي". وباعتباره رئيساً للجمعية، فإنه ينظم لقاءات بين المتدينين والعلمانيين وبين أناس من الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام.

وقد توقفت هذه الأنشطة عندما أرسلت الوكالة اليهودية الحاخام إلى فرنسا: "توليت إدارة جهاز التعليم اليهودى فى باريس خلال فترة الانتفاضة، عندما كانت ترسم الصلبان المعقوفة على المدارس اليهودية وعلى المعابد التى أضرمت فيها النيران. فرنسا دولة علمانية، وقد طرحت هناك كثير من الأسئلة على اليهود بسبب إصرارهم على التجول فى الشوارع وهم يرتدون الكيباه، والتى تعتبر مثل الوشاح الأصفر الذى يؤكد يهوديتهم. وأعتقد أن أكثر مشهد كان يبعث على الضحك، هو يهودى يرتدى قميص ذو شراريب (يرتديه اليهود المتدينون تحت ملابسهم)، وعجوز يرتدى قبعة فوق الكيباه. وقد بذلت جهداً كبيراً من أجل تهجير اليهود، ونحمد الرب الآن على رؤية النتائج، فقد أصبحت نتانيا ممتلئة بالفرنسيين".

عاد الحاخام منذ ستة أعوام إلى البلاد مع زوجته وأبنائه الأربعة - شيرا (١٨ سنة)، وتعمل حالياً فى مجال التعليم بفرنسا فى إطار تأدية الخدمة الوطنية، رونى (١٦ سنة)، وأورى (١٣ سنة) ويتعلمان فى مدرسة "كريات هرتسوج" الدينية بكفار سابا، ونيطع (١٠ سنوات) - وقد بدأ يوسى فى تطوير طريقة عقد القران.

❖كيف تصف عملك الذى تحظى فيه بشعبية كبيرة وسط الأزواج العلمانيين..؟

- "إننى لا أحب مصطلح علمانيين. فجميعنا يهود. وهناك حاخامات فاسدون وغشاشون. وهناك نساء لا يلتزمن بالشريعة لكنهن مستقيمات ومحترمات. وأنا سعيد بأنه كان بينهن كثيرات لم يرغبن فى عقد زواج دينى إلى أن تعرفن عليَّ. فبدونى كانوا سيشعرون بالتخبط.

❖❖ لا يوجد إكراه:

ران ساريج، هو أديب وسيناريست تليفزيوني، تزوج بعيديت فى السابع من أكتوبر، واختار بن هروش لإتمام عقد قرانه بعدما فكر ملياً فى كثير من الحاخامات.. يقول ساريج: "إننى أعتبر نفسى يهودياً دون أن اختار ذلك. وفى صباح الغد يمكن أن يطرق الألمانيين بابي، لكن الحاخامية تصيبنى بالخوف. ففى شبكة علاقاتى التى كوَّنتها فى الماضي، فضلت أن أعيش فى تل أبيب، وأحضرت للعالم طفلتين من صديقتى آنذاك دون زواج. وعندما قررت أنا وعيدت الزواج خشيت أن تضع الحاخامية صعوبات فى طريقي. فهناك شخص دلنى على الحاخام يوسى وتوجهنا لمقابلته. تحمست من السعادة التى كانت تملئه، لأنه كان يتحدث بلغة بسيطة وواضحة وقد استطاع فى الحقيقة ربط الجمهور باليهودية وبالتقاليد الدينية".

كان ساريج لديه عدة طلبات خاصة: "أخبرت الحاخام أنى أحلم بأن يوافق صديقى جيلى كوفتش على النفخ فى البوق قبل مراسم عقد القران. وأخبرته بأننى أريد اصطحاب كلبتى أثناء المراسم لأنها أوفى صديقة لي، على عكس النساء اللاتى جئن ورحلن إلى حال سبيلهن. كنت واثقاً بأنه سيقول لي: 'كفا إلى هذا الحد'، ولكنه قال لي: 'هل تحب كلبتك العجوز إلى هذا الحد..؟' ووافق على كل شيء طلبته منه. ولا شك أن شخصيته الخاصة هى التى نظمت لنا كل الحفل. ولم يزعجنى أنه قبَّل عيديت. ونظراً لأنى لا أحب الرقص، فقد جلست على البار وتابعته، فقد رقص مع الضيوف حتى نهاية الحفل".

تقول حانا ليسلاو، إحدى الحاضرين فى حفل الزواج، إن المخرج يقول فى إحدى المراحل للممثل "الآن مثل بأسلوبك الحر"، وهذا هو بالضبط وصفى للحاخام يوسي.. فهو كوميدياً تلقائياً، كسر أكثر المواقف حساسية بوقفات كوميدية، وهذا أمر جيد. فالجميع استمتع مع هذا الحاخام خفيف الظل واعتبره مصدراً للتنفس.

❖ هل طلبتى من الحاخام بن هروش عقد قرانك..؟

- "هذه مبالغة. ولكن إن كانت لى زيجة ثالثة، لن يقول أحد نكات سواي".

كما يصف أدير ميلر حفل زفافه بأنه تجربة جيدة: "هناك حفلات زواج ندرك فيها بصعوبة بالغة ما يقوله الحاخام. لكن الحاخام بن هروش كان غاية فى

البساطة، فقد أغرقت نكاته الرائعة الحفل. وكان عقد قران يؤلف بين القلوب".

❖ لقد شاهدتك سيدى الحاخام وأنت تزوج عروس ترتدى فستاناً مكشوفاً.

- "معظم النساء يحترمن هذا الموقف. وحتى عندما يقمن بإعداد فستان مكشوف، فإنهن يضعن عليه شيئاً ما عندما يصعدن إلى مظلة العرس، ولكنى لن أرغم العروس على القيام بشيء يتعارض مع رغبتها. فلا يوجد عندى إكراه على شيء. ففى إحدى حفلات الزفاف، كانت هناك عروس ترتدى فستاناً مكشوفاً، وقامت امرأة من الضيوف بإلقاء شال أسود عليها، فانفجرت العروس فى البكاء، فطلبت أنا من السيدة أخذ شالها، لأننى لا أريد رؤية عروس تبكي".

❖ رأيتك تعقد مراسم قران لا ترتدى فيه والدتا الزوجين غطاءً للرأس.

- "لا يوجد إلزام تشريعى للأمهات بارتداء غطاء للرأس، وإن رفض والد الزوج وضع ء الكيباه على رأسه، فإننى لن أفرض ذلك عليه".

❖ شاهدتك وأن تقبل العروس وأيضاً والدتها.

- "من أول مقابلة لى مع الزوجان وحتى انتهاء حفل الزفاف تنشأ بيننا علاقة محبة، وفى حفل الزفاف أشعر بأنى فرد من الأسرة. وإن أرادت العروس الإعراب عن شكرها لى بقبلة، فهل أصدها..؟ بالطبع لا. كما أننى أرقص مع الزوج والزوجة، وهذا رقص شرعي، وإسعاد الزوج والزوجة أروع شيء فى الوجود".

❖ هل يأتى إليك عروس وهن فى مراحل الحمل..؟

- "كثيرون. حتى الزوجة وهى فى مراحل الحمل تذهب إلى المطهر (بركة مياه يستحم فيها للتطهير). وإذا لم أنجح فى إقناعها للذهاب إلى هناك، لأنها تخاف من التلوث، فإنه لا توجد أى مشكلة دينية. وهناك حاخامات يُزوِّجون يومياً نساء لم يذهبن إلى المطهر أو كانت عليهم العادة الشهرية".

❖ لقد أقرت الحاخامية أن مراسم الزواج التى تجرى يوم الجمعة تتم الساعة الواحدة ظهراً وتنتهى قبل حلول يوم السبت بساعتين. يقال إنك تعقد المراسم فى الساعة الثالثة أيضاً.

- "حفل الزفاف هو أسعد يوم فى حياة الزوج. ومن أكون حتى أقف أمامهم بساعة زمنية..؟ ففى بعض الأحيان تتأخر العروس، وفى أحيان أخرى يتأخر الضيوف، وإننى أقف وأنتظر. إننى أسافر بسيارتى فى جميع أنحاء البلاد، بدون سائق، ولم أدنس يوم السبت مطلقاً".

❖ يقال إنك تعقد مراسم القران فى أماكن مخالفة للشريعة..؟

- "هناك حدائق للحفلات لم تحصل على بطاقة بأنها تتماشى مع الشريعة، نظراً لأنهم غير مستعدون لدفع عشرات الآلاف من الشيكلات سنوياً حتى تقوم الحاخامية بإحاطة منطقة معينة بالأسلاك، وتقول بعد ذلك إنها مكان صالح دينياً كى يقام فيه حفل الزفاف.. ماذا إذن عن إقامة تلك المراسم على شاطئ البحر: هل يجب جعل الرمال والأمواج يتماشين مع الشريعة..؟!".

❖ هل تعقد مراسم القران فى الأماكن التى يقدمون فيها طعاماً بحرياً.

- "لا أتشاور دائماً مع الزوجان فى إعداد قائمة الطعام، ولكن فى الأماكن التى يقدمون فيها طعام لا يتماشى مع الشريعة، توجد قاعات لعقد حفل الزفاف بها طبقاً للشريعة".

❖ يقال أنك عقدت حفل زفاف فى عيد سفيرات هاعومير (٣)..؟

- "لقد كانت زيجة ضابط، وأجريت المراسم فى بداية شهر عيد سفيرات هاعومير، وقد حضرت فقط للمباركة. يجب تغيير الواقع التوراتي، ولكن يبدو أن الحاخامية ليست على استعداد لإجراء إعادة تشكيل لأسلوب الزواج فى دولة إسرائيل".

❖ لقد شاهدتك فى حفلى زواج وأنت تغنى وترقص ساعات طويلة وسمعت أنك سألت عن الكمية التى احتسيتها..؟

- "هذا افتراء، لأننى شديد الحساسية من الكحول، ولم أحتس ولو قطرة واحدة. سعادتى طبيعية، والسعادة بقلب الأحرَف تعنى المسح بالزيت. والسعادة الموجودة فى القلب هى أفضل دواء".

❖ هل تعقد قران الشواذ جنسياً..؟

- "إننى أحترم الشواذ كبشر، وقد أباحوا فى اليهودية المحافظة إمكانية تزويجهم. هناك من يقولون إنهم منحرفون، ولكنى أعتقد أنهم أناس ملائكيون. ولكن عندما يريدون الزواج، فإنهم سيجدون البدائل".

❖ كم تبلغ تكلفة الزيجة..؟

- "طوال فترة عملى لم أطلب قرشاً واحداً على الإطلاق. فهناك أشخاص يحترموننى بمفردهم، وعقدت حفلات زفاف كثيرة تطوعاً. وقد قررت حاخامية تل أبيب عدم الموافقة على كحاخام يضفى البسمة، ومنذ ذلك الحين وكثير من الزيجات تركت حاخامية تل أبيب، نظراً لأنهم أردوا أن أعقد مراسم زواجهم. وقد كانت هذه ضربة اقتصادية للحاخامية فى تل أبيب. وحينما يتصل الأزواج بى للتشاور معي، أحثهم على التوجه إلى الحاخامية فى جفعاتيم، أو فى رامات جان أو رامات هاشارون، فهؤلاء هم أفضل حاخاميات الآن".

❖ ألا تخشى مواصلة هذا العمل، رغم أن الحاخامية سحبت ترخيصك..؟

- "الزوج الذى يرغب فى السعادة يريدني. ولا يريد أى حاخام آخر".

١- التفيلين: هو عبارة عن علبتان صغيرتان من الجلد الأسود مرتبطتان بقاعدة، تحويان الإصحاحات الملائمة من الكتاب المقدس، مكتوبة على ورق. ويتم ربط العلبتين على الذراعين والرأس بواسطة أشرطة جلدية سوداء. ويبدأ الصبى فى وضع التفيلين فى سن الثالثة عشرة. ويتم وضعه فى صلاة الصباح فى أيام الأسبوع، باستثناء أيام معدودة. ويتوجب المحافظة على التفيلين وصيانته، ولا يجوز أن يوضع فى مكان غير نظيف.

٢- شولحان عاروخ: اسم الكتاب الذى وضعه الحاخام يوسف كارو سنة ١٥٦٥ وجمع فيه الفرائض والشرائع اليهودية.

٣- عيد "سفيرات هاعومير": حسب الشريعة اليهودية هى الأيام الواقعة بين عيد الفصح وعيد الأسابيع، وهو عيد مرتبط بالطبيعة. وينظم فيه أعضاء الكيبوتسات وأبنائهم موكباً ويتوجهون للغناء والرقص فى الحقول، ثم تقطع بضع سنابل القمح بطريقة احتفالية، وتوضع فى قاعة الاحتفالات فى الكيبوتسات، وفى بقية أيام العيد يجرى الاحتفال بالعيد وشعائره من خلال الغناء والموسيقى.

حوار مع الممثل الإسرائيلى "مونى موشونوف"

ملحق يديعوت أحرونوت
٢٠٠٧/١٠/٣٠
أجرى الحوار: يوآف برينبرج

منذ أسبوعين، احتل الفيلم الهوليوودى "ملوك الليل" (We Own the Night)، الذى يشارك فيه الممثل الإسرائيلى مونى موشونوف، المرتبة الرابعة فى قائمة أكبر نسبة إيرادات بالولايات المتحدة. ومن المقرر أن يتوجه موشونوف خلال الشهر القادم إلى الولايات المتحدة لتصوير فيلم آخر، ولكنه سيكون هذه المرة مع الممثلة الأمريكية جونيث بالترو، والممثل جاكوين فونكس، والمخرج الهوليوودى جيمس جراي.

ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن موشونوف سيظل بهذا الهدوء تجاه هذه الرحلة المفاجئة إلى هوليوود. فماذا حدث فجأة..؟ يقول موشونوف: "لقد أصبحت طفلاً كبيراً، ولكنى مازلت متحمساً للتمثيل مع أولئك الذين تقرأ عنهم فى الصحف، ومازلت أحرص على ذلك، رغم أنى مازلت صديقاً للمغنى أريك آينشتاين، ولاعب كرة السلة ميكى بركوفيتش".

ولكن عندما نتحاور معه فى التفاصيل، يتظاهر بأن البساط الأحمر هو الذى فعل له ذلك. يقول موشونوف: "عندما كنت صغيراً، دفعنى أبى لدراسة اللغات. فقد كان يعتقد بأن هذا أفضل شيء لي.. ولكنى لم أكن مؤهلا لدراسة أى لغة، ووجدت حينها صعوبة فى دراسة الإنجليزية منذ البداية. وللأسف الشديد، أنه ليس على قيد الحياة، حتى أخبره بأنى أتحدث الإنجليزية الآن بطلاقة وكن فخوراً بي".

❖ وماذا عن حقيقة وصولك إلى القمة فى المجال السينمائى .. أليس هذا مصدر فخر..؟

- "يكفى أنى أشارك فى فيلم باللغة الإنجليزية. وقد قلت ذلك لوالدتى بالأمس. ومازالت الأمور التى تحركنى طفولية، وبسيطة، وحمقاء فى بعض الأحيان".

❖ حسناً وماذا بعد..؟

- "فى الواقع، أستطيع أن أفتخر بأنى أشارك فى فيلم درامى هوليوودي، وأعتبر ذلك نجاحاً كبيراً".

❖ هذا النجاح بالتأكيد لم تكن ترفضه قبل ١٥ عاماً..؟

- "بالتأكيد لم أكن أرفضه. وكنت سأشعر بنفس السعادة التى أشعر بها اليوم، ولكن لم يكن بيدى أى شيء، فالعمل السينمائى يتطلب الخبرة، والآن تعرض على أدواراً كثيرة من هذا النوع. والدور الذى ألعبه فى هذا الفيلم هو شخصية يهودى أمريكي".

يبدو أن موشونوف يخشى العمل الجديد. وحقيقة أنه عاد للعمل مع طاقم يعرف بعضه (المخرج جيمس جراي، وجاكوين فونكس، فى فيلم "ملوك الليل")، تخيفه أكثر من أى شيء آخر: "إننى أتمنى ألا أخيب أمل المخرج والمنتج. وما يجعلنى أشعر بالخوف هو أننى عدت لأعمل مع هؤلاء الأشخاص. لأنك عندما تعمل مع أشخاص لا تعرفهم، تكون لديك فرصة للوقوع فى الخطأ".

إن المخرج "دوفير كوسشفيلي" الذى أشرك موشونوف فى فيلمين هما (" زواج متأخر"، و"هدية من السماء") له دور غير مباشر فى الفيلم الحالي. فقد شاهد جراى بمحض الصدفة فيلم "زواج متأخر"، فى إحدى دور العرض بنيويورك واقتنع بالوجه الجديد ذو الشعر الأبيض الذى يتحدث اللغة الجورجية بطلاقة وكأنه أحد أبناء الجيل السابع بالعاصمة الجورجية

تبيليسي، وأشركه فى دور رجل مافيا روسى يمارس نشاطه فى نيويورك.

وفى الفيلم الذى سيشارك فيه، ولم يُحدد اسمه بعد، يخلع موشونوف بزة العمل الإجرامي، ويرتدى بزة العمل اليدوى حيث يجسد شخصية يهودى صاحب مغسلة "دراى كلين"، يسعى لإيجاد فرصة عمل من أجل جمع المال وضمان مستقبل ابنه.

ولكن مع كل هذه الهالة الهوليوودية الجديدة - التى لم يكن يتخيلها - يفضل موشونوف مواصلة الحديث عن صناعة السينما فى إسرائيل. "يقولون إن هذا أفضل عام فى تاريخ السينما الإسرائيلية، ولكنهم يضخمون من هذا الأمر مثلما اعتادوا. كفي، يجب الإقلاع عن هذا الهراء. صحيح، أن يوسف فيتشحدزا مخرج كبير، لكن لم يشاهد فيلمه (سنة الصفر) سوى ٢٥ ألف شخص، ثم تتحدثون عن ثورة فى السينما..؟! فهذا الرجل العظيم يسير بيننا لكن لا يعرفه الكثير. فما زال الأشخاص المشهورين هم فقط المعروفون.

❖ وهل ينطبق ذلك على فيلمى "زيارة فرقة موسيقية"، و"قلعة الشقيف"..؟

- "(زيارة فرقة موسيقية) فيلم رائع للغاية، ولكنه فيلم صغير. فيلم صغير من حيث أبعاده والحقيقة التى يؤكد عليها فى مضمونه. لا يمكن مقارنته بفيلم "سنة الصفر"، وكذلك فإن فيلم "قلعة الشقيف" هو فيلم رائع من حيث السيناريو والقدرة السينمائية، لكنه يفتقد لغة الحوار".

❖ وماذا عن جوائز الأوسكار..؟

- "لا أعلم من أشاع الحديث الأوسكار .. توجد قوانين محددة عندما يختارون أى فيلم. إننى أحب هذا الفيلم بشدة (يقصد فيلم زيارة فرقة موسيقية). لا تفهمينى خطأ، ولكنى أعتقد أن "سنة الصفر"، و "زواج متأخر" هما أفضل فيلمين إسرائيليين تم إنتاجهما" (يقصد أنهما فيلمين إسرائيليين جيدان ولكنهما لا يرقيا لمرحلة الحصول على الأوسكار).

لا يخشى موشونوف من اللقاء الذى سيجمعه والشقراء بالترو، وإنما يخشى من لقائه مرة أخرى وصديقه المقرب إليه آفى كوشنير، حيث سيبدأ الاثنان نهاية الأسبوع عرض العمل الكوميدى "٣٩ سلمة" على خشبة مسرح "هابيما"، والمأخوذ عن فيلم للمخرج الفريد هتشكوك.

يقول موشونوف: "أعتقد أنها تجربة سارة، فقد عملنا سوياً ١٦ عاماً، ولكننى لم أعمل معه من قبل على خشبة المسرح. فهناك شعور بالارتياح لأنه يرافقنى طوال حياتى المهنية. فهذا نوع من الثقة المهنية المتبادلة، والتى من خلالها يمكن أن يقدم كل منا ملاحظات للآخر دون الشعور بأى إهانة أو استياء".

❖ هل هذا يشبه أول ليلة تقضيها بدون الممثل شلومو برابا..؟

- "إنه من نفس العائلة. برابا هو الشقيق الذى يصنع المشاكل، والعمل مع كوشنير مثل العمل مع ابن العم الذى يمتاز بطهارة القلب. برابا عبارة عن قدرة ذرية وإننى أشتاق إليه بشدة. فلم نعد نتقابل كثيراً خلال الأعوام الماضية، ولا نتحدث سوى فى الهاتف، ولكنى أشتاق بشدة لعمل يجمعنا مرة أخرى، وأثق أننا سنتقابل مرة أخرى، فهؤلاء الأشخاص يمثلون بالنسبة لى ثروة كبيرة".

❖ يبدو أنكما تتفقان بشكل كبير، رغم أن برابا قال كثيراً إنه يجد صعوبة فى التأقلم مع نفسه..؟

- "لأنه شخص شامل. ففى العمل يوجد دائماً تطور تدريجي، ولكن ذلك ليس عنده. فهو يمثل أول مشهد كما لو أنه العرض الأخير. وأعتقد أنه ذو شخصية فريدة فى هذه الأيام، ليس فقط بسبب الصورة التى كونها لنفسه. فنحن نتحدث دائما عن كونه شخصية مهووسة ونغفل أنه موهوب للغاية".

❖ هل تشاجرتم أحياناً..؟

- "لقد تشاجرنا كثيراً، لكن فى العمل. وأنا لست من هواة المشاكل ولا أحب الاندفاع. فلدى معايير أساسية لاحترام الأشخاص. وهذا لا يعنى أننى شخص كامل. حيث إن مزاجى أصبح مثل المزاج الإسرائيلى السيئ، وأصبحت أميل للغضب من الظلم الذى أتعرض له، لكنى أعتذر فى النهاية".

❖ من الذين تغار منهم..؟

- "الأشخاص الذين يعيشون ببساطة ولا يأخذون الأمور بجدية مثلي، ولا يهتمون بكل الأمور بنفس القدر. كما أغضب ممن يحملون بطاقة ائتمان وعندما يريدون مجاملة شخص ما، ينشرون له إعلاناً كبيراً فى الصحيفة. فهذا الأمر يثير أعصابي".

ليست الإعلانات الضخمة تثير أعصاب موشونوف فحسب، وإنما أيضاً المسرح الإسرائيلى بوجه عام: "أعتقد أن عدم مشاركتى فى عمل على نفس المسرح مع ممثلين أمثال ساسون جباى أو كيرن مور يعد خسارة كبيرة". وقد تذمر قائلاً: "هذه تعتبر حماقة. حيث أنى أعمل فى مسرح "هابيما"، وساسون فى مسرح "بيت لاسين"، وكيرن فى مسرح "كامري". وهم يتحدثون عن الخصخصة. لا يجب الحديث عن ذلك فى المسرح الإسرائيلي. يجب أن يتعاونوا مع بعضهم بشكل أكبر بدلا من العداوة".

يوجد انطباع بأن موشونوف يعانى فى المسرح بوجه عام: "أعتقد أنى لن أعمل بنفس المستوى على خشبة المسرح لفترة طويلة، وإننى لا أقول ذلك بسبب النجاح الأخير الذى حققته. ولكنى أؤمن بأنه لا يجب التواجد فى نفس المكان فترة طويلة. وأعتقد أن هناك ممثلين فى مسارح أخرى يعملون هناك منذ وقت طويل، ويتعين عليهم تغيير مكان عملهم".

◆ ومـاذا سـتعمل إن كنت تريد أخـذ راحـة من المسرح..؟

- "هناك فرصة للعودة إلى البرامج الترفيهية. فإنني لم أعد أفعل ذلك الآن. وقد بدأت بالفعل فى كتابة المادة، ومقابلة بعض الأشخاص. والمادة التى أجمعها حالياً شخصية للغاية، ولا أفكر فى إشراك أحد معي. فلدى كراسة تتضمن أفكاراً وحوارات، وأهتم حالياً بإكمالها".

فى غضون أسبوعين، ستعرض قناة "هوت" مسلسل "يجب أن تخرج الكلب" تأليف وإخراج نير برجمان ويجسد فيه شخصية بن زوجة أورلى زيلفرشتس. كما أنهى موشونوف تصوير حلقتين من مسلسل "فى العلاج"، وسيبدأ قريباً تصوير مشاهد إحدى المسلسلات. ولا يمكن نسيان المسلسل الناجح "كيتساريم".

◆ هل أنت راضى عن ذلك..؟

- "هناك مشاكل حول مسلسل "كيتساريم"، فبدلاً من أن تسمح لنا هيئة البث بتصوير حلقات جديدة سنوياً، فإنهم يستغلون العرض مرة أخرى، ونقوم بتصوير حلقات جديدة كل عامين ونصف. ليس هذا فحسب، بل إن نفس الشبكة تنتج مسلسلات منافسة لـ "كيتساريم".

◆ متى ستكون راضياً..؟

- "فلتندهش، إننى رغم ذلك أشعر بالرضا. فقد وصلت إلى درجات لم أتخيل أنى سأصل إليها. وفجأة، أصبحت أشارك فى أعمال درامية. وإن كنت سألتنى قبل عشرة سنوات، عما إذا كنت أرغب فى تمثيل أدوار درامية، كنت سأجيب عليك بأنه يمكن تمثيل أعمال درامية-كوميدية. ولكن المخرجين فيتشحدزا وكوساشفيلى اكتشفا طاقة أخرى داخلي، وإننى أدين لهم بالشكر طوال حياتي. فهما أول من نظر إلى على أننى ممثلاً جاداً وليس كوميدياً".

◆ هل تعتبر نفسك مرشحاً للحصول على جائزة إسرائيل فى المسرح..؟

- "لا.. لأننى لم أسهم فى الثقافة الإسرائيلية بشكل كبير. صحيح أن الخروج من التخبط عن طريق الفن أمر جيد، ولكن هذا ليس الشيء الذى تمنح جائزة من أجله. يجب أن تمنح جائزة إسرائيل للأشخاص الذين أنقذوا حياة البشر، للأشخاص الذين يغيرون من حياة الآخرين، الذين يقومون بحماية العالم، الذين لا تكون مبادئهم مرهونة بآخر صيحات الموضة. وأنا لست مثل هؤلاء. إننى فقط مونى موشونوف".

يُركز موشونوف على استعادة قواه مرة أخرى. ويعترف قائلاً: "لقد بدأت أشعر بكبر السن منذ العام الماضي، وبدأت فى مشاهدة أعمال جيل الأبناء، ولا أستطيع الشعور سوى بذلك".

◆ هل تشعر بكبر السن إلى هذا الحد..؟

- "إننى أستخدم الآن كريمات للوجه، ولا يوجد أمامى أى خيار. حيث إن جلدى بدأ يضعف. وأصبح وجهى مثل الحقل المحروث. وقد كنت رياضياً نموذجياً، لكن ظهرى قد انحنى الآن".

◆ تبدو جاداً فيما تقول.

- "لقد بدأت فجأة أسترجع أموراً كانت تحدث فى الماضي. أموراً كنت أحفظها فى الذاكرة بدأت تخرج فجأة. وبدأت أكتب كثيراً..وإننى أريد توسيع الطريق للشباب، ومنحهم كثير من الأمل. فقد شعرت بالتخبط مرات كثيرة، وخاصة فى مرحلة النضوج. وأريد الآن أن يستمد هؤلاء الشباب قوتهم مني".

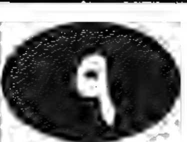
◆ هل هذا نوع من الخوف من الشيخوخة..؟

- "بالتأكيد. ولكننى لا أشغل بالى بالخوف .. إننى أميل أحياناً للوجود فى أماكن الترفيه مع هذا الجيل وأحاول توصيف الأمور بشكل أفضل".

◆ هل ما زلت تحلم..؟

- "بالتأكيد. هناك كثير من الأحلام. ففى بداية عملي، قلت إن التغير الذى سيطرأ على أسلوب حياتى سيكون عندما أبلغ ٤٢ عاماً. وقد حدث ذلك وأنا فى الخمسينيات. ولكنى لا أشعر بالأسف الآن. بل على العكس، إننى أريد القيام بأمور أخرى: إخراج فيلم، تدريس الفن للطلاب فى الجامعة، تدريسما هى السينما، وما هو المسرح وما هو التمثيل".

◆ ترجمات عبرية ◆



استطلاعات

مقياس السلام لشهر أكتوبر ٢٠٠٧ (*)

أجراء: إفرايم ياعر وتمار هيرمان
هاآرتس ٢٠٠٧/١١/٧

◆ مَنْ يؤمن بمؤتمر أنابوليس..؟

لم تغير الأنباء المتوالية التى تتردد حول انعقاد مؤتمر أنابوليس قريباً توقعات الجمهور اليهودي، حيث إن نسبة من يؤمنون بأنه قادر على تقريب وجهات النظر فى الخلافات بين إسرائيل والفلسطينيين، أو دفع فرص التوصل لاتفاق سلام للأمام، أقل بكثير من نسبة من يعتقدون أنه سيؤتى بثمار جيدة، وهى النتيجة التى شاهدناها الشهر الماضى أيضاً.. صحيح أنه من خلال مقارنة النتائج بنتائج الشهر الماضي، يتضح ارتفاع ما فى مدى اهتمام الجمهور بالأنباء الخاصة بأحداث ما قبل المؤتمر، إلا أن السواد الأعظم يتابعها أحياناً، أو لا يتابعها إطلاقاً. وهكذا، فإن معظم اليهود فى إسرائيل يعتقدون أن مؤتمر أنابوليس للسلام سيبوء بالفشل.

لا يرجع الاهتمام القليل بالمؤتمر فقط إلى لامبالاة الجمهور حيال ضرورة استئناف مسيرة السلام، وإنما أيضاً لأن الكثيرين يعتقدون أنه أكثر أهمية بالنسبة للفلسطينيين عن إسرائيل.. ولكن من خلال الجمع بين عدد من يعتقدون أنه أكثر أهمية لإسرائيل، ومن يعتقدون أنه مهم لكلا الطرفين بنفس القدر. يتضح أن هناك نسبة كبيرة تعتقد أن السلام مهم أيضاً لإسرائيل. ومن ثم، هذا الرأى يعزو إلى أن الاعتقاد السائد هو أن الفلسطينيين يشكلون تهديداً أمنياً جاداً على إسرائيل، ولذا فإن الكثيرين يعتقدون أن السلام وسيلة لتقليل هذا الخطر.

فى غضون ذلك، يتضح الآن أيضاً - كما كان الحال فى الماضى - أن هناك أغلبية كبيرة تعتقد أن معظم الفلسطينيين مازالوا غير موافقين على وجود دولة إسرائيل، وكانوا سيقضون عليها لو واتتهم الفرصة. وهذا المناخ الجماهيرى قد يفسر التأييد الكبير لقرار الحكومة بالرد على استمرار سقوط صواريخ القسام بوسيلة تمس بالسكان المدنيين أيضاً، مثل قطع الكهرباء أو تقليل إمدادات الوقود.

ومن ثم، إذا كان عدد كبير من اليهود يعتقدون أن إقرار السلام مهم لتقليل التهديد الأمنى الفلسطيني، إلا أنهم يؤيدون أيضاً اتخاذ خطوات عقابية ضد السكان المدنيين فى قطاع غزة، بسبب استمرار إطلاق صواريخ القسام.

ورغم ذلك، يبدو أن الجمهور اليهودى لا يخشى من الانهيار أمام التهديد الفلسطيني، حيث تعتقد الغالبية العظمى أنه فى ظل استمرار الوضع الحالي، يستطيع المجتمع الإسرائيلى الصمود لفترة أطول من حيث المناعة الداخلية مقارنة بالمجتمع الفلسطيني. وفى هذا الصدد، تعتقد نسبة كبيرة أن وضع المجتمع الإسرائيلى الآن بعد مرور سبع سنوات على اندلاع الانتفاضة الثانية، أفضل بكثير من وضع المجتمع الفلسطيني. وفضلاً عن الثقة فى قدرة المجتمع الإسرائيلى على الصمود، فإن الاعتقاد السائد هو أنه من أجل التوصل لاتفاق سلام، ستضطر إسرائيل لتقديم تنازلات كبيرة مقارنة بالفلسطينيين - وهو ما قد يفسر الخلافات فى الرأى بشأن استئناف مسيرة السلام، أى أن معظم اليهود يعتقدون أن وضع المجتمع الإسرائيلى الآن أفضل من المجتمع الفلسطيني، ولذا فإن إسرائيل قادرة على تقديم تنازلات أكبر فى مسيرة السلام.

وفيما يتعلق بالاختيار بين البدائل المحتملة لتقديم تنازلات إسرائيلية، يبدو أن الجمهور اليهودى لديه جدول أولويات واضح، حيث يعطى أولوية كبيرة للحفاظ على أغلبية يهودية فى إسرائيل ولتحقيق اتفاق سلام، وذلك على الحفاظ على أرض إسرائيل الكاملة.

فى المقابل، يعطى أولوية للحفاظ على الطابع الديموقراطى لإسرائيل على الحفاظ على طابعها اليهودي، ولكن بفارق ضئيل للغاية مقارنة بالفوارق فى الاختيارين السابقين.. ومن هذا نستنتج أن معظم الجمهور اليهودى يفضل الحفاظ على الطابع الديموقراطى - اليهودى للدولة على رؤية أرض إسرائيل الكاملة.

❖ وفيما يلى أهم نتائج مقياس السلام الذى أُجرى يومى ٢٩-٣٠ أكتوبر ٢٠٠٧:

تعتقد أقلية كبيرة، تبلغ ٤٠٪ من الجمهور اليهودي، أن مؤتمر أنابوليس قد يؤدى لتقريب وجهات النظر بشأن الخلافات الرئيسية بين إسرائيل والفلسطينيين، بينما تعتقد الأغلبية - ما يقرب من ٥٠٪ - أنه لن يؤدى لذلك، والباقون لا يعرفون. وهو ما اتضح أيضاً فيما يتعلق بالسؤال عما إذا كان المؤتمر قادر أم غير قادر على دفع فرص التوصل لاتفاق سلام دائم بين الطرفين، حيث أجاب ٤٠٪ فقط بأنه قادر، مقابل ٥١٪ يعتقدون أنه غير قادر على تحقيق نتائج جيدة.

وهذه النتائج تشبه كثيراً النتائج التى اتضحت فى شهر سبتمبر (المقياس السابق)، أى أن مرور الوقت لم يؤد إلى رفع سقف التوقعات الإيجابية من المؤتمر القريب. كما أن اهتمام الجمهور بالاستعدادات للمؤتمر ظل كما هو قليل للغاية، وإن كان قد ارتفع قليلاً مقارنة بالشهر الماضي. وهكذا، فإن ٢٧٪ يتابعون اليوم الأنباء حول المؤتمر بشكل مستمر (أول بأول)، و٤٧٪ يتابعونها أحياناً، فى حين لا يتابعها ٢٣٪ تماماً، أما الباقون فلم يسمعوا عن المؤتمر أو لم يجيبوا على هذا السؤال أساساً (النسب المقابلة فى الشهر الماضى كانت بالترتيب ٢٠٪، ٤٨٪ و٢٩٪).

وعلى السؤال عمن يهمه أكثر استئناف مسيرة السلام..؟ أجاب ٣٧٪ أنهم الفلسطينيون، بينما أجاب ٢٩٪ أن إسرائيل هى الأكثر احتياجاً للسلام، فى حين اعتقدت نسبة مشابهة (٢٩٪) أن الطرفين فى حاجة للسلام بنفس القدر (٣٪ يعتقدون أنه غير ضرورى للطرفين)، أما الباقون فلا يعرفون.

ورغم أن الجمهور يميل بقدر ما للاعتقاد بأن الفلسطينيين فى حاجة أكبر لاستئناف مسيرة السلام، فإن الجمع بين مَنْ يعتقدون أن لإسرائيل حاجة كبيرة، ومَنْ يعتقدون أنه ضرورى للطرفين، يتضح أن أغلبية كبيرة (٥٨٪) تعتقد أن السلام ضرورى أيضاً لإسرائيل.

من ناحية أخرى، قد يكون الاعتقاد بأن السلام مهم لإسرائيل مرهون بالاعتقاد السائد (٦٨٪) بأن الفلسطينيين يشكلون الآن تهديداً أمنياً جاداً (٢٩٪ لا يعتقدون ذلك). والحقيقة أن هناك علاقة بين الاعتقاد بأن التهديد الفلسطينى كبير، والاعتقاد بأن السلام ضرورى لإسرائيل، فمن بين مَنْ يعتقدون أن الفلسطينيين يشكلون تهديداً، تتشابه نسبة من يعتقدون أن السلام ضرورى لإسرائيل (٣٣٪). وفى المقابل، فإنه من بين مَنْ لا يعتقدون أن الفلسطينيين يشكلون تهديداً، نجد أن نسبة من يعتقدون أن السلام أكثر أهمية للفلسطينيين (٤٩٪) تزيد كثيراً على نسبة من يعتقدون أنه أكثر أهمية لإسرائيل (٢٠٪).

وفى غضون ذلك، هناك اتفاق عريض بين الجمهور اليهودى (٦٥٪) بأن "معظم الفلسطينيين لا يوافقون على وجود إسرائيل، وأنهم كانوا سيقضون عليها لو واتتهم الفرصة". تجدر الإشارة إلى أن هذه النتيجة ليست غريبة، وأن هذه النسب تظهر بين الجمهور اليهودى على مر السنين، بدءاً من منتصف التسعينيات. وقد تفسر المخاوف السائدة من التهديد الفلسطينى واستمرار سقوط صواريخ القسام، التأييد الكبير لقرار الحكومة بالرد على إطلاق الصواريخ بوسائل تمس السكان المدنيين، مثل قطع الكهرباء أو تقليل إمدادات الوقود، حيث يؤيد ٧١٪ اتخاذ تلك الخطوات، بينما يعارضها ١٢٪ فقط. ومن بين المعارضين، هناك نسبة قليلة تبرر موقفها بالاعتبارات الإنسانية (المساس بالسكان المدنيين) مقارنة بمن يعارضون لأسباب مبررة (هذه الوسائل لن تؤدى لوقف إطلاق صواريخ القسام).

تجدر الإشارة إلى أن من بين ناخبى كل الأحزاب، هناك أغلبية بين ناخبى حزب ميريتس فقط تعارض قرار الحكومة.

رغم ذلك، وعلى النقيض من رأى الشيخ حسن نصر الله بأن المجتمع الإسرائيلى ضعيف كخيوط العنكبوت، يبدو أن الجمهور اليهودى يقدر بشدة صمود المجتمع الإسرائيلى فى مواجهة الفلسطينيين. ومن ثم، يعتقد ٧٠٪ أنه إذا استمر الوضع الحالي، يستطيع المجتمع الإسرائيلى الصمود أكثر، من حيث المناعة الداخلية، مقارنة بالمجتمع الفلسطيني، فى حين أن ١٢٪ فقط يعتقدون أن العكس هو الصحيح.

وفى هذا الصدد، ورداً على السؤال التالي: "اليوم بعد مرور ٧ سنوات على اندلاع الانتفاضة الثانية، عندما تفكر فى وضع المجتمع الإسرائيلى والمجتمع الفلسطيني، ما هو فى رأيك المجتمع الذى يعتبر وضعه أفضل..؟" أجاب (٦٣٪) بأنه المجتمع الإسرائيلى و١٤٪ بأنه المجتمع الفلسطينى (١٤٪ أجابوا بأن وضع المجتمعين سيئ، بينما أجاب ٢٪ بأن وضعهما جيد بنفس القدر، والباقون لا يعرفون).

ورغم الثقة فى قدرة المجتمع الإسرائيلى على الصمود. هناك أغلبية بين الجمهور اليهودى (٥٨٪) يعتقدون أنه لو تم استئناف مسيرة السلام، ستضطر إسرائيل لتقديم تنازلات أكبر من الفلسطينيين، بينما

يعتقد ٢٠,٥٪ أن الفلسطينيين هم الذين سيضطرون لتقديم تنازلات أكبر - وهو ما قد يفسر نسبياً الخلافات في الرأى بشأن استئناف مسيرة السلام.

على أية حال، يبدو أن الجمهور الإسرائيلى لديه جدول أولويات واضح فيما يتعلق بماهية تلك التنازلات. فعند الاختيار بين فكرة أرض إسرائيل الكاملة والحفاظ على أغلبية يهودية فى إسرائيل، يفضل ٢٧٪ الهدف الأول، فى حين يفضل ٥٦٪ الهدف الثاني، و١١٪ يولون نفس القدر من الأهمية للهدفين (٢٪ يعتقدون أن الهدفين غير مهمين والباقون لا يعرفون).

وعندما يكون الاختيار بين الحفاظ على أرض إسرائيل الكاملة والتوقيع على اتفاقيات سلام مع دول عربية أو مع الفلسطينيين، نجد أن ٥٤٪ يفضلون البديل الثانى و٣١,٥٪ يفضلون البديل الأول (٩٪ يولون نفس القدر من الأهمية للبديلين، و١,٥٪ لا يولون أهمية لأى منهما، والباقون لا يعرفون).

ولكن عندما يكون الاختيار بين الحفاظ على الطابع اليهودى لإسرائيل، والحفاظ على طابعها الديموقراطي، يفضل ٤٨٪ الحفاظ على طابعها الديموقراطى و٣٤٪ يفضلون الحفاظ على طابعها اليهودى (١٤,٥٪ يولون نفس القدر من الأهمية للهدفين، والباقون لا يعرفون).

صحيح أن هذه البيانات توضح أن هناك تفضيلاً كبيراً للطابع الديموقراطي، إلا أنه ضئيل مقارنة بالفوارق السابقة. علاوة على ذلك، فعندما تم تقصى هذه المسألة منذ ما يزيد على عقد (يونيو ١٩٩٦)، ظهرت نفس الفوارق فيما يتعلق بالاختيار بين فكرة أرض إسرائيل الكاملة، والحفاظ على أغلبية يهودية فى إسرائيل، وبين أرض إسرائيل الكاملة، والتوقيع على اتفاقية سلام، غير أن الفارق لصالح الطابع الديموقراطى لإسرائيل كان أكبر: ٥٧,٥٪ أيَّدوا آنذاك الحفاظ على الطابع الديموقراطي، و٢٩٪ أيَّدوا الحفاظ على الطابع اليهودى لإسرائيل. بعبارة أخرى، لازالت الديموقراطية تحافظ على موقع الصدارة، ورغم أن مكانتها تراجعت بصورة لا يستهان بها، فإن مكانة القومية اليهودية قويت.

(❖) مؤشرات السلام لشهر أكتوبر ٢٠٠٧:

بلغ مؤشر أوسلو فى إجمالى العينة: ٤٠,٧، وبلغ فى العينة اليهودية: ٣٧,٦ .

بلغ مؤشر المفاوضات فى إجمالى العينة: ٥٣,٣، وبلغ فى العينة اليهودية: ٤٩,٤ .

يجرى مشروع مقياس السلام فى مركز تامى شتاينمتس لأبحاث السلام وبرنامج إيفنس Evensفى جامعة تل أبيب لبحوث النزاعات وتسويتها، برئاسة البروفيسور إفرايم ياعر والبروفيسور تمار هيرمان. أجرى الاستطلاعات الهاتفية معهد ب.ي. كوهين فى جامعة تل أبيب فى يومى ٢٩ و٣٠ أكتوبر ٢٠٠٧، وشملت ٥٩٩ مشاركاً يمثلون السكان الراشدين من اليهود والعرب فى إسرائيل (بما فى ذلك يهودا والسامرة "الضفة الغربية"، وقطاع غزة، والمستعمرات التعاونية "الكيبوتس"). وتبلغ نسبة الخطأ فى العينة نحو ٤,٥٪.

مقياس التهديدات الأمنية لشهر نوفمبر ٢٠٠٧ (*)

بقلم: د. جاى بيخور

المصدر: www.gplanet.co.il

٢٠٠٧/١١/١٤

كيف أثرت "التدريبات" التى أجراها حزب الله على مقياس التهديدات الأمنية..؟ واعتراف إيران الجديد بوجود برنامج لتطوير أسلحتها النووية..؟ والإهانة السورية المتواصلة بعد عملية القصف..؟

هل تراجع مقياس التهديدات الأمنية هذا الشهر أم ارتفع..؟

❖ الخطر الفلسطيني، والإرهاب التقليدي، والانتفاضة (٧,٣ مقابل ٧,٥ فى الشهر الماضي):

لا مجال للشك فى أن التهديد الأكبر يتمثل الآن على الساحة الفلسطينية. وفقاً لأغلب الآراء. رغم أنه محدود فى حجمه نسبياً مقارنة بباقى المقاييس الأخرى.

وقد ترك الساسة انطباعاً بأنه من الخطأ شن عملية برية واسعة النطاق (يقصد على قطاع غزة). وأعتقد أنها لن تنشب فى نهاية الأمر، نظراً لأنه من المعروف أن القطاع ينطوى على مشاكل. ومن ثم، يمكن الاهتمام بمشكلة صواريخ القسام بشكل محدد، وعلى مستوى بنيته التحتية (ربما يقصد تدمير المصانع التى تقوم بتصنيعه). ومن المؤسف أن عنصراً ليس لديه الصلاحية لذلك، سواء كان المستشار القانونى أو أى مسئول قانونى آخر، لم يوافق على ذلك. وعليه أن يتذكر أن قدسية الحياة والحق فى العيش تفوق كل المعايير.

كان خطر تفجر الموقف على صعيد الأحداث فى غزة سيزداد هذا الشهر، لولا حمام الدم الذى سال بين حماس وفتح، وأسفر عن عشرات القتلى، والجرحى ومئات المعتقلين. وهذا يعنى أنهما خلال الأشهر القادمة، سينشغلان بعلاقتهما مع بعضهما بعضاً، وبشكل أقل بنا.

وقد أدى ذلك إلى أنه بدلاً من البقاء على مستوى محدد، فإن هذا المقياس يتراجع من ٧,٥ إلى ٧,٣ درجة، وتعد هذه أعلى نسبة خطر من باقى المقاييس، وإن لم تكن بقدر كبير، لأنه بحسبة رياضية بسيطة يتضح أن المقياس الفلسطينى ذو درجة تأثير ضئيلة.

وقد تسببت العمليات الميدانية المباركة التى يشنها الجيش الإسرائيلى فى عمق قطاع غزة بشكل شبه يومى إلى وقف تقدم هذا المؤشر. وهذه العمليات تقوم بتنفيذها وحدات كوماندوز محدودة، تهدف إلى تدمير أهداف تنطوى على مشاكل، كانت مُراقَبة فى الأشهر الأخيرة دون أى تدخل.

وفيما يتعلق بالتهديدات الإرهابية القادمة من الضفة الغربية، نقول إنه لولا آن الجدار الأمنى والإصرار الشديد من جانب الجهاز الأمنى والجيش الإسرائيلى على وقف العمليات الإرهابية، كنا سنشهد عمليات تخريبية داخل إسرائيل، ترغب فى شنها كل من حماس والجهاد وكذلك فصائل حركة فتح. وقد شاهدنا وقوع عملية إطلاق نار لم تحدث منذ وقت طويل فى ٢٤ أكتوبر الماضي، عند مفترق آريئيل، أسفرت عن إصابة أحد الجنود بإصابة بالغة. وقد نفذت حركة فتح هذه العملية، فى الوقت الذى نتوجه فيه معها إلى مؤتمر أنابوليس.. فالملاحظ أنه كلما اقترب موعده، يزداد الإصرار على شن عملية هجومية استعراضية، ومع ذلك فإنها عمليات فى النهاية محدودة فى حجمها.

واحتمالات مخاطر نشوب انتفاضة كبيرة غير متوقعة، فى المقام الأول بسبب انهيار المؤسسات الاجتماعية الفلسطينية المؤيدة لذلك، وتردى الأوضاع هناك. كما أن مجتمعنا قفز للأمام بحصانته القومية، فى الوقت الذى ينزف فيه الفلسطينيون دماءهم بين غزة والضفة الغربية، وبين التوقعات الكثيرة فى العقد الأخير والتى تنبأت بوجود واقع صعب فى المناطق (الفلسطينية). ويجب أن نضيف إلى هذا، انهيار الاقتصاد الفلسطيني، حيث يدور اليوم إجمالى الناتج القومى فى غزة والضفة الغربية حول ٢,٥ مليار دولار سنوياً (فى مقابل نحو ١٨٠ مليار دولار فى إسرائيل).

❖ حزب الله والقاعدة (٥,٩ درجة مقابل ٦ خلال الشهر الماضي):

يحاول حسن نصر الله تسوية أموره معنا مرة أخرى، وفى معظم الأحيان ينجح فى ذلك، ولكن وضعه فى لبنان يثير حالة من القلق هذه المرة. فهذا التدريب الذى أجرى مطلع شهر نوفمبر، جنوبى الليطاني، يشبه لدرجة كبيرة أنشطة الكشافة عن كونها أنشطة تنظيم إرهابى مسلح، حيث إن حسن نصر الله التزم بالقواعد ولم يُدخل أسلحةً إلى جنوب الليطاني، حتى وإن كان قد تجاوز ذلك قليلاً، ولكن يحظر عليه القيام بأى أنشطة هناك.

ويبدو أن نصر الله يواجه أزمة كبيرة فُرضت عليه: ففى حالة عدم وجود نزاع مع إسرائيل، لا يوجد حزب الله، وتحديداً ليست هناك حاجة لحزب الله. ويحاول الآن إظهار أنه مازال يلعب دوراً هاماً، ولكن تدريباته فى نهاية الأمر لم تلق ترحاباً فى لبنان.

صحيح أنه فكر كثيراً فى كيفية إيجاد حل لهذا، ولكن الآن لا يوجد أمامه أى بديل. ففى إطار القواعد الموضوعة لا يستطيع اختطاف جنود، أو إطلاق نار على إسرائيل، أو القيام بأى تدخلات محدودة أخرى.

أما القاعدة فهى تواصل تنظيم نفسها على المستوى العالمي، وليس تجاهنا تحديداً.

❖ سوريا وإيران (٥,٨ درجة مثل الشهر الماضي):

سوريا، التى تضمد جراحها من إهانتها العلنية عندما قصفت منشآتها النووية، تقلقنى بشدة. فهى أيضاً تخصب مواد نووية، وتكذب فى هذا الصدد، كما تكذب إزاء شدة الهجمة، كما خسرت كل ما نجحت فى إخفائه. يا لها من مشكلة صعبة. لو كان بمقدوره، كان بشار سيفعل أى خطوة عسكرية، لكن هذا الأمر محدود جداً بسبب الضغوط الدولية، وجيشه الضعيف، ومحدود كذلك بسبب الانتخابات اللبنانية، وتورط حليفته إيران. ولعله قد استقبل بقلق كيفية استقبال رئيس دولة إسرائيل فى تركيا، وعندما يعلم أن الأتراك تجمعهم علاقات وطيدة بنا على الصعيد الأمني، فإن هذا الأمر لا يجعله يشعر بالراحة.

فى هضبة الجولان مازال الوضع متوتراً، ولكن مازال هناك نوع من الردع، مما يشير إلى عدم نشوب أى حرب. لقد شاهد السوريون التدريب الذى أجرى هذا الشهر على مستوى الجيش الإسرائيلى بأفرعه المختلفة. وباتوا يدركون جيداً أن أخطاء حرب لبنان الثانية لن تتكرر.. وربما ما يؤكد ذلك هو صعود منحنى الخطر الأمنى من جانب سوريا فى مطلع الصيف، وتراجعه بعد ذلك.

كان الأسد يرغب بشدة فى تشكيل "مقاومة" ضد إسرائيل فى هضبة الجولان، لكن ما العمل..؟! فليس لديه مواطنون. وهذا هو السبب الذى جعله يأمر بمنح جنسية سورية للدروز فى الجولان خلال هذا الشهر.

لقد فاجأت إيران العالم أمس، عندما اعترفت تحديداً بأن لديها برنامج لتطوير السلاح النووي.. فهذه

المعلومة تشير إلى مدى شدة الخطر، ومدى شدة التوتر الذى تتعرض لهما طهران. وتصورى أن اختناق إيران اقتصادياً يثبت ذلك، فإن لم يكن كذلك، لما اعترفت بنواياها بتصنيع أسلحة نووية.

وما المغزى من هذا الأمر..؟ هم يعترفون، ويقولون إنهم يتعاونون مع الأمم المتحدة، لمنع فرض عقوبات أخرى، تخنقهم تماماً. فهم يرخون الحبل حتى لا يتمزق. ومن هذا المنطلق، فإن مواصلة فرض مزيد من العقوبات غاية فى الأهمية، من أجل ردع دول أخرى آثمة فى المستقبل.

تتظاهر إيران بأنها لا تولى أهمية بشأن مواجهة حرب شاملة، وأنها ستواصل البحث عن شرعية للمحافظة من ناحية على برنامجها النووي، ومن ناحية أخرى بأقل الأضرار. انتبهوا إلى التصريحات التى يرددها أحمدى نجاد دائماً أثناء زيارته للمدن الصغيرة، حيث يعلن: "إننا قمنا بتشغيل ٣٠٠٠ جهاز طرد مركزى للاستهلاك الداخلي، وأن الأمر يحدث صدى فى جميع أنحاء العالم".

وبوجه عام، إن كان هناك سلاح نووى إيراني، فإنه ليس موجه ضدنا، ولكن الهدف منه هو إحكام السيطرة على الخليج الفارسى (الخليج العربي)، مثلما كان الشاه يتطلع لأن يصبح شرطى الخليج. وتهدف التهديدات الموجهة لإسرائيل إلى إضفاء شرعية على ذلك. وإننى لم أكن منزعجاً على الإطلاق من التهديد بإبادة إسرائيل (فالأمر يتضخم عندنا أيضاً للاستهلاك الداخلي).

لذا، يجب إضافة الدعاوى الآخذة فى الازدياد داخل إيران بوقف سياسة أحمدى نجاد الانتحارية. وعلى سبيل المثال، قال هذا الشهر "آية الله حسين على منتظري" إن "المسألة النووية يجب أن تحل عن طريق الدخول فى مباحثات مباشرة مع الولايات المتحدة للحيلولة دون نشوب حرب.. ويجب أخذ التهديدات بشن عملية عسكرية محتملة بجدية". كان من المقرر أن يخلف منتظرى الخمينى فى الحكم، ولكن الخمينى فضل فى اللحظة الأخيرة خامنئى كى يخلفه فى الحكم، خشية أن يهمشه منتظرى بعد ذلك.

وبسبب كل ذلك، ظل مقياس التهديدات من جانب إيران كما هو "تهديد متوسط" (٤-٧ درجات) مع تراجع بسيط. ومن المهم إدراك أن إسرائيل يمكنها أن تخطئ وتهاجم بنفسها إيران كخطوة استباقية. ولم يتضح، على سبيل المثال، مدى اعتزام وزير الدفاع، عندما قال مؤخراً إننا "نعمل فى كل المجالات (على الصعيد الإيراني) بعيداً عن أعين الجمهور".

ومن خلال دراسة البيانات، والتركيز على المؤشر "ج" (سوريا وإيران) بصورة تفوق المؤشر "ب" (حزب الله)، وبشكل أكثر من المؤشر "أ" (الإرهاب الفلسطيني)، فإن مقياس التهديدات الأمنية على إسرائيل لشهر نوفمبر ٢٠٠٧ هو ٦ درجات، وهو بذلك يكون قد تراجع بشكل طفيف مقابل الشهر الماضى (٦,١٥).

(❖) مفتاح المقياس (من ١ وحتى ١٠ درجات) بحيث يكون أدنى حد للتهديد (١)، وأعلى حد (١٠)، وفقاً للتدرج العام التالي: تهديد منخفض (١-٤)، تهديد متوسط (٤-٧)، تهديد مرتفع (٧-١٠).

مؤشر الفساد: "أولمرت وهيرشيزون فى الصدارة"

بقلم: يهوشواع برينر
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٧/١١/٧

يكشف استطلاع للرأي، أجراه معهد مأجر موحوت لحساب مؤتمر سديروت، أن أولمرت وهيرشيزون ورامون وليبرمان هم أكثر الوزراء فساداً فى نظر الجمهور الإسرائيلي. أما الوزيرة الأكثر استقامة فهى ليفني.. كما كشف أيضاً عن أن "واحد من كل ثمانية أشخاص يعرف شخصاً دفع رشوة".

يعتقد سكان إسرائيل أن رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزير المالية السابق أفراهام هيرشيزون هما السياسيان الأكثر فساداً.. هذا ما يظهره "استطلاع الفساد" الذى تعرض بياناته كل عام خلال مؤتمر سديروت للشئون الاجتماعية، حيث أجاب ٥٦٪ من المشاركين فى الاستطلاع أنهم يعتقدون أن أولمرت هو الأكثر فساداً، بينما يعتقد ٥٥٪ أن هيرشيزون هو من يستحق هذا اللقب.

يأتى من بين الوزراء الذين يشملهم مؤشر الفساد، نائب رئيس الوزراء حاييم رامون، ووزير الشئون الاستراتيجية أفيجدور ليبرمان، حيث حصل كل منهما على نسبة ٣٣٪. كما اشتملت القائمة على عدد من أعضاء الكنيست جاء من بينهم: عضو الكنيست تساحى هنجبي، حيث تعتقد نسبة ٤٠٪ من المشاركين أنه فاسد، يليه رئيس حزب الليكود بنيامين نتنياهو بنسبة ٣٨٪، ثم عضوة الكنيست استرينا طرطمان بحصولها على نسبة أصوات بلغت ٣٢٪.

❖ ليفنى الأكثر استقامة:

أجرى الاستطلاع بين عينة شملت ٥٥٥ شخصاً من السكان فى سن ١٨ عاماً فأكثر، وبين طلاب كليات العلوم الاجتماعية فى إسرائيل، وتراوحت نسبة الخطأ فى العينة ما بين ٤,٥٪ إلى ٥٪.

وبعد السؤال عن أكثر السياسيين الفاسدين، طرح الاستطلاع أيضاً أسئلة حول أكثر الساسة استقامة. وقد تصدرت وزيرة الخارجية تسيبى ليفنى قائمة الوزراء الأكثر استقامة، حيث يعتقد ٤٦٪ من المشاركين فى الاستطلاع أنها مستقيمة تماماً، تليها وزيرة التعليم يولى تامير بحصولها على نسبة أصوات بلغت ٤٠٪، ووزير المواصلات شاؤول موفاز بنسبة ٣٠٪. ومن بين أعضاء الكنيست تبرز عضوة الكنيست شيلى يحيموفيتش التى يعتقد ٤٤٪ من المشاركين فى الاستطلاع أنها الأكثر استقامة، تليها رئيسة الكنيست داليا إيتسيك بنسبة ٤١٪، وأخيراً عضو الكنيست ران كوهين بنسبة أصوات بلغت ٣٠٪.

ثمة معلومة أخرى، ليس لها صلة بنواب الشعب، ولكنها تتعلق بالفساد مباشرة، تكشف أن واحد من بين كل ثمانية أشخاص شاركوا فى الاستطلاع يعرف شخصاً اضطر لدفع رشوة مقابل الحصول على خدمة. وفى ضوء البيانات الواردة فى الاستطلاع، لا داعى للدهشة عند معرفة أن ٧٣٪ من المشاركين فى الاستطلاع ذكروا أن الفساد هو العامل الرئيسى الذى يقض مضاجعهم فى إسرائيل. علماً بأن هذه نسبة، رغم كبرها، إلا أنها تمثل مؤشراً إيجابياً، إذا ما قورنت بنسبة العام الماضي، حين أفاد ٨٠٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأن الفساد هو أكثر شيء يضج مضاجعهم.

ثمة معلومة أخرى تبعث على التفاؤل وتتعلق بمؤشر الفساد فى الشرطة الإسرائيلية، الذى تراجع هو الآخر بنسبة ٢٥٪: ففى العام الماضى كان ٣٩٪ من المشاركين فى الاستطلاع يعتقدون أن الشرطة فاسدة، فى حين أجاب ٢٩٪ من المشاركين فى الاستطلاع هذا العام بنفس الإجابة.

أغلبية الجمهور لا تثق فى الدولة

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/١١/١

بقلم: ياعيل برنوفسكي

أظهر استطلاع جديد للرأى نُشر اليوم (❖) أن أكثر من نصف مواطنى إسرائيل منزعجون أو منزعجون جداً من احتمال عدم استطاعتهم إعاشة أسرهم فى المستقبل.

وقد أجرى مؤتمر سديروت لشئون المجتمع بالتعاون مع كلية سابير، للعام الخامس على التوالي، استطلاع رأى عن الحصانة الاجتماعية، وكشف عن نتائج مقلقة بشأن القضايا التى تزعج الجمهور، حيث اتضح أن معظم الإسرائيليين يخشون من عدم استطاعتهم توفير المال للمستقبل، والدولة لازالت فى أعينهم لا تكفل الحقوق الاجتماعية الأساسية. ومع ذلك، طرأ تحسن طفيف فى ثقة الجمهور فى أجهزة التعليم والصحة والعمل.

ويكشف الاستطلاع أن ٥٤٪ من المشاركين فى الاستطلاع منزعجون من عدم استطاعتهم إعاشة أسرهم فى المستقبل، بينما ينزعج ٤٧٪ من عدم استطاعتهم توفير المال للمستقبل. كما لا يعتمد أكثر من نصف المشاركين فى الاستطلاع نهائياً، أو يعتمدون بنسبة محدودة، على المؤسسات الاجتماعية فى إسرائيل، وذلك مقارنة بـ٥١٪ فى عام ٢٠٠٦ .

أحد البيانات المثيرة للدهشة التى كشف عنها الاستطلاع هى الانخفاض الكبير فى نسبة من لا يثقون نهائياً أو يثقون بنسبة محدودة فى جهاز التعليم (٦١٪)، بينما بلغت نسبة عدم الثقة فى جهاز التعليم العام الماضى ٧٩٪.

وقد طرأ انخفاض آخر فى عدم الثقة فى جهاز الصحة: حيث يكشف الاستطلاع الحالى أن ٤٤٪ لا يثقون فى الخدمات الصحية، مقابل ٦٣٪ فى العام الماضي.

❖ الإسرائيليون ما زالوا يثقون فى الجيش الإسرائيلي:

يكشف الاستطلاع أيضاً أن ٧١٪ من الجمهور يعتقدون أن دولة إسرائيل لا تتيح لمواطنيها، أو تتيح بشكل جزئى فقط، الإقامة بشروط سكن معقولة، وذلك فى مقابل ٦٩٪ كانوا يعتقدون ذلك فى العام الماضي. كما قال ٦٢٪ إن الدولة لا تتيح لمواطنيها، أو تتيح بشكل جزئى فقط، العيش فى كرامة بعد الوصول إلى سن التقاعد، مقابل ٦٩٪ كانوا يعتقدون ذلك فى العام الماضي.

يواصل موضوع الفساد فى القيادة الحاكمة لأن يكون أحد العوامل المؤثرة سلباً هذا العام، بينما اعتبر ٧٣٪ من المشاركين فى الاستطلاع أن فساد زعماء

الدولة عاملاً رئيسياً لعدم فخرهم بالدولة. وهناك عوامل أخرى تردع الجمهور عن الفخر بإسرائيل هي: الفجوة بين الفقراء والأثرياء (٧٧٪)، والصراع المتواصل مع الفلسطينيين (٧٥٪)، والعنف المستشري في المجتمع (٧٣٪).

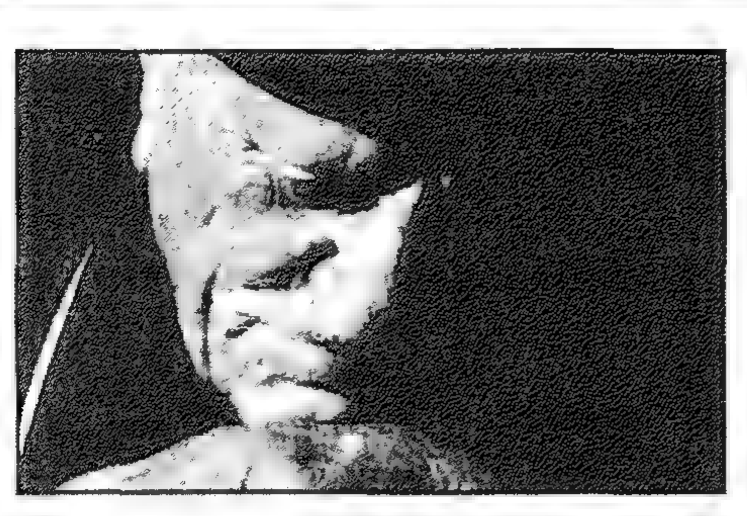
ومع ذلك، ظلت الثقة في قوات الأمن ثابتة إلى حد ما، حيث ذكر نحو نصف المشاركين في الاستطلاع أنه فيما يتعلق بالجانب الأمني، لازالت إسرائيل تعتبر مصدراً للفخر. ويعتقد ٤٤٪ من الجمهور أن إسرائيل هي دولة دائما تحمي مواطنيها بدرجة كبيرة أو كبيرة جداً. جديرٌ بالذكر أن ٢٣٪ فقط من إجمالي الجمهور أجابوا بأنهم لا يثقون نهائياً، أو يثقون بنسبة محدودة فقط، في الجيش الإسرائيلي والأجهزة الأمنية.

(❖) أجرى الاستطلاع معهد مأجر موحوت على عينة تمثل السكان الراشدين ممن تبلغ أعمارهم ١٨ عاماً فأكثر، وقد بلغت نسبة الخطأ في العينة ٥٪. تتكون الحصانة الاجتماعية من ستة أبعاد: الانتماء، والاتحاد، والكفاءة الاقتصادية، والتمتع بالحقوق الاجتماعية مثل السكن المناسب والعمل في ظروف آمنة، والأمن الصناعي، والثقة في المؤسسات العامة. أجرى الاستطلاع بمناسبة انعقاد مؤتمر سديروت لشئون المجتمع في كلية سابير الأسبوع القادم.

ربع المسنين لا يشعرون بالأمن

بقلم: إيتسيك وولف
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/١١/١

أظهر استطلاع جديد للرأي، أجراه معهد جيوكراتوجرافيا، أن واحداً من كل أربعة مسنين لا يشعر بالأمن الشخصي، وأن نحو ٤٠٪ من المسنين غير راضين عن وضعهم الاقتصادي والصحي. هذا ما يظهره الاستطلاع اليوم (الخميس ٢٠٠٧/١١/١) لحساب جمعية "ميطيف" المعنية برعاية المسنين، في ختام الاحتفال بالشهر العالمي للمسن، الذي احتفل به العالم خلال شهر أكتوبر الماضي.



وقد تضمن الاستطلاع، الذي أجرى على عينة شملت ٣٣١ رجلاً وسيدة (الرجال تتجاوز أعمارهم الخامسة والستين والسيدات أكثر من ٦٠ عاماً)، خلال النصف الثاني من شهر أكتوبر الماضي - تضمن أسئلة حول مدى رضاء المشاركين في الاستطلاع عن مجالات مختلفة من الحياة مثل: مستوى الأمن الشخصي، ووضعهم الاجتماعي والصحي والاقتصادي.

وقد أعرب نحو ٣٨٪ من المسنين المشاركين في الاستطلاع عن عدم رضاهم عن وضعهم الصحي، في حين أعرب نحو ٣٥٪ عن عدم رضاهم عن وضعهم الاقتصادي. وتتزايد النسب عند الحديث عن الفئة العمرية من ٧٥ عاماً فأكثر، حيث أجاب ٤٤٪ من أبناء هذه الفئة العمرية بأنهم غير راضين عن وضعهم الصحي، بينما أجاب ٣٨٪ بأنهم غير راضين عن وضعهم الاقتصادي.

كما تكشف بيانات الاستطلاع أن واحداً من كل أربعة مسنين في إسرائيل ليس راضياً عن مستوى الأمن الشخصي، حيث أعرب ٢٤٪ من المسنين الذين شاركوا في الاستطلاع عن عدم رضاهم فيما يتعلق بالأمن الشخصي.

من الملاحظ أن مواليد إسرائيل من أبناء الجيل الثاني أكثر رضاءً مقارنة بالمسنين من المهاجرين الجدد فيما يتعلق بأوضاعهم الاجتماعية والصحية والاقتصادية. حيث أعرب ٧٢٪ من مواليد إسرائيل من أبناء الجيل الثاني عن رضاهم عن الوضع الصحي مقابل ٤٠٪ من المهاجرين الجدد. كما يشعر ٩٦٪ من أبناء الجيل الثاني بالرضا عن الوضع الاجتماعي مقابل ٧٥٪ من المهاجرين الجدد، في حين أعرب ٨٠٪ من المسنين مواليد إسرائيل من أبناء الجيل الثاني عن رضاهم عن وضعهم الاقتصادي مقابل ٤٠٪ بين المسنين من المهاجرين الجدد.

المسنين سكان منطقة هشارون هم الأكثر رضا عن وضعهم الاقتصادي ومستوى الأمن الشخصي والاجتماعي، أما الأقل رضا عن الوضع الاقتصادي ومستوى الأمن الشخصي بين السكان هم سكان حيفا والشمال، والأقل رضا عن الوضع الاجتماعي هم سكان القدس. وفيما يتعلق بالوضع الصحي، لم يسجل أي فارق كبير في نسبة رضا المسنين في مختلف أنحاء البلاد.

تقوم جمعية "ميطيف"، التي دعت لإجراء الاستطلاع، برعاية السكان المسنين من ذوي الاحتياجات الخاصة في إسرائيل خلال الخمسين عاما

الأخيرة. وتقول مدير عام الجمعية، راحيل ميلنكي، إنه خلال السنوات الأخيرة طرأ ارتفاع فى متوسط الأعمار، الأمر الذى أدى بدوره إلى زيادة تعداد كبار السن فى إسرائيل، وكذلك ارتفاع نسبة كبار السن بين إجمالى السكان. وأضافت: "إلى جانب زيادة عدد المسنين فى إسرائيل، طرأ تطوراً مطلوباً فى منظومة الخدمات المقدمة للمسنين، ومستوى المتخصصين الذين يقدمون الخدمات للمسنين، واليوم أصبح مجال رعاية المسنين تخصصاً مستقلاً، ولكن يجب مواصلة العمل على تطوير خدمات المسنين، والاهتمام باحتياجاتهم الخاصة والتخصص فى مجال رعاية المسن".

كما أكدت ميلنكي: "لقد كشفت بيانات الاستطلاع أيضاً أن المسنين المهاجرين لازالوا يواجهون كثيراً من المشكلات مقارنة بأبناء جيلهم من مواليد البلاد؛ وقد تجلت هذه الحقيقة فى انخفاض مستوى رضا المسنين المهاجرين فى الاستطلاع على كافة المستويات. وهذه نقطة مهمة فى تخطيط وتطوير الخدمات بسبب ارتفاع عدد المسنين المهاجرين بين عموم المسنين فى إسرائيل. لذلك، من المهم أن تتضمن تلك الخدمات التى تقوم الدولة بتطويرها تخطيطاً لمساعدة المسنين المهاجرين فى مجالات اللغة والتقاليد الثقافية والعادات، وما شابه ذلك".

مَنْ هو بلفور..؟

المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٧/١٠/٣٠
بقلم: هيئة تحرير الموقع

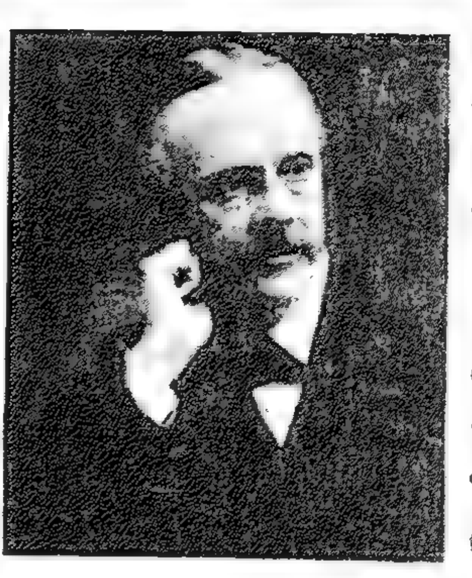
يكشف استطلاع رأي، أُجرى بمناسبة إحياء ذكرى مرور ٩٠ عاما على وعد بلفور يوم الخميس القادم (٢٠٠٧/١١/٢)، أن نحو نصف الشباب فى إسرائيل لا يعرفون مَنْ كان اللورد بلفور..؟ وما هو وعد بلفور..؟.

وجاءت الأسئلة التى تناولت - مَنْ كان اللورد بلفور، ما الذى تناوله وعد بلفور، متى نشر ولمن أرسل - كما لو أنها طرحت على آذان صماء، على الأقل بين معظم الشباب الذين شاركوا فى الاستطلاع.

يتضح من الاستطلاع أن ٣٤٪ من إجمالى المشاركين فى الاستطلاع لم يعرفوا مَنْ كان اللورد بلفور، كما لم يعرفه نحو نصف "الشباب حتى سن ٢٩ عاماً"، ممن شاركوا فى الاستطلاع، وكذلك أيضاً أكثر من نصف المهاجرين من الاتحاد السوفيتى السابق الذين هاجروا إلى إسرائيل قبل عام ١٩٨٩ . وبينما لم يعرف ١٦٪ من المشاركين شيئاً عن مضمون الوعد، اعترف نحو ٤٥٪ من "الشباب"، المشاركون فى الاستطلاع، بأنهم لا يعرفون مضمونه.

وتكشف النتائج أن نحو ٦٠٪ من بين الشباب الذين شاركوا فى الاستطلاع لم يعرفوا نهائيا متى نُشر الوعد، كما أن نحو ٨٠٪ من إجمالى المشاركين لم يعرفوا لمن أرسل وعد بلفور. وكذلك ٧٠٪ من الشباب.

وللتذكرة التاريخية: ففى الثانى من نوفمبر ١٩١٧، أرسل وزير الخارجية البريطاني، لورد "آرثر جيمس بلفور"، لرئيس الهستدروت الصهيونى فى بريطانيا، لورد ليونيل روتشيلد، خطابا رسميا يعرب فيه عن اعتراف الحكومة البريطانية بحق اليهود فى إقامة وطن قومى فى فلسطين، واستعداد بريطانيا لمساعدة الهستدروت الصهيونى فى إقامة هذا الوطن القومي.





❖ الحكومة تتذكر الوعد:

تتمثل أهمية الوعد، الذى سُمى "وعد بلفور"، فى أنه المرة الأولى التى تحصل فيها الصهيونية على اعتراف رسمى دولى بحق الشعب اليهودى فى العودة إلى أرض إسرائيل.

ولكن رغم أهمية الوعد، قال ٢٦٪ من إجمالى المشاركين فى الاستطلاع - الذى أجراه معهد سميث لحساب المجلس الصهيونى فى إسرائيل وديوان شئون المجتمع والشتات - إنه لا يمثل أهمية فى إسرائيل إحياء ذكرى وعد بلفور.. وكذلك أيضاً أجاب نحو ٥٠٪ من الشباب.

وقال وزير العمل والرفاه "يتسحاق هرتسوج"، الذى دعا مع سكرتير عام الحكومة "عوفيد يحزقئيلي" إلى إحياء ذكرى مرور ٩٠ عاما على نشر وعد بلفور فى جلسة الحكومة القادمة، إنه ينبغي، بعد إجراء الاستطلاع، العمل على تخليد وعد بلفور، وذلك، على حد قوله، بسبب أن الوعد كان أحد أحجار الأساس المهمة على الطريق نحو إقامة دولة إسرائيل".

فى جلسة الحكومة التى ستنعقد يوم الأحد القادم، سيتم أيضاً دراسة اقتراح هرتسوج بإحياء ذكرى الوعد بشكل رسمى فى مقر الكنيست، وتخصيص حصص

خاصة لتعميق وعى تلاميذ إسرائيل بهذا الموضوع، وذلك فى ضوء نتائج الاستطلاع.

❖ "الوطن القومى كان بمثابة حلم":

وقال الوزير هرتسوج: "دولة إسرائيل التى تحتفل هذا العام بمرور ٦٠ عاما على قيامها، أفرزت أجيالا من الشباب الذى وُلدوا فى واقع أصبحت فيه دولة اليهود حقيقة منتهى أمرها. ينبغى أن نذكرهم مرة أخرى بأنه كانت هناك فترات فى تاريخ الشعب اليهودى غير البعيد، كان فيه التفكير فى إقامة وطن قومى بمثابة حلم".

قال مدير عام المجلس الصهيونى فى إسرائيل، موشيه بن عيطر، إن الاستطلاع يشير إلى انخفاض متواصل فى وضع ومكانة موضوعات تتعلق بتاريخ الشعب والاستيطان اليهوديين. ومن ثم، ينبغى تعزيز الشعور بالانتماء للجيل القادم، والثقة فى عدل النبوءة الصهيونية".

وذكر بن عيطر أن نتائج الاستطلاع تكشف أيضاً أن "فئة المهاجرين لا ترتبط بما يكفى بالحاضر الصهيونى والإسرائيلي، ولذلك من المطلوب جهد خاص لربطهم ودمجهم بالمجتمع الإسرائيلي".

❖ **نص وعد بلفور:**

وزارة الخارجية

فى الثانى من نوفمبر/ تشرين الثانى عام ١٩١٧

"عزيزى اللورد روتشيلد..

يسرنى جدا أن أبلغك، باسم حكومة صاحب الجلالة، التصريح التالى الذى ينطوى على تشجيع للمطامح اليهودية الصهيونية، الذى طرح على المجلس الوزارى المصغر وقمت بالتصديق عليه:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يُفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى...

وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيونى علماً بهذا التصريح".

المخلص آرثر جيمس بلفور

٧٩٪ سيقيمون حفلا دينيا للاحتفال ببلوغ أبنائهم سن التكليف (١)

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٧/١١/١٥
بقلم: كوبى نحشوني

أظهر الاستطلاع الأسبوعي، الذى يجريه باب الشئون الدينية بالموقع الإلكترونى لصحيفة يديعوت أحرونوت وجمعية جيشر (٢)، أن ٩٠٪ من الصبية الذين بلغوا سن التكليف سيحتفلون ببلوغهم سن التكليف على الطريقة الدينية، والتى تشمل قراءة فقرات من التوراة فى الكنس ووضع التفيلين (٣).

ووفقاً لبيانات الاستطلاع، يفضل الجمهور العلمانى أيضاً الاحتفال بعيد الميلاد الثالث عشر على الطريقة التقليدية، ومعظمهم سيفعل ذلك فى المعابد الأرثوذكسية. والأمر مختلف بالنسبة للفتيات اللائى بلغن سن التكليف، فقد تبين أن الكثيرات منهن على استعداد للتخلى عن هذا الاحتفال.

أجرى الاستطلاع بواسطة معهد "موتاجيم" لحساب الموقع الإلكترونى لصحيفة يديعوت أحرونوت وجمعية جيشر، وشارك فيه ٥٠٠ شخص يمثلون فئة السكان اليهود الراشدين متحدثى العبرية فى إسرائيل.

وفى الإجابة على السؤال القائل: "هل سيقوم ابنك بتلاوة فقرات من التوراة ووضع التفيلين كجزء من الاحتفال ببلوغه سن التكليف..؟" أجاب ٩٠٪ من المشاركين فى الاستطلاع بالإيجاب، بينما أجاب بالسلب ١٠٪.

وعلى النقيض من الأحاسيس الأولية، تبين عند تحليل نتائج الاستطلاع أن ٧٩٪ من العلمانيين المشاركين فى الاستطلاع أفادوا بأنهم سيحتفلون على الطريقة التقليدية، فى حين أفاد ٢١٪ فقط منهم بأنهم سيتخلون عن هذا الاحتفال. وقد بلغت نسبة من سيحتفلون ببلوغ سن التكليف بتلاوة فقرات من التوراة ووضع التفيلين ١٠٠٪ بين اليهود التقليديين والدينيين والحريديم.

أين سيقام الاحتفال الديني..؟ يتبين من الاستطلاع أن المعابد الأرثوذكسية لها نصيب الأسد، حيث أجاب ٦٥٪ ممن شملهم الاستطلاع بأنهم سيحتفلون بهذه المناسبة هناك، فى مقابل ٢٦٪ اختاروا الحائط الغربى (حائط المبكى)، فى حين لم ينل البديل الذى يقترحه الإصلاحيون والمحافظون إقبالاً حتى الآن، حيث ذكر ٦٪ فقط من المشاركين فى الاستطلاع إنهم سيتلون فقرات من التوراة فى معابد تلك الطوائف.

وعند تقسيم بيانات الاستطلاع حسب الطوائف الدينية، يفاجئنا العلمانيون مرة أخرى: ٦٧٪ منهم سيقيمون الاحتفال فى أحد المعابد الأرثوذكسية، و١٩٪ فى الحائط الغربى (حائط المبكى)، و١٠٪ فقط فى معابد الإصلاحيين أو المحافظين. ويبرز من بين الجمهور المحافظ ٣٦٪ ممن اختاروا إقامة الاحتفال فى الحائط الغربى (حائط المبكى)، فى حين سيحتفل ٨١٪ من الحريديم بهذه المناسبة فى المعبد الخاص بهم.

❖ الحريديم لا يحتفلون بسن التكليف:

يحتفل الفتيان ببلوغهم سن التكليف بالحصول على شيكات وهدايا، وهذا قد يُشعر الفتيات بالظلم، حيث يبدأ سن التكليف لديهن مبكراً فى سن الثانية عشرة، ولكن منهن من ترى أنه لا يوجد ما يبرر الاحتفال ببلوغ سن التكليف.

وقد طُلب من المشاركين فى الاستطلاع فى إجابتهم على السؤال الثالث ذكر أفضل طريقة يرونها لاحتفال الفتيات ببلوغ سن التكليف.. وتؤكد الإجابات على تعادل النسب فى الاحتفال بطرق مبتكرة، والاحتفال بالطرق التقليدية، وهناك من فضّلوا ألا يحتفلوا أساساً.. حيث قال ٣٣٪ إنه يجب إضفاء مضمون روحى يمزج بين تعليمات الديانة اليهودية وبلوغ الفتاة سن الرشد، بينما يفضل ٢٨٪ إقامة حفل فى قاعة احتفالات. وعلى الصعيد الآخر، تعتقد نسبة ٣٠٪ أنه "لا داعى للمبالغة فى الاحتفال بهذه المناسبة".

ويتضح من تحليل بيانات الاستطلاع أن العلمانيين (٣٠٪) يفضلون إقامة الاحتفال ببلوغ سن التكليف، بينما يبحث التقليديون والحريديم (٥٢٪ و٥٣٪ على الترتيب)عن المضمون الروحي. بالتوازى مع ذلك، يتضح أن ٤٠٪ من الحريديم لا يعتقدون فى وجود ضرورة للاحتفال بسن التكليف بصورة تفوق سائر القطاعات الأخرى.

❖ تبنى سياسة البيت المفتوح:

دعت شوشى بيكر، مدير عام جمعية جيشر للبرامج التعليمية، عقب نشر نتائج الاستطلاع، كافة المعابد إلى تركيز الجهود على استقبال المحتفلين فى يوم الحدث نفسه وخلال مسيرة الإعداد له. وحسبما ذكرت: "إن الرغبة الشديدة فى المشاركة فى هذا الحدث المهم المتمثل فى الاحتفال ببلوغ الأبناء سن التكليف يتجاوز كل التيارات، وهذه فرصة لربط الآباء والأخوة بالتراث الدينى والربط بين الدينيين والعلمانيين". وقد أكدت بيكر أن المهمة لا تقع على كاهل الحاخامات والمسئولين فى المعابد وحدهم، بل يتعين على المجتمع بأسره أن يتبنى سياسة "البيت المفتوح".

وفيما يتعلق بالفتيات اللائى بلغن سن التكليف، قالت مدير عام جمعية جيشر: "ما من شك فى أننا نخوض الآن مسيرة من أجل رفع شأن الفتيات وإيجاد الطريقة المثلى للاحتفال ببلوغ الفتاة سن التكليف. فلا يزال الربط بين سن الثانية عشرة للفتاة البالغة والديانة اليهودية ربطاً جزئياً فحسب، وعدم وجود المراسم المتمثلة فى تلاوة فقرات من التوراة على جمهور المصلين فى المعبد ووضع التفيلين وفقاً للطريقة الأرثوذكسية تجعل الكثيرين يتبنون طرق مبتكرة خاصة بهم للربط بين اليهودية وسن البلوغ. إن دور الطوائف هو مساعدة الفتيات على إيجاد هذا الرابط الاجتماعى وتوفيره للأسرة فى إسرائيل".

١- "سن التكليف" بالعبرية "بر متسفا"، يجرى فيه الاحتفال ببلوغ الطفل اليهودى سن التكليف أو سن البلوغ الشرعي، وهو سن الثالثة عشرة، وذلك بطقوس خاصة تجرى فى المعبد، وفى أغلب الحالات يعقب ذلك حفل خاص يجرى فى البيت بهذه المناسبة.

٢- جمعية جيشر (جسر): تأسست عام ١٩٧٠ لتشجيع الحوار بين كافة فئات المجتمع الإسرائيلي.

٣- التفيلين: هو عبارة عن علبتان صغيرتان من الجلد الأسود مرتبطتان بقاعدة، تحويان الإصحاحات الملائمة من الكتاب المقدس، مكتوبة على رق. ويتم ربط العلبتين على الذراعين والرأس بواسطة أشرطة جلدية سوداء. ويبدأ الصبى فى وضع التفيلين فى سن الثالثة عشرة. ويتم وضعه فى صلاة الصباح فى أيام الأسبوع. باستثناء أيام معدودة. ويتوجب المحافظة على التفيلين وصيانته، ولا يجوز أن يوضع فى مكان غير نظيف.

٦٠٪ يعارضون المساواة فى الحقوق مع البدو

بقلم: نير يَهَف
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٧/١١/١٤

يكشف استطلاع جديد للرأى أن العنصرية فى إسرائيل لم تختف، بل إنها تزداد قوة. يعتقد ٧٠٪ من الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ إلى ٢٩ عاماً أن البدو لا يستحقون حقوقاً تتساوى مع اليهود. ويكشف الاستطلاع أن العنصرية غير موجودة فقط بين الشباب، بل أيضاً بين إجمالى السكان: ٦٠٪ من المشاركين فى الاستطلاع لا يعتقدون أن البدو يستحقون حقوقاً مدنية كاملة وعلى قدم المساواة.

أراد الاستطلاع، الذى أجرته جمعية "بمكوم" (❖) مع المركز العربى للتخطيط البديل، بواسطة شركة TNS تليسيكر، تقصى مواقف الجمهور تجاه المواطنين البدو فى إسرائيل.

وتتجلى الزيادة فى العنصرية مع الانخفاض فى العمر فى مواقف أخرى تم تقصيها، حيث بلغت نسبة الشباب الذين يعتبرون البدو تهديداً استراتيجياً ٢٢٪، فى حين بلغت نسبة الكبار الذين يتبنون هذا الرأى ١١٪. وقد سُجِّلت نسبة مماثلة بين الشباب والكبار (٢٤٪ مقابل ١٢٪) بين المشاركين الذين يتبنون الرأى القائل بأن دولة إسرائيل تخص الشعب اليهودى فقط وليس البدو.

ويعتقد نحو خمس المشاركين فى الاستطلاع (٢٠٪) أن البدو يبنون دون تصريح انطلاقاً من الرغبة فى السيطرة على الأراضي. ويعتقد ١٣٪ من بين إجمالى المشاركين أن البدو يبنون دون تصريح تضامناً مع الفلسطينيين ورغبة فى إقامة دولة فلسطينية على أراضى النقب. كما يعتقد ٤٠٪ أنه ينبغى الاعتراف بالقرى غير المعترف بها كما هى موجودة الآن وتطويرها.

وقالت نيلى باروخ، مخططة المدن فى جمعية "بمكوم": "هناك الآن ٣٦ قرية بدوية غير معترف بها، وهذا رقم ثابت ومتفق عليه. ولو كانت دولة إسرائيل ترغب فى حل نهائي، فبمقدورها، بل ويجب عليها أن تعترف بذلك دون تأجيل".

(❖) "بمكوم" - مخطّطون من أجل حقوق التخطيط: جمعية أنشأها عام ١٩٩٩ خبراء تخطيط ومهندسون معماريون وضعوا نصب أعينهم توثيق العلاقة بين حقوق الإنسان وأجهزة التخطيط فى دولة إسرائيل.

١٠

شخصية العدد



الصحفى الراحل "يشعياهو بن بورات"



ترجمة وإعداد: أسامة أبو رفاعي

فقدت صحيفة يديعوت أحرونوت الصحفى الشهير "يشعياهو بن بورات" الذى يعد من أقطاب الصحافة الإسرائيلية، تاركاً وراءه بصمة كبيرة فى المجال الصحفى بوجه عام وفى صحيفة يديعوت أحرونوت بوجه خاص.

رحل بن بورات عن عالمنا يوم السبت الموافق (٢٠٠٧/١١/١٠) عن عمر يناهز ثمانين عاماً بعد صراع طويل مع المرض. ولد بن بورات فى فيينا سنة ١٩٢٧، وبعد أن انضمت النمسا إلى ألمانيا سنة ١٩٣٨، هرب مع والديه إلى فرنسا، ثم هاجر إلى إسرائيل سنة ١٩٤٥، وعاد مرة أخرى إلى باريس فى الخمسينيات كمبعوث للوكالة اليهودية وكطالب فى جامعة السوربون.

بدأ بن بورات العمل كمراسل لإحدى الصحف الفرنسية فى إسرائيل، كما كان مراسل المحطة الإذاعية "أوروبا ١"، ثم انضم إلى طاقم صحيفة يديعوت أحرونوت بدءاً من عام ١٩٥٥، حيث بدأ فيها مراسلا للصحيفة فى باريس. وقد أصبح من أكبر المحللين حتى منتصف التسعينيات، إضافة إلى إعداد وتقديم برامج فى الإذاعة الإسرائيلية وإذاعة الجيش الإسرائيلي، نذكر منها برنامج "الليلة"، و"سادتى الصحفيين"، و"مساء الخير".

قال عنه "مولى شفيرا"، رئيس قسم الثقافة فى إذاعة الجيش الإسرائيلي: "عرفته منذ بداية عملى فى إذاعة الجيش، وقد علمنى أصول المهنة.. لقد كان إنساناً مثقفاً، وكان يتحدث ست لغات".

كان بن بورات يعمل وكأنه يعمل بيدين: إحداهما فى الكتابة فى تحليل السياستين الداخلية والخارجية، والأخرى فى الكتابة فى مجال الثقافة والأدب، وقد أثر فى المجال الأخير بشكل كبير، حيث كتب العديد من الكتب وترجم عدة مسرحيات.

أصدر بن بورات العديد من الكتب الحوارية، فقد نشر فى التسعينيات سلسلة كتب حوارية مع أعضاء الكنيست يوسى ساريد، وأحمد الطيبى، ودان مريدور. كما ألف كتاباً يحمل عنوان "محادثات" تضمن سلسلة من الأحاديث التى أجراها مع ناحوم جولدمان، ويسرائيل جاليلي، ويعقوف مريدور. إضافة إلى مجموعة كتب هامة، نذكر منها كتاب "الجاسوس الذى جاء من إسرائيل" سنة ١٩٦٨، وتحدث فيه عن قضية إيلى كوهين، الجاسوس الإسرائيلى فى سوريا، كما شارك مع مجموعة صحفيين فى إصدار كتاب "التقصير"، الذى يعتبر أول كتاب يتحدث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد عرض فيه لأول مرة الأخطاء التى ارتكبتها إسرائيل فى هذه الحرب، وكتاب "الرحلة ١٣٩" الذى أصدره سنة ١٩٧٦ وتحدث فيه عن "عملية عنتيبي" التى أطلق فيها سراح رهائن إسرائيليين كانوا على متن طائرة اختطفها مجموعة فلسطينيين فى أوغندا.

وقد منحت منظمة "أبناء التحالف" جائزة ليشعياهو بن بورات هذا العام عن أعماله وإسهاماته طوال مسيرته، وقد منحته الجائزة تحديداً عن الجهد الذى بذله، من خلال عمله الصحفى فى الخمسينيات والستينيات، لتهجير يهود الاتحاد السوفيتي، ولكن بسبب مرضه الشديد تسلم ابنه آريئيل تلك الجائزة.

وقد شيعت جنازته ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٧/١١/١٢، وشارك فيها عدد من الشخصيات المرموقة فى إسرائيل. وأثناء تشييع الجنازة، فجَّر الوزير رافى إيتان، وزير شئون المتقاعدين، قنبلة عندما اعترف بأن جهاز الموساد استخدم الصحفيان بن بورات وأورى دان فى تنفيذ بعض المهام. وقال إن الموساد قام بتجنيدهما لمساعدته، وتحدث عن الخطاب التوبيخى الذى تلقاه من ميئير عاميت، رئيس الموساد آنذاك، على استخدامه لهذين الاثنين. وقد رفض إيتان الحديث عن الأهداف والمهام التى كلفهما بها.

ترك بن بورات زوجته وابنيه الاثنين، إضافة إلى عمله الذى أثرى به كثيراً من المجالات سواء الصحفية أو الإذاعية أو الأدبية والذى سيخلد ذكراه ويجعله حاضراً طوال الوقت وسط جمهوره العريض.



مؤتمر أنابوليس: نهاية مسار...وبداية آخر

سعيد عكاشة
رئيس وحدة الدراسات الإسرائيلية بالمنظمة العربية لمناهضة التمييز

لن يختلف الكثيرون حول واقع أن مؤتمر أنابوليس لم يأت بنتائج ذات قيمة سوى تكرار النوايا (التى لا يعرف أحد مدى صدقها) الطيبة لصنع السلام وانهاء الصراع العربي- الإسرائيلى بحل الدولتين (الفلسطينية، واليهودية) التى تتعايشان أو ينبغى لهما أن يتعايشا جنباً إلى جنب فى سلام.

حتى الولايات المتحدة الأمريكية التى رعت المؤتمر سرعان ما سحبت مشروع قرار كانت قدمته لمجلس الأمن لتبنى صيغة أنابوليس (وهى صيغة غامضة) كأساس لعملية التفاوض التى من المفترض أن تبدأ لاحقا..وهو ما يعنى أن إسرائيل مازال لها تحفظات على مجرد إعلان النوايا من قبل الأطراف التى شاركت فى المؤتمر ولا تريد لها أن تفسر تفسيرا قد يكون ضد مصلحتها أو تصوراتها عن شكل السلام المرجو فى النهاية.

من هذا المنطلق وفى ظل حقيقة أنه:

١- لا يُتوقع لأى من الطرفين الفلسطينى أو الإسرائيلى التنازل عن مفهومه للسلام (بالنسبة للفلسطينيين الانسحاب إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، وبالنسبة للإسرائيليين الإبقاء على جبل الهيكل تحت السيادة الإسرائيلية وضم الكتل الاستيطانية وعدم التخلى سوى عن ٦٠٪ على الأكثر من الضفة الغربية).

٢- ضعف الأطراف الرئيسية فى التفاوض (أبو مازن لا يسيطر سوى على جزء يسير من الأراضى الفلسطينية ولا يمتد تأثيره على الفلسطينيين أبعد من جناح داخل حركة فتح. وأولمرت بلا شعبية، فضلا عن تهم الفساد التى تلاحقه فى الداخل ويمكن أن تطيح به من منصبه فى أى وقت) وهو ما يعنى أن كلاهما (أبو مازن وأولمرت) لن يستطيعا التنازل عما يعتقده شعبيهما من كونه حقوقا لهما، وحتى لو تنازلا فإن الإطاحة بكليهما (بالخروج من السلطة أو بالقتل على أيدى متطرفين) هو الأقرب بما يعنى أيضا أنه لايوجد من يطبق إتفاقات حقيقية (إذا ما تمت) فى كلا الجانبين.

٣- أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست لديها القدرة - حتى لو توافرت الرغبة- على الضغط على أى من طرفى عملية التفاوض إلى الحد الذى يجعله يقدم التنازلات التى يطلبها الطرف الآخر وهى تنازلات لا تبدو مقبولة تبادلياً وغير مشروعة فى أوساط أغلبية الرأى العام هنا وهناك (أى فى الأراضى الفلسطينية والشتات الفلسطينى وكذلك إسرائيل والشتات اليهودي).

من هذا المنطلق وفى ظل الواقع المشار إليه سنعتبر أن قمة أنابوليس لم تكن فى الواقع سوى محاولة لإسدال الستار على طريقة كانت ومازالت حتى هذه اللحظة الوسيلة المفضلة للتوصل إلى سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين أى وسيلة التفاوض المباشر تحت رعاية أمريكية.

ولكى نكون أكثر وضوحا فإن أساليب تحقيق السلام بين بعض الدول العربية وإسرائيل قد تنوعت منذ نهاية حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وبدا بوضوح أن هذه الأساليب إذا ما نجحت فى بعض الحالات فإنها تفشل فى حالات أخرى رغم توافر النوايا فى هذه الحالات جميعا، ويمكن الإشارة سريعا إلى هذه الأساليب.

أولاً: صنع السلام عبر المؤتمرات الدولية

بدأت هذه الصيغة عقب نهاية حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ حيث طرح فى حينها مشروع عقد مؤتمر للسلام

فى جنيف تحضره أطراف الصراع الرئيسسية... غير أن العرب لم يكونوا آنذاك على استعداد للدخول فى هذه المفاوضات خاصة سوريا التى زادت خسائرها فى حرب، عام ١٩٧٣ عما كانت قد فقدته فى عام ١٩٦٧ ووجدت إنها لن تحصل على ما تريد خاصة وأن إسرائيل نفسها لم يكن لديها الاستعداد لدخول مفاوضات مشروطة بتخليها عن الأراضى التى احتلتها فضلاً عن رفضها أساساً لمبدأ التفاوض مع وفد عربى موحد وتفضيلها المسارات المنفصلة مع كل دولة مشتبكة معها فى الصراع، ويمكن القول إن هذه الصيغة لم تكن أيضاً ملائمة للطموحات الأمريكية التى أرادت أن تهيمن منفردة على الصراع العربى الإسرائيلى وأن تقود بنفسها الحل بعيداً عن القطب الدولى الثانى آنذاك (الاتحاد السوفييتي).

لأجل ذلك فشلت صيغة المؤتمر الدولى وتم وئدها عملياً بتوقيع مصر على اتفاقيتين للفصل بين القوات مع إسرائيل عامى ١٩٧٤، ١٩٧٥. فيما وقعت سوريا على اتفاقية واحدة لتفترق الدولتان تماماً (مصر وسوريا) عقب زيارة الرئيس السادات للقدس عام ١٩٧٧ لتبدأ مرحلة جديدة فى التسوية أو أسلوب جديد من أجل تحقيق السلام.

ثانياً: أسلوب التفاوض المباشر

أحدث الرئيس السادات بزيارته إلى القدس عام ١٩٧٧ صدمة للواقع الجامد الذى ميز الفترة القصيرة بين ١٩٧٣ - ١٩٧٧ وأقبل على اعتماد أسلوب التفاوض المباشر مجرداً إسرائيل من كافة حججها ورغم أنه تفاوض فى وضع يبدو فيه ضعيفا إلى حد كبير، بسبب استمرار احتلال إسرائيل لمعظم سيناء، وإختلال موازين القوى لصالح إسرائيل عما كانت عليه فى حرب ١٩٧٣، وأيضاً بسبب رفض الدول العربية لمبادرته لزيارة القدس وإقدامه على ما أسموه تحقق سلام منفرد مع إسرائيل... رغم ذلك تمكن الرئيس السادات عبر تشديده على استراتيجية العلاقة بين مصر وأمريكا على تفادى كل مواطن الضعف السابقة والوصول إلى تحقيق أهداف مصر بالجلاء الإسرائيلى الكامل عن سيناء وتجنيب البلاد ويلات الحروب ومحاولة التفرغ لبناء اقتصاد وطنى قوي.

ثالثاً: الجمع بين الأسلوبين السابقين

من زاوية ما يمكن اعتبار مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ تجسيد لأسلوب صناعة السلام عبر الجمع بين أسلوب التفاوض تحت مظلة دولية والتفاوض المباشر فى آن واحد حيث عُقد برعاية دولية تحت المظلة الأمريكية (فعلياً) والمظلة المتعددة الأطراف نظرياً (وجود الاتحاد السوفييتى وممثلين للأمم المتحدة وأطراف دولية أخرى) فيما تفرع لاحقاً لمسارات منفصلة بين إسرائيل وكل من الدول المشتبكة معها فى الصراع (مسارين أحدهما لبناني- سورى والآخر أردني- فلسطيني).

ومرة ثانية يبرهن أسلوب التفاوض المباشر على نجاعته فى أغلب الحالات وفشل كافة الصيغ الأخرى بعد أن نجح الفلسطينيين عام ١٩٩٣ عبر قناة سرية فى عقد اتفاق أوسلو مع الإسرائيليين وتلى ذلك نجاح الأردنيين فى التوصل إلى اتفاق سلام نهائى فى وادى عربة (وبشكل منفرد وعبر قناة سرية أيضاً) عام ١٩٩٤، ورغم ذلك لم تصمد اتفاقية أوسلو بينما صمدت معاهدة السلام المصرية-الإسرائيلية وشبيهتها الأردنية - الإسرائيلية. وبات من الواضح أن أسلوب التفاوض المباشر مع الفلسطينيين لم ينجح مثل نظيريه المصري والأردني لأسباب معروفة أهمها غياب الدولة التى يمكن أن تتحمل مسئولية صنع السلام والحفاظ عليه، وبدا بوضوح أن الدائرة الفارغة التى يدور داخلها الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى تتمحور حول نقطة لا يريد أى من طرفى الصراع أخذها فى الاعتبار وهى حتمية فصل فكرة إقامة الدولة الفلسطينية عن فكرة التوصل إلى تسوية نهائية للنزاع العربى - الإسرائيلى. بمعنى إن إسرائيل والفلسطينيين كان ينبغى عليهما الإقرار أولا بالحاجة إلى إنشاء دولة فلسطينية على الحد الأقصى الذى تتصوره إسرائيل لتنازلاتها فى الأراضى الفلسطينية دون ربط ذلك بمعاهدة نهائية لإنهاء الصراع وعدم مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بنهاية الصراع فى هذه الخطوة المرحلية، مع الإقرار بحاجة الطرفين للعودة إلى التفاوض لاحقا (بعد أن تكون الدولة الفلسطينية الناشئة قادرة على بسط سيادتها الفعلية على الأراضى التى فى حوزتها) حول كافة القضايا الخلافية مع التأكيد على أهمية الإبداع من أجل حل يرضى طرفى الصراع مثل حل تبادل الأراضى (ليس وفقا لتصور اليمين الإسرائيلى) والذى يمكن عبره التوصل إلى تسوية نهائية للصراع العربى - الإسرائيلى.

لقد كان مؤتمر أنابوليس إلى حد ما تكرار لنموذج مدريد الذى لم ينجح فى إيصال الفلسطينيين والإسرائيليين لصيغة تفاهم. فالجمع الذى احتشد هناك اقتصر دوره على التمهيد وإعلان الرعاية لمفاوضات أخرى بين الفلسطينيين والإسرائيليين دون التزامات حقيقية من أى طرف سوى التأكيد على مطالب وتصورات قتلت إعلاناً وتفاوضاً.

من هنا يتضح أن الأساليب التى اتبعت منذ عام ١٩٧٣ وحتى اليوم من أجل إنهاء الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى بدت جميعها غير ملائمة للتوصل إلى تسوية حقيقية ترضى الفلسطينيين والإسرائيليين ولن تزيد نتائج أى مفاوضات مستقبلية عما آلت إليه سابقتها ومن ثم آن أوان الاعتراف بأن هذه الوسائل وأن نجحت فى مسارات مثل المسار المصرى والمسار الأردني، فإنها غير قادرة على النجاح فى المسارين الآخرين السورى والفلسطيني. ولن نتوقف عند المسار السورى نظراً لتعقيدات معروفة إقليمية ودولية تحول دون إحداث اختراق حقيقى لهذا المسار فى الوقت الراهن أما المسار الفلسطينى والذى نوليه الاهتمام هنا فيجب

الإقــرار بأن المؤتمرات الدوليــة والرعــاية الأمــريكيــة للمفاوضات والتفاوض المباشر..كل ذلك لن يحل الأزمة.

❖ الخروج إلى آفاق جديدة:

خلف ستار آنابوليس وفى مسار بعيد عن الخط الذى ينتهجه الطرف الإسرائيلى حالياً تعج الساحة الإسرائيلية بطرح يقدمـه اليـمين الإسـرائيلى ويروج له منذ سنوات قليلة وهذا الطرح يتعامل بواقعية مع حقيقتين:

الأولى:

إن إسرائيل لن يكون بوسعها الانسحاب من أراضى عـام ١٩٦٧ بالكامل نظراً لاحـتيـاجـاتهـا الأمنيـة مع إقـرارها فى الوقت نفسـه بأن الفلسطينيـين لن يقـبلوا هذا التصـور ولا يوجد داخل السـاحة الفلسطينية من هو قـادر على توقيع اتفاق يقدم التنازلات الإسرائيلية المطلوبة فى قضايا الحدود والقدس وحق العودة.

الثانية:

إن مـشكلة إسـرائيل الراهنة لا تكمن فى قـضـيـة القـدس وقـضـيـة حق العـودة فكلا القـضـيـتين يمكن لإسـرائيل أن تتـعامل معـهمـا بسيـاسـة الأمـر الواقع أى الإبقاء على القدس موحدة وعدم السماح بعودة اللاجئين خاصـة وأن كلتاهـما لا ترتبطان ارتبـاطاً فعليـاً بالقضـية الثـالثـة والأكـثـر خطورة والتى أظهـرت إسـرائيل عـجـزا حقيـقيـا فى مـواجهـتها، وهى قضـية تأمين الحـدود بين إسـرائيل والفلسطينيين بما يكفل منع وجود تهـديدات للأراضى الإسرائيلية وفق خط الحدود الذى ترتضيه.

فى ظل هـاتين الحقيقتين يقدم اليمين الإسرائيلى ممثلا فى حزب إسرائيل بيتينو وأحزاب الجبهة القومية والأحزاب الدينية تصوراً عن حل يقوم على تبادل الأراضى أى إجـراء تبادل أراضى واسع النطاق ليس بين إسرائيل والفلسطينيين وحـدهمـا بل بين إسـرائيل وكل من الفلسطينيين ومـصـر والأردن (وربما سوريا فى مرحلة لاحقة).

وحسب تصور جيورا إيلاند رئيس مجلس الأمن القومى السـابق- فإن تبادل الأراضى يجب أن يخلق دولة فلسطينية قـابلة للحـياة عـبـر تكوينها من اقـتطـاعـات فى سـيناء يتم ضمها إلى غزة على أن تعطى مصر مقابل ذلك أراضى فى النقب الإسرائيلى كما يمكن اقتطاع أجزاء من الجولان تضم لإسرائيل ويتم تعويض سوريا من أجزاء أخرى فى الجليل.

وهناك تصـور مكمل يقدمـه زعيم حزب إسـرائيل بيـتينو أفيجدور ليبـرمان الذى يرى إمكان ضم الـ٦٠٠ كيلومتراً التى تحتلها المستعمرات الإسرائيلية فى الضفة ويتم ضمها إلى إسـرائيل مـقـابل ضم أجزاء من المثلث الواقع داخل إسرائيل ويحوى أغلبية عربية إلى الدولة الفلسطينية التى ستنشأ لاحقاً.

إذا مـا تفـادينا التسـاؤل عن مدى استعداد الدول العربيـة المقـترحة للدخـول فى عمليـة التبادل وخاصـة مصـر وسـوريا فـإن إيجابيـات هذا المقـترح أنه سـيخلق شـرعـيــة لدى الطرف الأضــعـف (وهـو الطـرف الفلسطينى)، للدفــاع عن فكرة التنازل عن أراضى فلسطينيـة باعـتبـار أن كـافة الدول بما فى ذلك مصـر وسوريا قـد قدمتـا نفس التنازل كما سيـقوى أيضـاً من مـوقف أى سلطة فلسطينيـة تقـدم على إسـقـاط حق العودة، أو بمعنى مختصر، فإن إقدام الفلسطينيين على التنازل عن الحـقـوق التى اعـتبـروهـا الحـد الأدنى فى السـابق والذى يمكن قـبـوله للتـوصل إلى تسـوية مع الإسرائيليين، لن يكون ممكناً إلا بحماية إقليمية واسعة النطاق خـاصـة وأن كـافـة دول المنطقـة سـبق لهـا أن تنازلت فى السابق عن إجزاء من أراضيها فى عمليات التسوية الحدودية بينها وبين جيرانها.

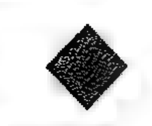
ولكن إسـرائيل تدرك أن مـثل هذا الطرح يبـدو من الصـعب تطبيـقـه الآن ومن ثم فـإنهـا سـتسـعى إلى خلق الحدود التى تريدها مع الفلسطينيين والسوريين ولأنها غير قادرة على حماية هذه الحدود بسبب الاختراقات وعمليات إطلاق الصـواريخ خـاصـة من غـزة ومن داخل الأراضى اللبنانية (فى حالات الاحتكاك القوى والواسع كما حدث فى التى دارت عام ٢٠٠٦)... فإن إسرائيل ستسعى - كما يخطط ليبـرمان- إلى دعوة قوات دولية قد تكون تحت رعاية الأمم المتحدة أو تحت مظلة أمريكية أو حتى تحت مظلة حلف الأطلنطى للقدوم إلى المنطقة ومراقبـة هذه الحدود لمنع انتهاكها حتى ولو بالاعتراف مؤقتاً بأنها مجرد خطوط هدنة كالتى تم وضعها عـام ١٩٤٩، ريثما تنضج الظروف للحل الخاص بتبادل أراضى على نطاق موسع.

إن المشكلة الحـقيـقيـة تكمن فى أنه على عكس مـا يفعل الإسرائيليون من تداول هذه الأفكار وطرحها للرأى العام ومحاولة تسويقها، لا نجد فى العالم العربى مناقشة جدية لمثل هذه المقـترحات تحت وهم أن مشروع تبادل الأراضى واسـتـقدام قـوات من حلف الأطلنطى أو قـوات دولية لمراقبة خطوط الهدنة الجديدة أمر مستبعد !!

ولهؤلاء يجب القول: تذكروا أن المشروع الصهيونى نفسه عندما جرى طرحه فى مؤتمر بازل الشهير عام ١٨٩٧ كان ضربا من الخيال بمعايير العصر نفسه كما كانت أحلام الحركة الصهيونية بتهجير ملايين اليهود لى فلسطين قبل إنشاء الدولة العبرية وبعد إنشاءها امرا صعب المنال،وأن الزعم بأن العرب سيسلمون حتما بحقيقة وجود إسرائيل وسيتفاوضون معها مباشرة وسيقيمون معها علاقات طبيعية أو على الأقل رسمية كان بدوره ضربا من الجنون......

كانت كل هذه الطروحات فى حينها قفزا على الوقائع ولكنها أصبحت اليوم حقيقة من حقائق الحياة فى منطقتنا..!!.

مـا نود قوله هنا أن السلام ضرورة إستراتيجية لمصر وللعرب ولكن عليهما يقع عبأ التفكير الإبداعى من أجل التوصل إلى سلام مستقر مع إسرائيل بدلا من الانتظار حتى يسوق الآخرون مشروعاتهم فيما نكتفى نحن بالقبول أو بالرفض.



رؤية عربية



إسرائيل تستكمل استعداداتها لحرب الخريف

لواء أ.ح متقاعد/ حسام سويلم

في الوقت الذي كانت تستعد فيه الحكومة الإسرائيلية للمشاركة في مؤتمر السلام الذي دعا إلى عقده الرئيس الأمريكي جورج بوش في مدينة أنابوليس بالولايات المتحدة في ٢٦ نوفمبر الماضي، أفادت تقارير أجهزة المخابرات الغربية أن كل من وزارة الدفاع ورئاسة هيئة الأركان العامة في إسرائيل تستكمل استعدادتها لحرب متوقعة في خريف ٢٠٠٧ أو بداية ٢٠٠٨ قد تتعدد مسارح عملياتها بين إيران ولبنان وسوريا وتشارك فيها الولايات المتحدة.

❖ تجديد مخزونات الذخائر الذكية:

فقد كشفت هذه التقارير الاستخباراتية الجديدة عن موافقة الإدارة الأمريكية على إعادة تجديد وتجهيز مخزون إسرائيل من الصواريخ والقنابل والمقذوفات الذكية بعد ما أظهرت حرب لبنان في صيف ٢٠٠٦ مدى ضالة هذا الاحتياط، بل وعدم صلاحية جزء كبير من الذخائر بسبب تقادمها. ونقلت صحيفة de-fense newsالدفاعية عن مصادر أمريكية وإسرائيلية أن الكونجرس الأمريكي أجاز في شهر سبتمبر الماضي بيع إسرائيل آلاف القنابل والصواريخ الذكية بقيمة حوالى ٨٠٠ مليون دولار، على أن تحدد إسرائيل جدول تسلمها لهذه الذخائر بناءً على حاجة سلاحها الجوى.

وأضافت هذه التقارير أن كمية من هذه الذخائر سترسل بشكل عاجل إلى إسرائيل لتعزيز الترسانة التى تسلمتها من أمريكا خلال الحرب الأخيرة، والتى بلغت قيمتها نصف بليون دولار وتضمنت قنابل موجهة باالليزر من طراز "pave" way، وقنابل مضادة للتحصينات طراز gbu-28، blu-109، وأشارت التقارير إلى أن هذه الذخائر سلمت إلى إسرائيل من احتياطى سلاح الجو الأمريكي، بعد ٤٨ ساعة فقط من بدء الحرب وبعد نقل الوقود اللازم للطائرات الإسرائيلية والذي نال أسبقية مطلقة حيث كانت إسرائيل تعاني من نقص حاد فيه، وأصبح لديها اليوم احتياطى منه يكفي عمليات جوية لمدة أربعين يوماً. وهو ما يعكس عمق العلاقة الإستراتيجية والعسكرية بين البلدين.

وطبقاً لمصادر في وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" فإن إسرائيل ستحصل في الفترة الزمنية القصيرة القادمة على كمية ضخمة من الذخائر ستضم حوالى عشرة آلاف قنبلة موجهة عبر الأقمار الصناعية بعد تجهيزها بمنظومة (JDAM) joint direction air mu-mitionوالتي تربط القنبلة أو الصاروخ بالهدف عبر القمر الصناعى وبما يكفل إصابته للهدف بدقة تصل إلى نصف متر، وأربعة آلاف قنبلة موجهة بالليزر طراز "pave way"وثلاثة عشر ألف قنبلة متنوعة الأحجام، وخمسين قنبلة مضادة للتحصينات تحت الارض GBU-28زنة ٥٠٠٠ رطل، بالإضافة إلى سبعمائة صاروخ جو/جو مضاد للطائرات طرازى Sidewinder، Amram. وتقول مصادر وزراة الدفاع الإسرائيلية أن هذه الكميات من الذخائر الذكية ستعزز احتياطى السلاح الجوى الإسرائيلي بشكل يمكنه من خوض حرب لبضعة أسابيع على آكثر من جبهة، وقد تصل إلى شهرين. كما وافق

الكونجرس على طلب تزويد سلاح الجو الإسرائيلي بـ ١٣٢مليون برميل من وقود الطائرات. قيمتها ٣٠٨ مليون دولار. وتخصم المبالغ المطلوبة لتمويل صفقات الذخائر الجديدة من المساعدات المالية الأمريكية الإضافية التى حصلت عليها إسرائيل مؤخراً، حيث ارتفعت من ٢,٤ مليار دولار سنوياً إلى ٣,٢ مليار دولار، وتبلغ قيمة هذه الصفقات ٦٥٠ مليون دولار.

وفي مجال آخر، وضمن سياق الاستعدادات العسكرية بناءً على نتائج حرب الصيف الماضي، ضاعفت شركات الانتاج العسكرى الإسرائيلي جهودها في تطوير قذائف ذكية توضع في خدمة القوات البرية في أقرب وقت ممكن، وذلك من أجل تعزيز دور وفعالية سلاح المدفعية. وأشارت دراسة لجهات عسكرية إسرائيلية إلى أن سلاح المدفعية الإسرائيلي أطلق في الحرب الأخيرة في جنوب لبنان نحو ١٧٠ ألف قذيفة متعددة الأعيرة معظمها ٥٥ مم على مواقع حزب الله، ثلاثون في المائة منها كانت عشوائية وبلا أهداف محددة، في حين أن عشرة بالمائة منها فقط أصابت أهدافها بشكل فعال ساهم في مساندة تحركات وهجوم الوحدات المدرعة والخاصة الإسرائيلية. وعليه فقد بدأ الجيش الإسرائيلي إجراء تجارب على أنظمة مقذوفات ذكية للمدفعية تطورها شركات محلية لقذائف مدفعية عيار ١٥٥ مم وهاونات ١٢٠ مم، توجه إما عبر الأقمار الصناعية أو بأشعة الليزر من أجل زيادة دقة إصابة الأهداف لتكون ضمن دائرة لا يزيد قطرها عن ١-٢ متراً.

ويشير مصدر عسكرى إسرائيلي إلى أن جزءاً كبيراً من الأموال المرصودة للخطة الخماسية لتطوير الجيش الإسرائيلي وتسليحه سيذهب لتعزيز قدرات القوات البرية، خصوصاً سلاحى المدفعية والمدرعات. ولذلك يتوقع أن تبدأ إسرائيل قريباً بإدخال قذائف مدفعية ذكية في الخدمة الفعلية.

أما فيما يتعلق بالسلاح البحرى فقد دافعت الولايات المتحدة على إمداد البحرية الإسرائيلية بثلاثين صاروخاً بحرياً سطح/ سطح، طراز Arform من إنتاج شركة بوينج، وهى صواريخ تطلق من الفرقاطات الإسرائيلية الحديثة والتى تم بناؤها في الولايات المتحدة. وتبلغ القيمة الاجمالية لصفقة الصواريخ ٣٣٤ مليون دولار.

❖ الإعداد الهندسي لمسرح العمليات:

وتتزامن عمليات التسلح الإسرائيلية مع استمرار التوتر على جبهة الجولان والتى أجرت فيها القوات البرية والجوية الإسرائيلية مناورات بالذخيرة الحية في الشهر الماضي تحسباً لاحتمالات قيام سوريا بهجوم مفاجئ لاستعادة هضبة الجولان في عيد الغفران. لذلك عززت إسرائيل خطوطها الدفاعية في الجولان، حيث تبعد قواتها عن العاصمة دمشق بما لا يزيد عن ٤٥ دقيقة بالمدرعات. وذلك ببناء التحصينات والخنادق الدفاعية ومرابض الدبابات ومواقع المدافعية ومراكز القيادة والسيطرة التكتيكية والتعبوية. هذا بالإضافة لزرع الألغام على طرق التحرك المتوقع تقدم القوات السورية عليها، إلى جانب تمهيد الطرق والمدقات اللازمة لتقدم وهجوم الوحدات المدرعة والميكانيكية الإسرائيلية صوب دمشق. وتستهدف القوات الإسرائيلية من تعزيز دفاعاتها في الجولان، ليس فقط إعاقة تقدم القوات السورية، ولكن أيضاً وهو الأهم كسب الوقت اللازم لتعبئة قوات الاحتياط التى تشهد ثورة حقيقة في نظام التعبئة والتدريب والتسليح بمعدات حديثة، إلى جانب تطوير نظام الاستدعاء، وتستثمر وزارة الدفاع الإسرائيلية في هذا الشأن ٤٢٠ مليون دولار بهدف مساواة قوات الاحتياط بالقوات العاملة في مستوى الكفاءة القتالية، وبما يمكن هذه القوات بعد تعبئتها من سرعة التحرك إلى الجبهة سواء السورية أو اللبنانية أو الفلسطينية - بشن هجمات مضادرة تحقق الأهداف الاستراتيجية من الحرب داخل الأراضي العربية.

❖ مركز قيادة "يوم القيامة":

وفي إطار الإعداد الإسرائيلي لمسرح الحرب القادمة، كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت في ٢٧ أغسطس الماضي عن وضع حجر الأساس لملجأ ضخم تحت الأرض في جبال القدس سيأوى إليه كبار القادة السياسيين والعسكريين الإسرائيليين في حالة نشوب حرب تستخدم فيها أسلحة دمار شامل ضد إسرائيل(نووية، كيماوية، وبيولوجية). وسيستخدم لإدارة الحرب القادمة بشقيها السياسي والعسكري، وستكفل له الوقاية من الهجمات النووية، حيث سيكون على عمق كبير تحت الأرض.

واعتبرت الصحيفة أن هذا المشروع يعد أحد أكبر مشاريع البناء في تاريخ إسرائيل، وقد تتعدى تكلفته ٢٥٠ مليون دولار، وقد نشرت الصحيفة صوراً من أعمال الحفر داخل الجبل، وكتبت فوقها "ملجأ يوم الدين". ونقلت الصحيفة عن أحد الأشخاص الذين أتيح لهم دخول موقع البناء قوله "يبدو هذا كنهاية العالم"، فمثل هذه الأمور لا ترى إلا في الأفلام وفي

التليفزيون، وفي هذا المكان يتجولون بإحساس من الرهبة، ومن هنا ستدار دولة مشتعلة".

وتابعت الصحيفة أن الملجأ الضخم سيشمل قيادة الجيش ومكاتب قيادة الدول ومنتخبيها ومكانا لكبار الموظفين. وتابعت "إلى هنا سيهرب هؤلاء مع قدوم يوم الحساب... رئيس الوزراء ومنتخبو الشعب كي يديروا الدولة بعد الهجوم النووي- سفينة نوح من طراز حديث".

وأشارت الصحيفة إلى أن حراس الموقع لا يتيحون لأحد دخوله من دون إذن من المؤسسة الأمنية، وأن جميع العاملين في الحفر والبناء هم من اليهود الذين خضعوا لتفتيش أمني. ويشمل المجمع القيادى قاعات ارتفاعها عشرات الامتار وغرف نوم لمئات الأشخاص، ومقر القيادة السياسية والعسكرية، ومصادر خروج طوارئ مرتبطة كلها بمعبر تحت الأرض مع مكتب رئيس الوزراء الجديد الذي يتم بناؤه في مجمع الوزارات في القدس".

وتوقعت الصحيفة أن ينتهي العمل في هذا الملجأ القيادى عام ٢٠١١ . وكان إيهود باراك وزير الدفاع الحالي قد أقر خطة تنفيذه عندما كان رئيساً للحكومة قبل ثماني سنوات، وتابعت الصحيفة أنه لم يتقرر بعد هوية المحظوظين الذين ستدرج أسماؤهم على لائحة الأشخاص الذين سيحفظ لهم مكان في الملجأ كما لم يتقرر بعد ما إذا كان سيسمح لأبناء عائلات الوزراء بالإقامة فيه أثناء الحرب، وهو ما جعل صحيفة يديعوت أحرونوت تقول إن هذا المشروع يثير من الآن ليس فقط معضلات اقتصادية، بل وأخلاقية أيضاً حول من سيتاح لهم بالتواجد في هذا الملجأ ومن لن يسمح له بذلك.

❖ منظومة الدفاع الصاروخي والقبة الحديد:

أفادت مصادر في مؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية (رفائيل) أنها تعمل على تطوير منظومة دفاع جوية أطلقت عليها القبة الحديد لاعتراض صورايخ قصيرة المدى مثل الكاتيوشا والقسام، وستكون جاهزة للخدمة في وحدات الدفاع الجوى الإسرائيلية خلال سنة ونصف. وقد نقل موقع "عرب ٤٨" عن هذه المصادر أنه تم إجراء سلسلة من التجارب الناجحة على هذه المنظومة الدفاعية الجديدة، مشيرة إلى أن منظومة واحدة منها تكفي للدفاع عن مدينة حيفا.

وقد سبق لوزير الدفاع إيهود باراك أن صرح في الأسبوع الاول من أغسطس الماضي فإنه يعتقد بأن إسرائيل تستطيع تنفيذ انسحاب من الضفة الغربية فقط بعد استكمال تطوير المنظومة الدفاعية المضادة للصواريخ قصيرة المدى. وأن اتفاقا تم بين رفائيل ووزارة الدفاع في مايو الماضي يقضي بأن تكون هذه المنظومة جاهزة خلال ٢٤ شهرا، إلا أن التقدم الجاري في عملية التطوير ستمكن الشركة من انجازها خلال سنة ونصف. ويتم تطوير هذه المنظومة بالتعاون مع رفائيل والصناعات الجوية، حيث تقوم رفائيل بتطوير الصاروخ وأجهزة الاعتراض، في حين تقوم شركة (ألتا) بتطوير الرادار الخاص بالمنظومة. وتصل تكلفة تطويرها والتجارب ما بين ٥٠ - ٦٠ دولار في حين تصل تكلفة الصاروخ المعترض ٣٥- ٥٠ ألف دولار.

وتعمل منظومة "القبة الحديد" على تحديث مكان وتوقيت واتجاه إطلاق الصاروخ المعادي بواسطة نظام خاص يحذر من إطلاق الصواريخ قصيرة المدى، في حين يقوم الرادار الذي طورته شركة (ألتا) بمتابعة الصاروخ خلال تحليقه في الجو، وبعد ثانية واحدة من رصده يتم إطلاق صاروخ الاعتراض بسرعة من القاذف، ويفترض أن يتم الاعتراض في الجزء الصاعد من منحنى خط مرور الصاروخ المعادي أو عند أقصى ارتفاع وقبل أن يهبط متجها إلى الهدف. وبحسب رفائيل فإن هذه المنظومة الجديدة تقوم بحساب موقع سقوط الصاروخ المعادي، وفي حال تبين أنه سيسقط في منطقة مفتوحة بعيدة عن الأهداف الإستراتيجية والسكانية الإسرائيلية فلن يتم اعتراضه، وذلك بسبب التكلفة العالية لصاروخ الاعتراض.

ويذكر أن لجنة برئاسة نائب رئيس "دائرة تطوير وسائل القتال في وزارة الدفاع" درست ١٤ اقتراحا لتطوير نظام دفاعي من الصواريخ الاعتراضية، واختارات القبة الحديد منذ أشهر وصادق عليها وزير الدفاع السابق عمير بيرتس. وكانت الصناعات العسكرية تاعاس اقترحت منظومة أخرى لاعتراض الصواريخ تعتمد على إطلاق صاروخ يصل قطره إلى ١٦٠ مم باتجاه الصاروخ المعادي بتكلفة تصل إلى نصف تكلفة صاروخ "القبة الحديد" إلا أنه لم تتم الموافقة على الاقتراح لكونه يستغرق أكثر من ٢٠ شهرا لإجراء التجربة الأولى عليه، علاوة على الحاجة إلى سنة أخرى ليصبح قيد الاستخدام.

وقالت مصادر أمنية إسرائيلية أنه من غير المستبعد مستقبلا دمج المنظومة الثانية التي تطورها تاعاس مع الدفاعات المضادة للصواريخ، وأي كانت هناك شكوك بأن توفر هذه المنظومة الرد المناسب على الصواريخ قصيرة المدى، وذلك رغم الفحوص المتكررة والمختلفة لمنظومة (تاعاس).

أما عيوب منظومة "القبة الحديد" فهي أنها لا توفر الرد على الصواريخ متوسطة المدى مثل "شهاب ٣"، "سكود بي سي دي. بينما أفضليتها في تكلفة التطوير المنخفضة بالمقارنة مع منظومات أخرى خاصة وأنه من المفترض أن توفر الرد على عشرات ومئات الصواريخ قصيرة المدى (كاتيوشا والقسام...الخ) التي تملكها ميليشيات منظمة مثل حزب الله وحماس خصوصا إذا ما لجئوا إلى اتباع إستراتيجية الإغراق الصاروخي بقصف الهدف الواحد بعشرات الصواريخ.

❖ منظومة موقع الليزر أو "سكاي جارد":

– يفترض في هذه المنظومة الأمريكية أن تعترض كل أنواع الصواريخ من مسافة ٤ – ١٠ كم من المنطقة التي تم نشر المنظومة للدفاع عنها. وهي من انتاج شركة " نورثروب -جرومان" الأمريكية، ومن المفترض أنها تعتمد على مدفع الليزر دناوتيلوس) بالإضافة لتطويرات تمنح المنظومة مدى أكبر وقدرة أعلى على الاعتراض في الظروف الجوية المتنوعة.

– وتصل تكلفة التطوير إلى ١٥٠ –٢٠٠ مليون دولار وتستغرق العملية سنة ونصف. أما تكلفة كل مدفع ليزر وأجهزة إنتاج الطاقة المرافقة له فتصل إلى ٤٠ – ٧٠ مليون دولار، في حين تصل تكلفة اعتراض أي صاروخ إلى ١٠٠٠ – ٣٠٠٠ دولار.

– وكما أن أشعة الليزر بحاجة إلى بضع ثوان من أجل التركيز على الهدف الصاروخي المعادي لتدميره، خصوصا خزان وقود الصاروخ، فإن القائمين على الفكرة في إسرائيل يقولون إن إسرائيل في حاجة إلى ٢٠– ٢٥ منظومة من مدفع الليزر للدفاع عن الشمال والجنوب، أما المسئولون في وزارة الدفاع وهيئة الأركان العامة والسلاح الجوي فيعتقدون أنها تحتاج إلى ٧٠ مدفع ليزر من هذه المنظومة والتي تصل تكلفتها إلى ما يقارب ٣ مليار دولار.

– وتتميز هذه المنظومة باعتمادها على تكنولوجيا تمت تجربتها في الماضي بنجاح، وكذلك فإن الوقت الذي يستغرقه تطورها سيكون قصيرا جدا، علاوة على أن اعتراض أي صاروخ لن يكون مكلفا، فقي حين تبقى مشكلة حجم المنظومة الكبير وسعرها، ناهيك عن عدم قدرتها على مواجهة استراتيجية الاغراق الصاروخي السابق الإشارة إليها.

– وتصرح مصادر في وزارة الدفاع الإسرائيلية بأن منظومة "سكاي جارد" لن تكون صالحة للاستخدام في السنوات القريبة بسبب مشاكل تقنية مختلفة، وكان باراك قد طلب في بداية أغسطس الماضي إجراء فحص مجدد لامكان امتلاك هذه المنظومة.

❖ العقيدة الأمنية لـ "باراك":

– في سياق استعراض أمني وإستراتيجي عام للأوضاع على الحدود الإسرائيلية مع كل من سوريا ولبنان في الشمال ومع قطاع غزة في الجنوب، قدمه إيهود باراك وزير الدفاع الإسرائيلي أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، أوضح باراك أن ثمة إشارات لتلاشي التوتر في الجانب السوري من الحدود، مضيفا أن إسرائيل ليست معنية بتصعيد مع دمشق، وأن السوريين في تقديره ليسوا أيضا معنيين بحرب مع إسرائيل، وإن كانوا يبذلون قصارى جهدهم لتطوير قواتهم المسلحة خصوصا في مجال تحديث أنظمة دفاعهم الجوية وقواتهم الجوية واسلحتهم المضادرة للدبابات. أما تقدير باراك لحزب الله، فقد ذكر أن قوته العسكرية تعاظمت نتيجة الجهود الكبيرة التي بذلها منذ انتهاء الحرب الأخيرة على لبنان لترميم قدراته العسكرية والتزود من جديد بوسائل قتالية وذخيرة متنوعة ومتطورة.

– وقدر باراك أن ترسانة حزب الله من الصواريخ التي يملكها أكبر بنسبة ٥٠٪ قياساً بعددها قبل الحرب العام الماضي، أي حوالي ٢٠ ألف صاروخ تتضمن صواريخ قصيرة ومتوسطة المدى يصل مداها إلى ١٤٠ كم وأخرى مضادرة للدبابات، بالإضافة لصواريخ مضادرة للطائرات قصيرة المدى لم يكن مسلحا بها في الحرب الأخيرة، وأن هذه المنظومات من الصواريخ قام حزب الله بنشرها في المنطقة الواقعة بين شمال نهر الليطاني وجنوب نهر الوزاني. وعن الأوضاع في قطاع غزة قال باراك أن مسلحي حركة حماس تسلحوا بصواريخ كاتيوشا أطول مدى (١٥ كم) والتي قد تصيب مستوطنات في عسقلان. وأن الجيش الإسرائيلي سيواصل التمتع بحرية النشاط في قطاع غزة لإحباط العمليات (العدائية)، وأضاف أن "الجيش يدرس السبل الصحيحة لمواجهة قصف القذائف الفلسطينية من القطاع، ولا يستبعد القيام بعمليات واسعة هناك". وتابع بأن دعا الجميع إلى الوثوق بالمؤسسة الأمينة في اختيار حجم العمل العسكري المناسب، وطبيعته للرد على القصف وأكد أن إسرائيل ستوفر خلال عامين ونصف الرد المناسب لاعتراض القذائف منحنية الرأس. وزاد بأن حركة حماس قد تحاول تنفيذ هجمات عدائية

في محاولة منها لنسف المؤتمر الدولي المقرر عقده في نهاية نوفمبر الجاري.

- وقد شرح باراك أمام الحاضرين عقيدته الأمنية التي تقوم على خمسة مبادئ على النحو التالي:

أ- توفير منظومة دفاعية ناجحة لاعتراض القذائف الصاروخية والصواريخ المختلفة.

ب- تحسين قدرات الجيش على المناورة في مجالات عدد القوات والتحصن وخفة الحركة.

ج- زيادة طول النفس اللوجيستي للجيش في مجالات التخزين والإمداد بالاحتياجات.

د- تكثيف التدريبات بما فيها المناورات بالذخائر الحية.

هـ- استعادة مصداقية إستراتيجية الردع، و"الذراع الطويلة"، وتمكين الجيش من العمل في عمق العدو وأضاف باراك بأن الجيش بحاجة إلى خطة لبناء قواته على نحو يمكنه من تحقيق الانتصار الواضح والحاسم في أي معركة على أن يتم حسمها في أرض العدو، وفي أقصر فترة زمنية.

- وفي غضون ذلك أعلنت مصادر في مكتب رئيس الحكومة أنه إنجاز تطبيق توصيات التقرير المرحلي للجنة فينوجراد حول حرب لبنان الثانية، وأنه سيتم قريباً التقدم إلى الكنيست بمشروع قانون يحدد بدقة مهام "مجلس الأمن القومي" الذي أوصت اللجنة بإقامته، كما سيتم تشكيل "مركز قومي لمعالجة الأزمات"،لا يكون مسئولاً عن نشاط محيط رئيس الحكومة أثناء وقوع أزمات ويشمل إقامة غرفة عمليات. وأضافت هذه المصادر أنه سيتم تطبيق التوصيه المتعلقة بعقد اجتماعات دورية للحكومة المنية المصغرة لإطلاع الوزراء على آخر المستجدات الأمنية، مع اتخاذ إجراءات مشددة لمنع تسرب مناقشات الحكومة الأمنية.

❖ رؤية تحليلية:

-إن الإشارات التي أبداها باراك حول تلاشي التوتر بين إسرائيل وسوريا تبين أنها نوع من الخداع السياسي، حيث قامت إسرائيل عقب هذا التصريح بما لا يتعدى أسبوعين بغارة جوية شنتها مقاتلات إسرائيلية f-15 ضد موقع عسكري سوري في شمال سوريا، دمرته محققة عدة أهداف إستراتيجية وعسكرية أبرزها استعادة مصداقية استراتيجية الردع واستمرار القدرة على العمل خارج حدودها، وشن الهجمات الاستباقية ضد المصادر التي قد تشكل في المستقبل تهديداً لها، بل ولتثبت إسرائيل لخصومها في العالم العربي والإسلامي - خصوصاً سوريا وإيران وحزب الله - أن ما يبذلونه من جهود لتدعيم أنظمة دفاعاتهم الجوية بمعدات روسية حديثة، من الممكن تحييدها بما تملكه إسرائيل من تقنيات متفوقة في مجال الحرب الالكترونية. وهو ما يؤكد أن نوايا باراك تجاه الدول العربية والإسلامية لا تزال عدوانية وبعيدة جداً عما تتشوق به إسرائيل من رغبة في إحلال السلام بينها وبين الدول العربية، وأن سوريا وحزب الله وإيران أصبحوا في قمة أولويات الضربات الاستباقية الإسرائيلية التي تستهدف إسرائيل من ورائها استعادة هيبة جيشها التي التي فقدها في حرب لبنان الأخيرة.

كما تشير سياسة الخداع الجديدة التي يتبعها باراك إلى نهج جديد في الإستراتيجية الإسرائيلية يعتمد أساليب الغموض في شأن ما تقوم به، وما ستقوم به من عمليات عدائية عسكرية ضد الدول العربية، بل والحرص على عدم تبديد الضباب الذي يحيط بهذه العمليات الأمنية الحساسة، وباعتبار هذا الغموض وهذه الضبابية تزيد من تأثير عامل الردع، كما هو الحال في مسألة قدراتها النووية. وبالتالي فليس من مصلحة إسرائيل تبديد أي غموض يحيط بعملياتها وسياستها العسكرية، ودفع خصومها في العالم العربي والإسلامي إلى كشف ما توجهه إسرائيل ضدهم من عمليات عدائية، الأمر الذي يزيد من إحراجهم أمام شعوبهم، ويضاعف بالتالي من مكاسب إسرائيل السياسية، خصوصاً وأن أي عمل عسكري إسرائيلي ضد أي طرف عربي - حتى وإن كان عملاً محدوداً - سوف يحمل رسائل ذات مغزى لباقي الأطراف العربية والإسلامية في المنطقة، أهمها أن إسرائيل لديها القدرة على التحكم بدقة في الأمور العسكرية، سواء بالتوسع فيها أو ضبطها عند حد معين، وبالتالي التحكم في مستوى التوتر في المنطقة عند الحد الذي تريده إسرائيل.

نخرج من ذلك باستنتاج مهم مفاده أن إسرائيل أصبحت في وضع تبحث فيه عن مبرر لشن حرب جديدة ضد من تقدر أنهم ذات أولوية في قائمة أعدائها، وبالتالي فإن هذه الحرب صارت - طبقاً لرؤية مراقبين إسرائيليين - مسألة حتمية لعدة أسباب أبرزها ما تعاني منه حكومة أولمرت من تراجع شعبيتها بسبب فشلها في إدارة حرب لبنان سياسياً وعسكرياً، وهو ما انعكس في الانتقادات الشديدة التي وُجهت لها في تقرير فينوجراد، بل إن ما استخلصه المراقبون في إسرائيل من هذا التقرير - لاسيما في شقه السري

الذي لم يُعلن بعد - يحث أولمرت على الحرب لاستعادة الإسرائيليين ثقتهم في جيشهم وقياداتهم السياسية والعسكرية، كما أن حرب جديدة ستمكن أولمرت من استعادة شعبيته المفقودة. وحتى لا يوصف حكمه بعد سنوات بأنه هو الذي تسبب في هزيمة عسكرية للجيش الإسرائيلي، خاصة وأنه حتى اليوم لم ينجح في استعادة الجنديين الإسرائيليين اللذين اختطفهما حزب الله، وهو ما يمثل انتقاصاً من هيبة حكومته. فإذا أضفنا إلى ذلك موقف رئيس حزب الليكود - بنيامين نتنياهو - الخصم اللدود لأولمرت، والطامع في الفوز برئاسة الحكومة في الانتخابات القادمة - حيث بدأ حملة ضد ما أسماه ضعف حكومة أولمرت، فإنه يمكن أن ندرك حجم الضغوط الداخلية التي يتعرض لها أولمرت، وتدفعه إلى شن حرب ضد حزب الله لن يجد صعوبة في إيجاد - أو خلق - ذريعة مناسبة لتبريرها باعتبارها دفاعاً عن النفس. ومن هذه الذرائع ما تمهد له حالياً المخابرات الإسرائيلية بتوجيه اتهامات ضد حزب الله بأنه يجند خلايا مسلحة من شباب عرب فلسطيني ٤٨، للقيام بعمليات مسلحة ضد الإسرائيليين في الجليل، وذلك بواسطة من أطلقت عليهم الموساد تنظيم "كتائب أحرار الجليل". وأن حزب الله يوفر لهذا التنظيم السلاح والتدريب والتمويل، كما يقوم حزب الله بشحنهم معنوياً بما يكسبهم القوة والثقة بالنفس، حيث يهاجم الواحد منهم هدفاً أقوى منه بكثير.

وفي الخلاصة، فإنه مما لا شك فيه أن الجيش الإسرائيلي يستعد لمواجهة ما يطلق عليه "مواجه مخاطر الأعوام الخمسة القادمة"، والتي تتضمن:

أ - منع دولة إسلامية بعيدة عن الحدود الإسرائيلية - خصوصاً إيران وباكستان في حالة تسلم نظام إسلامي متطرف الحكم بعد برويز مشرف - من حيازة سلاح نووي، أو من توجيه هذا السلاح إلى إسرائيل.

ب - الحرب مع سوريا، وجولة حرب جديدة مع حزب الله، أو مواجهة مع الفلسطينيين، وتمرد عرب إسرائيل، وتوتر العلاقات مع مصر بعد انتهاء عهد الرئيس حسني مبارك، ونهاية حكم العائلة الهاشمية في الأردن، وانقلاب في الدول الخليجية.

وتتحسب إسرائيل لمواجهة هذه المخاطر كلها مجتمعة، لذلك تقدر رئاسة هيئة الأركان العامة أنها في حاجة ماسة إلى زيادة الحجم الحالي للقوات البرية بإنشاء من ٣ - ٥ فرق مدرعة وميكانيكية، ولكن لأن الميزانية الدفاعية للدولة لا تسمح لها بذلك، فإن القيادة العسكرية لإسرائيل ممثلة في وزارة الدفاع ورئاسة هيئة الأركان العامة تستعيض عن ذلك بزيادة جاهزية القوات المسلحة واستعدادها ورفع كفاءتها القتالية، مع تعزيز قدراتها على الانتقال من جبهة إلى أخرى - أي من جبهة قتالية إلى جهة أخرى، باعتبار ذلك هو الحل المناسب في ظل قيود الميزانية.

ولأن العقيدة العسكرية الإسرائيلية تلزم القوات المسلحة بالقضاء على أي خطر يهدد وجود إسرائيل قبل وقوعه، فإنه يتعين اليوم على الإستراتيجية العسكرية لإسرائيل أن تأخذ في الحسبان مخاطر استخدام أسلحة الدمار الشامل ضدها. وهو ما يعني في هذه العقيدة توجية ضربة استباقية إلى إيران لمنعها من حيازة سلاح نووي. ولكن لأن الاختلاف مع واشنطن محظور على إسرائيل، فإن شن أي عملية عسكرية إسرائيلية كبيرة ضد إيران أو غيرها من الدول العربية والإسلامية هو رهن التفاهم المُسبق مع الولايات المتحدة، خصوصاً وأن إسرائيل تحصل على أفضل الأسلحة الأمريكية، وهي الأسلحة التي تضمن تفوقها العسكري على سائر جيوش المنطقة بما فيها الدول التي تدعمها أمريكا عسكرياً، مثل مصر ودول الخليج العربية.

إسرائيل بين الأصولية الدينية والعلمانية

طلعت رضوان
كاتب وباحث

يسود اعتقاد في الثقافة السائدة، سواء في مصر أو لدى العرب، أن الحركة الصهيونية التي تزعّمت وخططت لتجميع يهود العالم (في مكان ما) يكون لهم بمثابة الوطن (سيناء أو أوغندا أو فلسطين) بدأت على يد هرتسل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) وبصفة خاصة عند محطة المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧، في حين أن التفكير في الاستيلاء على أرض الشعب الفلسطيني بدأ قبل ذلك بأكثر من خمسمائة عام، إذ عندما زار الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون القدس عام ١٣٢٧ وجد بها يهوديين اثنين فقط، فقرّر الدعوة للاستيطان اليهودي في فلسطين. ومن بين الصهيونيين الذين كانوا يأملون في إعادة بناء طائفة يهودية في فلسطين، الحاخام يعقيبا يوسف من مدينة براسبورج الذي هاجر إلى فلسطين عام ١٨٧٠ من أجل أن يقيم طائفة يهودية داخل فلسطين.

وعن تأثير المرجعية التوراتية، فإن حزب (المفدال) عارض في برنامجه الانتخابي أى مشروع يتضمّن تنازلا عن (أرض إسرائيل التاريخية بوصفها أرض الأجداد). وشجب هذا الحزب الحكم الذاتي الفلسطيني، لأنه يمكن أن يؤدى الى نشوء دولة فلسطينية. ولذلك، فهو يعارض بشدة حزب العمل، لأنه انحرف يساراً في مجال الدين والدولة.

ومن بين الأصوليين اليهود الحاخام صموئيل حاييم لاندوا الذي كتب العديد من المقالات، هاجم فيها موقف اليهود الأرثوذكس السلبي من الصهيونية. وأكد على أهمية الاستيطان في (أرض إسرائيل) لأن الإقامة في الأرض المقدسة، هي أحد الأوامر الدينية. وأن (القبس الإلهي لا يؤثر في الشعب اليهودي إلاّ وهو في أرضه. وعليه لا يمكن اعتبار إسرائيل أمة حية وهى تعيش في المنفي) ورفع شعار (التوراة والعمل) وقال إنه لايمكن أن يولد العمل كقوة مبدعة في بناء الأمة دون التوراة التي هي جوهر الانبعاث. أما الحاخام مائير بر إيلان، فيرى أن التوراة والتقاليد الدينية ليست من صنع الإنسان، بل هي قوانين إلهية. ويرى أيضاً أن الدين اليهودى كما يهتم بشئون العبادة، فإنه ينظم شئون الدولة، فليس هناك (في اليهودية فصل بين الدين والدولة. وأن اليهودية تحتوى على كل الشرائع المطلوبة لتسيير شئون الدولة).

وكما زعم الأصوليون الإسلاميون أن الكوارث الطبيعية التي تدمر البيئة وتقتل البشر، غضب من الله، كذلك يروّج الأصوليون اليهود، حيث قال حاخام إسرائيلي أن إعصار كاترينا بالولايات المتحدة الأمريكية غضب من الرب ضد الرئيس الأمريكي بوش بسبب موقفه المؤيد لانسحاب إسرائيل من غزة (شريط الأخبار في قناة الجزيرة يوم ٧ / ٩ / ٢٠٠٥).

روّجت الأصولية اليهودية لفكرتي (الشعب المختار) و (أرض الميعاد) لدرجة أن الحاخام موشيه بن نحمان (١١٩٤ - ١٢٧٠) في تفسيره للتوراة أضفي القداسة على أرض فلسطين، واعتبر أنها (مركز العالم) وأن أورشليم هى مركز (أرض إسرائيل) وأن هذه الأرض هى المكان المناسب والوحيد لتأدية الوصايا الدينية المنصوص عليها في التوراة. وأن الاستيطان في (أرض إسرائيل) واجب ديني. وأن هذا الاستيطان يوازى (كل فرائض التوراة).

ووصل تأثير رجال الدين على عقول اليهود في أوروبا إلى درجة أن (أصبح رفض أحد الزوجين الذهاب الى (أرض إسرائيل) والعيش فيها مبرراً كافياً، حسب الشريعة، للزوج لطلب الطلاق. وأن مثل هذه الاجتهادات كانت من الأسباب التي دفعت بعض اليهود للهجرة إلى فلسطين).

ولأن هرتسل وآخرين من دعاة الصهيونية السياسية نادوا بأن الوطن المنشود لليهود لابد أن يقام على أسس علمانية، فإن الأصوليين لم يغفروا له أنه عندما (زار القدس انتهك العديد من الشعائر الدينية اليهودية، ليؤكد تمييز نظرته اللادينية عن العقيدة الدينية. ولذلك يقول هرتسل في كتابه (الدولة اليهودية) الذي صدر عام ١٨٩٦ (لن نسمح بظهور أية نزعات ثيوقراطية = دولة دينية) لدى سلطاتنا الروحية. وسوف نعمل على إبقاء هذه السلطات داخل الكنيس والمعبد. فالمتسلطون الدينيون اذا حاولوا التدخل في شئون الدولة سوف يلقون مقاومة عنيدة وشديدة من جانبنا). أما الكاتب ماكس نورداو (١٨٤٩ - ١٩٢٣) الزعيم الصهيوني وصديق هرتسل المقرب فكان مؤمناً بأن التوراة (تعتبر كعمل أدبي أقل من أعمال هوميروس والكلاسيكيات الأوروبية. وبأنها طفولية كفلسفة ومقززة كنظام أخلاقى).

وقد يتساءل البعض عن هذا التناقض، بين دعاة الصهيونية السياسية ودعاة الصهونية الدينية وعن تفسير هذا التناقض، كتب د. رشاد الشامى المتخصص في الدراسات العبرية (تكثر في خطب دعاة الصهيونية السياسية الاقتباسات التلمودية، مما يوحى ببعض التناقض مع ما يتبين من علمانية هؤلاء القوم. فإذا علمنا أن هذه الاقتباسات كانت من أساليب دعاة الصهيونية التي تطلّعت إلى الاستثمار الأقصى للدين، واستغلال القيمة الدعائية، والرصيد العاطفي الذي تمتلكه العقائد الدينية عادة، في سبيل أهداف الصهيونية، زال اللبس واختفي التناقض) (❖) وأضاف د. رشاد (ومعنى هذا أن الصهيونية العلمانية نظرت الى اليهودية باعتبارها فولكلور الشعب اليهودى المقدس. ففكرة العهد بين الله والشعب الذي منح الخالق بمقتضاه الشعب (أرض فلسطين المقدسة)كانت بمثابة الأسطورة الشعبية لِ (بن جوريون) ولكنه مع هذا استخلص منها برنامجاً سياسياً. وقرّر حدود دولته مسترشداً بمفاهيم العهد القديم التي لا يؤمن هو نفسه بها، ولكنه كان يتقبّلها (كأساطير شعبية يهودية) وأن بن جوريون لم يكن يهمه إن كانت واقعة (الوعد الإلهى) حقيقة أم لا. بل المهم أن تكون هذه الأسطورة مغروسة في الوجدان اليهودي، ولذلك يجب أن تكون سارية المفعول، حتى بعد أن ثبت آن الوعد الإلهى المقطوع هو مجرد أسطورة شعبية، ليس لها أى مصدر إلهي. وليست هناك ضرورة لإثارة ما اذا كانت التوراة من أصل سماوى أو أرضى. وعندما سئل بن جوريون عما اذا كان يؤمن بالله أجاب (السؤال هو من الله..؟ إن معظم اليهود يتصورونه رجلا عجوزاً. بيد أنني أؤمن بوجود قوى مادية فحسب في العالم)وعلق د. رشاد قائلا (بالرغم من هذه النظرة السلبية الى الدين، فقد كان بن جوريون يدرك أهمية استغلال الدين في سبيل تدعيم الفكرة الصهيونية. واجتذاب المهاجرين الى فلسطين. فأعلن ذات مرة أن (خلود إسرائيل يتميّز باثنتين: دولة إسرائيل والتوراة) وفي مناسبة أخرى قال (على دولة إسرائيل أن تعتمد على نفسها وعلى إلهنا الذي في السماوات) ولذلك فإن بن جوريون أخذ في الحسبان الاعتبارات السياسية والحزبية ومسئولية الدولة، ونحّى آراءه الشخصية جانباً عندما بدأ في وضع أسس التعايش بين المتدينين والعلمانيين. لقد كان بن جوريون يتطلّع الى بناء دولة عصرية، حتى لو خالف ذلك كل ما ورد في التوراة. وكان يؤمن بأن العمل الصهيونى هو الكفيل ببناء الدولة والمحافظة عليها وليست الغيبيات، لأنه كان يعتقد أن الغيبيات انتهى دورها في حياة اليهود منذ قيام الدولة. وكتب بن جوريون (على اليهودي من الآن فصاعداً، ألاّ ينتظر التدخل الإلهى لتحديد مصيره. بل عليه أن يلجأ الى الوسائل الطبيعية العادية مثل الفانتوم والنابالم. وأن الجيش الإسرائيلي هو خير مفسر للتوراة) وكان يرى أن للدين وظيفة عليه القيام بها وكفي، وهو ما عبّر عنه عندما قال (إن الدين هو وسيلة مواصلات فقط. ولذلك يجب أن نبقي فيها بعض الوقت لا كل الوقت) ولم يكن يرتاح للمتدينين والحاخامات لذلك قال (إن حياة اليهود لو تركت للحاخامات لظلّوا حتى الآن كلاباً ضالة في كل مكان، يضربهم الناس بالأقدام. ويحتمى اليهود من أقدام الأغلبية الساحقة لهم في كل مكان بأحلام العودة الى أرض الميعاد والأجداد وانتظار المسيح، الذي سيهبط عليهم من السماء لينقذهم ويقوم لهم بكل العمل، بينما هم يصلّون الفجر والعشاء ويبكون ليلا ونهاراً).

❖❖❖

في مقابل التيارات الدينية التي تؤيد الاستيطان الإسرائيلي، وترفض أي حق للشعب الفلسطينى في أرضه، هناك تيارات دينية أخرى تخالف الأولى وترفض الصهيونية السياسية، إلى درجة الهجوم العنيف على مؤسس الصهيونية السياسية هرتسل وأنصاره. من أمثلة ذلك الأحزاب الدينية المسيحانية المعارضة لدولة إسرائيل. وهم يؤمنون بأن الخلاص المسيحانى لايمكن أن يتم بوسائل بشرية، سواء كانت هذه الوسائل المال أو

السلاح، وأن الذين يسمون أنفسهم بالصهيونية ومساعيهم الرامية الى تأسيس دولة قومية يهودية في فلسطين، تتنافي مع العقائد المتعلقة بانتظار مجيء المسيح في اليهودية، وأن بناء مملكة إسرائيل لابد أن يتم على يد المسيح المنتظر. وأن هرتسل قادم من (الجانب الملوث) وأعلن المجلس الأمريكي لليهودية - وهو تنظيم مناوىء للصهيونية - (إننا نعترض على إقامة دولة يهودية في فلسطين أو في أي مكان آخر. فتلك فلسفة انتهازية)ويرى هذا التيار الرافض للصهيونية السياسية أن تحقيق (هدف العودة سيكون على يد (يهوه القدير) نفسه الذي سيرسل المسيح المخلص للقيام بهذا العمل. وليس ذلك من عمل شعب الله المختار) ورفضت حركة (ناطوري كارتا) الاعتراف بالصهيونية وبدولة إسرائيل، وذلك لأن هذه الدولة قامت على يد نفر من الكفرة الذين حرّفوا مشيئة الله بعملهم وتطاولوا على الرب ولذلك فإن غالبية هذا التيار لايخدمون في الجيش الإسرائيلي. ولديهم شبكة تعليم خاصة بهم. ويقيمون في أحياء منفصلة عن الجمهور العلماني. بل إن أحداث النازية وفقاً لهذا المنظور بمثابة عقاب من الرب وقصاص من أولئك الذين انتهكوا وصايا التوراة وأوامرها وسعوا للتشبه بالأمم والانصهار بها أولا ثم بالتصميم على إنشاء دولة يهودية على غرار الدول الأخرى ثانياً.

وبعد حرب يونيو ٦٧ طرأ تحول على مواقف معظم الأحزاب الدينية، حيث اعتبرت هذه الحرب معجزة وإشارة ربانية لبداية الخلاص المسيحانى ورغم ذلك انطلق صوت أحد الحاخامات ليؤكد أن (دولة إسرائيل ككيان صهيونى هى تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله. وبينما تدعو إحدى الحركات الصهيونية الى عدم التنازل عن الأراضى التي احتلتها إسرائيل من منطلق أحكام الشريعة الدينية، فإن جماعة أصولية أخرى عارضت هذا التفسير. وتساءل الحاخام الأكبر لهذه الجماعة (كيف يقف الرب بجوار دولة كافرة وملحدة لتنتصر في الحرب..؟).

يعادى أتباع حركة (ناطوري كارتا) الصهيونية، وينادون بالانعزال عن دولة إسرائيل، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الله وإرادته بإعلانهم دولة إسرائيل، بدلا من انتظار المسيح. ومن الأمور التي يتوقف أمامها الباحث، أن هذه الحركة أدانت غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ . كما أنه بعد أن صدرت قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى عام ١٩٨٨ والتي أعلنت قيادة فلسطينية في الضفة والقطاع والاعتراف بإسرائيل عملياً، فإن جماعة (ناطوري كارتا)أيّدت الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية وفي نفس الوقت احتجّت على اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل. وإذا كانت الغالبية العظمى من الأحزاب الإسرائيلية تعتبر الكفاح الفلسطينى المسلح إرهاباً، فإن (ناطوري كارتا) ترى أن هذا الكفاح مشروع. وقال الحاخام موشيه هيرش (نحن ضد سفك الدماء. وأيضاً منظمة التحرير الفلسطينية ضد سفك الدماء. ونحن نؤيد حق الفلسطينيين في استرجاع ما أخذ منهم بواسطة القوة) وقال أيضاً (إذا كان هناك اهتمام وحرص من جانب الصهيونية تجاه اليهود، فعليها إصلاح الظلم الذي سبّبته للشعوب الأخرى) وانتقد بقوة الحركات التي تحاول إجبار أتباعه على الخدمة في الجيش الإسرائيلي. وقال (إنهم يريدون انضمامنا إلى آلة الحرب ضد العدو الذي أوجدوه خدمة لمصالحهم، ولتوسيع سيطرتهم على مناطق تابعة لشعوب أخرى).

ومن بين الأحزاب الدينية الأقل تطرفاً حزب (ديجل هتوراه) فذهب رئيسه بعد انتخابات عام ١٩٨٨ الى حد الموافقة، ليس على الانسحاب من المناطق المحتلة فحسب، بل على قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح. وأعرب عن استعداده لتأدية التحية لعلم هذه الدولة.

❖❖❖

❖ مخاطر الأصولية اليهودية على المجتمع الإسرائيلي:

هذه التناقضات داخل التيارات الدينية الإسرائيلية، يواكبها تناقضات أخرى بين الأصوليين اليهود وبين العلمانيين. ويتمثل الصراع بين الطرفين في الموقف من طبيعة الدولة التي ينشدها كل فريق. فبينما يرى العلمانيون أن المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات، يرى الأصوليون العكس. ويحرصون على التميز الذي يهدد أي مجتمع. ومن أمثلة ذلك الموقف من المرأة، حيث لا يجوز زيارة النساء لحائط المبكى، ورفض السماح لهن باستخدام حمامات السباحة المشتركة. ويحظر على النساء لبس الملابس القصيرة أو الشفافة أو الخروج دون جوارب تغطى الساقين. وعلى المرأة حلق رأسها. وعدم خروج صوت غناء النساء خارج البيت. وعندما تكون الزوجة في فترة الطمث، فلا يجوز أن ينام زوجها معها في سرير واحد. وإذا ناما في سريرين منفصلين ولمس أحدهما الآخر، فهذا محرم.

وأخذ التطرف الدينى مداه الى درجة الضغط على الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لإستصدار تشريع يحرم تربية الخنازير. وقانون آخر ينص على قداسة يوم السبت، حيث لا يجوز تشغيل المواصلات العامة. وكذلك إغلاق المحلات العامة (عدا المطاعم والملاهي) وعدم القيام بأي عمل مهما كان في مشروعات حيوية كثيرة، مثل الموانى وغيرها. والمحافظة على الطعام الدينى (الكاشير) وعدم تشريح جثث الموتى، وعدم زواج أى

كاهن من أية مطلقة. ووصل الأمر الى درجة أن تشكّل داخل حزب (المفدال) الديني تشكيل خاص بالمرأة أطلقوا عليه (كتلة المرأة المتدينة) وعلى الرغم من آن كافة الإسرائيليين الذكور ملزمون بأداء الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات والإناث عامين، فإن أعضاء المدارس الدينية التابعة لمجلس كبار علماء التوراة معفون من أداء هذه الخدمة. وأيضاً الوقوف بكل حزم ضد تجنيد النساء في الجيش. وفسّر كثيرون الإصرار على الاعفاء من الخدمة العسكرية على أنه هروب من خدمة الوطن، بحجة دراسة الدين، وهو الأمر الذي جعل بن جوريون يردد دائماً (إننا نريد أمة من الجنود، لا أمة من الكهنة).

ويتصاعد التطرف والتعصب الى درجة أن أتباع الطائفة (الحريدية) واثقون من أنهم يملكون الحقيقة لفهمهم للكتب المقدسة. وأن طريقهم هو الطريق الصائب الوحيد. كما أنهم يستخدمون وسائل (الإكراه الديني) والتدخل في حياة الآخرين. وكل الوسائل بالنسبة لهم مشروعة، بما في ذلك استخدام سلاح الاعتداء والمتفجرات ضد اليهود الآخرين الضالين. ويشنون حرباً على الثقافة العلمانية للمجتمع الإسرائيلي. ويهاجمون دور السينما وحمامات السباحة المشتركة والصحف العلمانية. ويعتقدون أنهم يشنون هذه الحرب (المقدسة) باسم الرب. ويقاطعون مدارس ومعاهد تعليم اللغات الأجنبية. ويُصدرون تعليماتهم الى أتباعهم بعدم الاشتراك في انتخابات الكنيست أو الانتخابات المحلية. وعدم تناول أى طعام أو شراب غير مصرّح به من قبل محكمة الطائفة. والإيمان القاطع بأن إقامة الدولة الصهيونية قبل قدوم المسيح المنتظر، إنما هو عقاب خطير من الله. وأن الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) تدنيس لأوامر الله وإهانة للتوراة، لأن قوانينه تتناقض مع شريعة موسى.

❖❖❖

❖ مقاومة الأصولية الدينية:

في مقابل التطرف الأصولي. فإن المجتمع الإسرائيلي يشهد أشكالا من المقاومة لتحجيم دور هذه التيارات التي تسعى إلى إقامة دولة دينية في إسرائيل. معادية للسلام وللعلم ولحقوق الإنسان. من أمثلة تلك المقاومة، محاولة العلمانيين إفراغ الشريعة من مضمونها، مثل عقد الزواج المختلط في جزيرة قبرص. وعقد الزواج دون اشتراك أى حاخام في حالة المنع الديني. أو في حالة رفض عقد طقوس الزواج الدينية. وتقوم المحاكم المدنية بدور مهم في هذا الصراع، حيث تتعرّض أحكام الشريعة اليهودية (الهالاخاه) للانتقاد. ويتم التساهل مع كل محاولات الإلتفاف حولها وتجنبها. والمثال الواضح على ذلك آن محكمة العدل العامة (الإسرائيلية)أقرّت بمبدأ تسجيل من تزوّجوا زواجاً مدنياً أو مختلطاً أو في احتفال مدني في سجلات الزواج. كما حدّد المشرع في القوانين المتصلة بالأحوال الشخصية، أن أحكامه ملزمة لكل من المحاكم المدنية والمحاكم الدينية، مثلما حدث بالنسبة لقانون (المساواة في الحقوق السياسية للمرأة) الذي صدر عام ١٩٥١ حيث لم يلتفت الى حكم المحكمة الربانية التي أقرّت بعدم توافق هذا القانون مع أحكام الشريعة اليهودية. كما أن هناك قطاعاً من الجمهور الدينى نفسه لايعترف بالصلاة الشرعية لهذه المؤسسة الدينية بصورة نسبية. كما آن محكمة العدل العليا (الإسرائيلية) تتدخل كثيراً في أحكام (الحاخامية الرسمية) وتتدخل في انتخابات الحاخام الأكبر، وتخضع أعمال الحاخامية لإشرافها. وبالنسبة للقوانين التي تتصل بأحكام (منع) وفقاً للشريعة اليهودية، مثل أحكام يوم السبت وتربية الخنازير، توجد قوانين تسمح بتجاوزها. كما أن الدوائر الطبية اعترضت على الأصوليين الذين يرفضون تشريح جثث الموتى. واعتبرت أن هذه المطالب فيها مساس بمستوى البحث العلمى والخدمة الطبية. كما آن المغالاة الأصولية أدّت الى ارتفاع الأصوات التي تطالب بأن يكون الزواج مدنياً. وضرورة فصل الدين عن الدولة. وهذا المطلب يريد مؤيدوه، ليس الفصل الرمزى بين دولة إسرائيل كدولة يهودية وبين التقاليد الدينية اليهودية، بل يطالبون أساساً بالفصل على المستوى الرسمى والقضائي. وقد ترتّب على إزدياد التوتر الديني، وازدياد تدخل الأصوليين في شئون الأفراد في حياتهم اليومية، ترتّب على ذلك تكوين رابطة لمنع (الإكراه الديني) تأسست عام ١٩٥٠ وأقامت هذه الرابطة فروعاً لها في المدن الثلاث الكبرى. وفي عام ١٩٦٠ جدّدت الرابطة نشاطها بعد سلسلة من الأزمات الدينية. وعلي الأخص بعد طرح مشكلة: من هو اليهودي..؟ وكثفت الرابطة عملها في خريف ١٩٦٣ حيث نظّمت مظاهرة في القدس ضد العنف المتزايد من المتدينين. وسارت في هذه المظاهرات جماعات كثيرة من الشباب (العلماني) وهم مسلحون بالعصي إلى حدود الأحياء الدينية. وإذا كان نشاط هذه الرابطة قد تعرّض لاهتزازات كثيرة، إلاّ أن تأثيرها كان كبيراً. وكانت رمزاً، إلى حد ما للإتجاه المتزايد من أجل خلق ثغرات عميقة بين المعسكرين الدينى واللاديني في إسرائيل. كما أن إعفاء طلبة المعاهد الدينية من الخدمة العسكرية، مثار اعتراض ومقاومة دائمة من الأحزاب العلمانية.

وكتب الأديب الإسرائيلي (عاموس عوز) عن الشباب المتدين ووصفهم بأنهم (حمقى ومجانين تحرقهم أنوار

النبوءة. أولئك الذين كانوا يعتقدون أنهم خُلقوا ليصلحوا العالم. وكل واحد منهم يعتقد أنه هو نفسه المسيح المنتظر الذي سيخلّص اليهود من آلامهم. وفي سبيل هذا الاعتقاد فهو على استعداد دائم لصلب معارضيه، ليُصلب هو نفسه في النهاية) إن الأسى في كلمات هذا الأديب من تغلغل الأصولية الدينية، يستدعي إلى الذاكرة كما قال د. رشاد الشامي النظرة التي سادت الدولة الإسرائيلية في سنواتها الأولى، التي كانت ترى أن الدين أمر متخلف ولابد من محاربته. ولعلّ هذا ما دفع الصحفي الإسرائيلي شالوم كوهين أن يناقش خطورة الأصولية الدينية التي تهدد المجتمع الإسرائيلي في كتابه (الرب برميل بارود – إسرائيل ومتطرفوها) وهو الكتاب الذي قام بعرضه المفكر المصرى إسماعيل صبرى في صحيفة الأهرام عدد ١٩٩٠/٤/١٥ ص٥ .

بل إن شخصية إسرائيلية كبيرة مثل جولدا مائير، هاجمت النبي موسى لأنه قاد اليهود في التيه سنوات طويلة وعسيرة، ثم استقر بهم فترة من الزمن القديم والغابر في أرض لم يكتشفوا فيها البترول) (نقلا عن محمد عيسى الشرقاوى – أهرام ٢٠٠١/٦/١١ ص ٦).

وبفضل هذا الإيمان بالفكر العلماني. يمتلك أساتذة الجامعة الإسرائيليون شجاعة الاعتراض على الحكومة، إذ (وقّع ٣٧ أستاذاً من جامعة بن جوريون في بئر سبع مذكرة إحتجاج على منح رئيس الوزراء إريل شارون شهادة دكتوراه فخرية من الجامعة. وجاء في المذكرة التي نشرتها الصحف الإسرائيلية: إننا نحتج على هذا القرار لأننا نعتقد أن مثل هذا التكريم يجب ألا يتناول شخصاً تعتبر خياراته الأساسية موضع جدال) (أهرام ٢٠٠١/١١/٢٢ ص ٨).

وبفضل الإيمان بالفكر العلمانى يخرج الشباب الإسرائيلي في مظاهرات لتأييد الرافضين للخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة (أهرام ١١ يناير ٢٠٠٤ ص ٤) وبفضل الفكر العلماني نظم إسرائيليون وصل عددهم الى أكثر من ٤٠٠ ألف مظاهرات ضخمة عام ١٩٨٢ عقب غزو إسرائيل لأراضى الشعب اللبناني.

هذا الصراع بين التيارات الدينية والتيارات العلمانية، غائب تماماً عن خريطة الإعلام المصرى (والعربي) حيث يحذر كثيرون من الكتاب الإسرائيليين من أن (إسرائيل قد تتطور الى دولة تفرض فيها المؤسسات الدينية والدوائر الدينية طابعها بشكل عام في مجالات الحياة)وكتب الباحثان (موشيه ليسك) و(دان هو رو فيتس) أن (أخطر صدع يهدد الهوية الثقافية للمجتمع الإسرائيلي هو الصدع الديني/العلماني. وهو من شأنه آن يزداد حدة في المرحلة المقبلة أكثر من أية مرة في الماضي. إن القطاع (الحريدي) وصل إلى قوة ديموجرافية واقتصادية، جعلته قطاعاً مستقلا ذاتياً. وهو يوجد بصورة استبدادية ويتلقى أموالا من الحكومة. وأن هذا القطاع أصبح دولة داخل الدولة. وبالتالي، فإنه يوجد في إسرائيل شعبان لايمكن أن يعيشا معاً. والخطر الذي ينطوي عليه هذا الأمر هو إدخال الدين في السياسة). وهذا الإيمان بالفكر العلمانى جعل (شالوميت آلوني) عندما كانت وزيرة التعليم ترفض تخصيص أية مبالغ من ميزانية الوزارة للمدارس أو المعاهد الدينية. بل ورغم أنها وزيرة صرّحت بأن انجولان أرض سورية.

وكان هرتسل وهو يشجع اليهود على الهجرة الى فلسطين يقول لهم (لدى خروجنا من مصرٍ مرة أخرى، لن ننسى خلفنا قدر اللحم) وهو هنا يذكر اليهود بموقف جدودهم الذين ندموا لأنهم استجابوا لكلام موسى وهارون وخرجوا من مصر وتذمّروا وعاتبوهما قائلين (ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم ونأكل خبزاً حتى الشبع. فإنكما أخرجتمونا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع) (خروج ١٦: ٢) والمعنى عند هرتسل كان مزدوجاً. فهو يقول لليهود إنكم لن تجوعوا في فلسطين كما جاع جدودكم بعد خروجهم من مصر. وكذلك فإنكم بعد استيطانكم أرض فلسطين، سوف تظلّون أوروبيين. وهو ما عبّر عنه عندما قال (إن دولة اليهود سوف تصبح بمثابة سويسرا صغيرة في قلب الشرق الأوسط) ولكن ها هو الواقع يُكذب الصورة التي حلم بها وتمناها. إذ تحولت إسرائيل بفضل الأصوليين اليهود الذين يسعون الى المزيد من التوسع ورفض إقامة الدولة الفلسطينية، ومعاداة أنصار السلام، وتهديد كل شعوب المنطقة بعدم الاستقرار، تحوّلت سويسرا الصغيرة في قلب الشرق الأوسط، في حلم هرتسل اليوتوبى الى بؤرة توتر. والى حروب دموية، يدفع ثمنها الشعب الفلسطينى واللبنانى والإسرائيلي. وإذا كان المجتمع الإسرائيلي يتمتع بوجود علمانيين يقاومون التعصب الأصولى اليهودي، فإن مصر (والمجتمعات العربية) تحتشد لمهاجمة أى صوت علماني، لدرجة التكفير والاغتيال. والنتيجة أنه بينما يرفض الأصوليون (في كل دين)نداء السلام، لا يعلو صوت فوق نعيق الغربان.

(*) معظم المعلومات الواردة في هذا المقال نقلا عن كتاب (القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة) تأليف الراحل الجليل د. رشاد عبدالله الشامي – عالم المعرفة الكويتية – يونيو ١٩٩٤ .

مصطلحات عبرية

إعداد: وحدة الترجمة

١- نجبا:

كيبوتس تابع لحركة الكيبوتس القُطرية. يقع فى السهل الساحلى الجنوبى بالقرب من مثلث الطرق الهام المؤدى إلى بئر السبع والنقب وإلى الخليل.

أقام هذا الكيبوتس أعضاء حركة هاشومير هاتسعير فى إطار مستعمرات "سوروبرج".. وقد عبَّر اسمه عن الرغبة اليهودية فى توسيع الاستيطان اليهودى نحو الجنوب.

وفى حرب عام ١٩٤٨ اشتهر هذا الكيبوتس بصموده الفذ ضد الغزاة المصريين، وأصبح اسم "نجبا" آنذاك مثلاً للبطولة والإقدام والتضحية.

٢- مشباط درايفوس: محاكمة درايفوس

محاكمة الضابط اليهودى الفرنسى "ألفريد درايفوس" ابن رجل صناعات يهودى ثرى من "الإلزاس"، وقد تجنوا عليه بأنه باع أسراراً عسكرية فرنسية إلى ألمانيا مقابل حفنة من المال. وقد حُكِم عليه عدة مرات، فى عام ١٨٩٤ وفى عام ١٨٩٩، حيث حُكِم عليه بالسجن المؤبد ونفى إلى جزيرة العفاريت.

وحتى بعد أن اتضح بأن الخائن الحقيقى هو الضابط أسترهازى، اهتم قادة القيادة العسكرية والتجسس المضاد فى فرنسا بالمصادقة على التهمة ضد درايفوس البريء. وقد درات معركة قانونية شاقة إلى أن أصبح بالإمكان الاعتراض على قرار الحكم وتمت تبرئته. وكان المساعد الرئيسى لكشف الحقيقة هو الضابط الفرنسى بيكار الذى عُين رئيساً لخدمات التجسس عام ١٨٩٦، وكشف أن الخائن هو الضابط أسترهازى.

وقد أثرت محاكمة درايفوس على إثارة المعرفة الوطنية لهرتسل ونوردوي، فقد ألف هرتسل كتاب "دولة اليهود".

وبعد الإفراج عنه، أعيدت لدرايفوس جميع حقوقه. وفى الحرب العالمية الأولى، مُنِح رتبة مقدم كما حصل على وسام الشرف العسكري.

٣- عتونوت ييدش: صحف الايدش

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ظهرت الصحافة التى تحدثت بلغة الايدش فى شرق أوروبا، حيث كان يعيش آنذاك حوالى ٧٠٪ من اليهود فى العالم، وجميعهم تقريباً كانوا يتحدثون لغة الايدش.

ومع ظهور الحركة الصهيونية وظهور الحركة الاشتراكية العامة واليهودية، ظهرت لغة الايدش واتسعت آدابها وصحافتها فى المهجر. وفتحت أمام جماهير الشعب آفاقاً رحبة، وأصبحت منذ مطلع القرن العشرين وحتى أغسطس ١٩٣٩ – مع اندلاع الحرب العالمية الثانية – عنصراً ذا تأثير بالغ، ودليلاً، وموجهاً للرأى العام، وراسماً للصورة الوطنية والاجتماعية للشعب اليهودى فى جميع أنحاء العالم.

٤- نوفوميسكي/موشيه:

مهندس وكيماوي. هو الذى أقام مشروع البوتاس فى البحر الميت. وُلِد فى سيبير عام ١٨٧٣، وأدار هناك مصانع كيماوية ومناجم ذهب. وفى عام ١٩١١، زار فلسطين ودرس إمكانية استخراج مناجم من البحر الميت وقدم لحكومة بريطانيا خطة لاستغلال كنوز البحر الميت.

وبعد مرور حوالى ٨ سنوات، حصل على الامتياز المطلوب فى مايو ١٩٢٩، وتقدم لإقامة مصنع البوتاس الأول فى شمال البحر الميت. وفى عام ١٩٣٣، أقام مصنع البوتاس الأول فى شمال البحر الميت فى سدوم.

وفى حرب ١٩٤٨، تم تدمير المصنع فى شمال البحر الميت على أيدى الأردنيين، وشُلت حركة مصنع سدوم.. وقد توفى نوفوميسكى عام ١٩٦٠ .

الصحف الرئيسية فى إسرائيل

م	اسم الصحيفة	معناها باللغة العربية	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	أعداد التوزيع
١	يديعوت أحرونوت (يومية)	آخر الأخبار	١٩٣٩	ملكية خاصة لعائلة موزيس الإعلامية	الصحيفة الأكثر توزيعاً فى إسرائيل إذ يقرأها حوالى ثلثى قراء الصحف العبرية، حيث توزع ٣٠٠ ألف نسخة يومياً و٦٠٠ ألف نسخة للعدد الأسبوعى (الجمعة)
٢	هاأرتس (يومية)	الأرض	١٩١٩	مالكة هذه الصحيفة هى كتلة الإعلام "شوكين"	العدد اليومى (٦٥ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٧٥ ألف نسخة)
٣	معاريف (يومية)	صلاة الغروب	١٩٤٨	ملكية خاصة لعائلة نمرودى الإعلامية	العدد اليومى (١٦٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٢٧٠ ألف نسخة)
٤	هاتسوفيه (يومية)	المراقب	١٩٣٨	المفدال (الحزب الدينى القومى)	العدد اليومى (٦٠ ألف نسخة)
٥	جيروزاليم بوست (يومية)	بريد القدس	١٩٣٢	ملكية خاصة لمجموعة جريشون أجررون	العدد اليومى (٣٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٥٠ ألف نسخة) (توزع يوميا طبعة دولية فى أمريكا الشمالية وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية فى أوروبا)
٦	جلوبس (يومية اقتصادية)	-	١٩٨٣	شركة "جلوبس لتونوت للنشر" التى تمتلكها مجموعة مونتين	٤٠ ألف نسخة
٧	هامودبع (يومية)	المخبر-	-	حزب أجودات يسرائيل	العدد اليومى (٢٥ ألف نسخة) توزع نسخة أسبوعية باللغة الإنجليزية

رقم الإيداع ٣٠٠٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى 6 - 229 - 227 - 977 .I.S.B.N

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر





النشاط والأهداف

انشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).



مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر